

International Islamic University
Islamabad - Pakistan
Faculty of Islamic Studies
Department of Dawah & Islamic
Culture



الجامعة الإسلامية العالمية
إسلام آباد - باكستان
كلية أصول الدين
قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

منهجية الدكتور محمد عمارة في تناول مشاكل الدعوة (دراسة وصفية تحليلية)

بحث تكميلي مقدم لنيل درجة الدكتوراه في الدعوة والثقافة الإسلامية

إعداد الطالب:

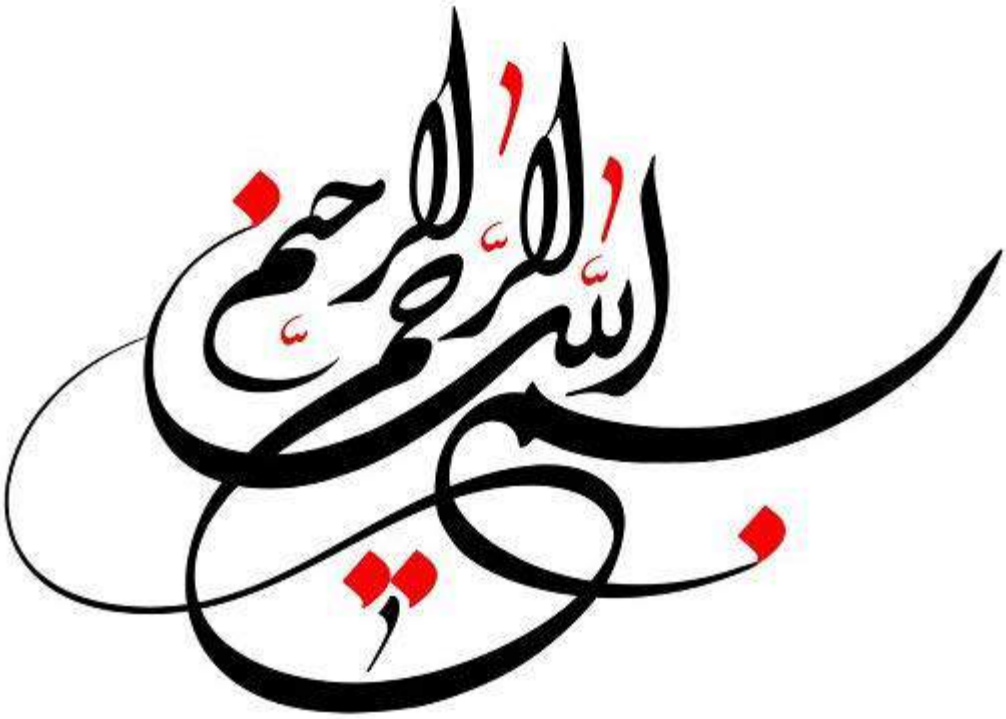
بصير أحمد مبصر بن عبدالعزيز

٤٢٠-FU/PHDDIC/F١٩

تحت إشراف:

الدكتور سليمان حماد الحوامدة

العام الدراسي: ٢٠٢٤ م



الإهداء

الحمد لله واسع الجود و المن والفضل والكرم، على إتمام هذا العمل وبعد:
أهدي ثمرة جهدي المتواضع هذا إلى روح أبي الطاهر "عبدالعزیز
جمشیدی رحمه الله" الذي أفنى حياته من أجلي وبسببه أنا أكمل مشواري
الدراسي والذي ما أنا عليه اليوم هي ثمرة دعواته بعد توفيق الله سبحانه،
وإلي أُمي "فاطمة يوسفی رعاها الله وأدام عزها وحفظها لي" التي ربت
وسهرت وكافحت من أجلي في الليالي الكالحات وتكبدت تعب السنين،
إلى "زوجتي الغالية فوزية رحيمي" التي ساعدتني في أيامي وكانت لي
عضدا وسندا في السراء والضراء، وإلى فلذات كبدي "طه أمين وأنس أمين
رعاهما الله" وإلى كل "إخوتي وأخواتي الأعزاء" وإلى روح أستاذي الغالي
"مولانا غلام محمد نجيبی الكروخي الهروي رحمه الله" و"جميع
أساتذتي الأجلاء" الذين تتلمذت علي أيديهم وكل "من علمني حرفا منذ
بداية مساري التعليمي" جزاهم الله عني خير الجزاء وأجزل لهم المثوبة
والعطاء، وإلى كل "من ساعدني" في إتمام هذه المذكرة.

بصير احمد مبصر الكروخي الهروي

الشكر والتقدير

قال جل مجده ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لَقْمَنَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾^(١).

أتوجه بالشكر والتقدير إلى الأستاذ المشرف الدكتور سليمان حماد الحوامدة الذي لم ييخل علي بالنصح والإرشاد، رغم مشاغله المتراكمة وصبره معي طيلة فترة البحث. ولا يفوتني أن أقدم جزيل الشكر وعظيم الامتنان والعرفان إلى الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد والقائمين عليها، وكلية أصول الدين، وقسم الدعوة والثقافة الإسلامية ممثلاً برئيسها فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الحميد خروب حفظه الله، وجميع أساتذتي الأجلاء وأخص بالذكر فضيلة الأستاذ الدكتور عبد القادر هارون الذي ساعدني كثيراً وكان لي طيلة دراستي نعم المعلم والمؤدب والموجه والمعين. وإلى كل الأساتذة الذين لم ييخلوا علي بنصائحهم القيمة وملاحظاتهم المنيرة طيلة السنوات الدراسية وأثناء البحث والكتابة. كما أتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى أعضاء لجنة المناقشة الموقرة لتفضلهم بقبول مناقشة هذه المذكرة، و لكل من ساعدني من قريب أو بعيد طيلة إعداد هذه الرسالة، فلهم جميعاً مني كل عبارات الشكر والتقدير وجزاهم الله خير الجزاء.

^١. سورة لقمان: (١٢).

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه أجمعين ومن دعا بدعوته واقتدى بسيرته إلي يوم الدين.

إن من أهم سبل النجاح والتزكي والترقي فيما نحسبه والله أعلم هو أن يتعلم الإنسان من العباقرة والعظماء، وأن يقتفي أثرهم ويحذو حذوهم، وأن يقف على أكتاف العلماء ومناكب العباقرة؛ وقفة استفادة وتأمل لا وقفة تطاول وتطفل، بكل ما تحملها هذه الكلمات من معاني. خاصة وأننا في تلك الظروف المحلية والإقليمية والعالمية الحالية، نحن في حاجة ماسة إلي فهم كامل لوجهنا ووجهتنا، لاسيما والأمة في مأزق حياة وعنق زجاجة تاريخا وهوية. ومن ثم كان معرفة ماضي أعلام الأمة وقراءة تاريخ مناراتها ودراسة نتائجهم وجهادهم الفكري وهو أحد أهم سبلنا لتشخيص وعلاج الحاضر وبناء المستقبل، حفزا لأجيال الأمة التنافس على طريق الخير والتزكي والترقي الذي برز علي دربه هؤلاء الأعلام. "داعية الإسلام، وحارس تعاليمه"، هكذا نعته العالم والمفكر الإسلامي المصري محمد الغزالي. كما وصفه المفكر طارق البشري بـ "البلدورز"؛ فقد كان من أكبر وأهم المدافعين المعاصرين عن الإسلام، وكان شديد البأس على أعداء الإسلام والعلمانيين الاستئصاليين والمتطرفين، وكان عوناً لكل باحث في الفكر الإسلامي. العالم العلم الفذ الفريد الذي وصفوه بـ «كاسحة ألغام الفكر الإسلامي» و«الحارس اليقظ المرباط على ثغور الإسلام»... فهذه كلها ألقاب حازها المفكر الإسلامي الدكتور محمد عمارة، ذلك لأنه قد أفنى عمره في المقارعة الفكرية للعلمانيين والتغريبين والباطنيين وتفنيد الشبهات المثارة ضد الإسلام والرد عليها.

ولا زلنا نذكر يوم أن خرج على الفضائيات أمام أساطين الفكر العلماني، يتحدث عن فلسفة الميراث في الإسلام، ليعري باطلهم أمام الجماهير، ويثبت من خلال عرض هذه الفلسفة ما يدحض دعواهم في أن المرأة قد ظلمها الإسلام في أحكام الميراث، فكان كلامه كقطع السيف وضرب الحسام.

فلذا، عازمت أن أخصص بحثي في مرحلة الدكتوراه في قسم الدعوة والثقافة الإسلامية بالجامعة الإسلامية العالمية لدراسة منهجية الدكتور محمد عمارة في تناول مشاكل الدعوة بعنوان: "منهجية الدكتور محمد عمارة في تناول مشاكل الدعوة" حتى يكون نبراسا ينيير طريق الدعاة، وأسأل الله التوفيق والسداد.

أولاً: أهمية الموضوع:

أذكر أهمية الموضوع من خلال النصوص في الكتاب والسنة التي تعلي شأن الدعاة العلماء، وتحدثت عن فضلهم؛ قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾^(١) وقال تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(٢) وقال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(٣) وقال: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾^(٤) وقال تعالى أيضاً: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾^(٥).

كما ورد في الحديث الشريف عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَتْرُكْ عَالِمًا، اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُسَاءَ جَهْلًا، فَسُئِلُوا، فَأَقْتَتُوا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا، وَأَضَلُّوا"^(٦).

١. سورة المجادلة: ١١.

٢. سورة الزمر: ٩.

٣. سورة فاطر: ٢٨.

٤. سورة آل عمران: ١٨.

٥. سورة يوسف: ١٠٨.

٦. الشيباني، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ٥٠ جزء، الطبعة الأولى، تحقيق: شعيب أرنؤوط، عادل مرشد وآخرون، بيروت، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١م، رواه عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، مسند المكثرين من الصحابة، ج ١١، ص ٥٩، رقم الحديث ٦٥١١، وقال الشيخ شعيب أرنؤوط وآخرون: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

ولن تَخْلُو الأُمة عبر التاريخ من علماء يَحْمِلُونَ لواء الدعوة، وَيَنْشُرُونَ دين الإسلام، ويَهْدُونَ الناس إلى الخير؛ ابتغاء مَرْضَاة الله وقد حفظ التاريخ جهودهم في ذلك.

وهذه الدراسة جاءت لُتُسَهِّم في بيان جهود أحد العلماء الراسخين، والدعاة الناصحين، من خلال عرض ودراسة كتبه و نشراته في النواحي المختلفة والزوايا المتنوعة، وهو الشيخ العلم الدكتور محمد عمارة رحمه الله؛ فهو داعية ساهم في نشر الدعوة الإسلامية في العصر الحاضر، وقد تميز الدكتور محمد عمارة رحمه الله بأسلوب فريد في عرض حقائق الإسلام ومبادئه والدعوة إليهما، كما تميّزت جهوده الدعوية أيضًا بتنوّع الموضوعات في الدعوة إلى الله تعالى وتميزت شخصيته في حل قضايا الفكرية التي تتعلق بحياة المسلمين و تحدياتهم في هذا العصر. وعلى هذا، فإن أهمية هذا الموضوع تظهر في ضرورة تكثيف دراسة الجهود الدعوية للعلماء المسلمين، وإذا كانت دراسة جهود العلماء الأقدمين مُهمّة لتأصيل الجُهود الدعوية الإسلامية، فإن الحاجة أصبحت أكثر أهمية لدراسة الجهود الدعوية للعلماء والدعاة من المسلمين المعاصرين؛ لأنهم أعرف بظروف عصرنا ومتطلباته، وهذا يؤكد أهمية معرفة جهود الشيخ الدعوية، ومن ثمّ إفادة المهتمّين بالدعوة من هذه الجهود؛ إذ يعدُّ الشيخ أنموذجًا حيًّا للداعية المُعاصِر المتميز في أسلوبه ومنهجه ودعوته.

ومما يَزِيد أهمية هذه الدراسة ما يلي:

١. أنَّ الشيخ الدكتور محمد عمارة رحمه الله قد تعرض لموضوعات أساسية وعناوين

حيويّة تتعلق بالتحديات التي يعانيتها المسلمون في هذا العصر.

٢. أن المفكر الكبير محمد عمارة رحمه الله قد تميز بمهارته في التعرض لموضوعات

فكرية وتقديمها بأسلوب رائع. وقد قدّم حلولاً مناسبةً لكثير من مشاكل المسلمين

الفكرية المعاصرة.

٣. أن الدكتور محمد عمارة رحمه الله كان من أهم المؤثرين في الساحة الدعوية

والفكرية المعاصرة وكان من الروّاد المُستخدمين لوسائل الدعوة الحديثة.

ثانياً: أسباب اختيار الموضوع:

١. عقب وفاة الدكتور محمد عمارة رحمه الله اقترح قسم الدعوة والثقافة الإسلامية كلية أصول الدين بجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد على طلاب الدكتوراه مشروع علمي يتركز على تبين المشروع الفكري للدكتور محمد عمارة رحمه الله خدمة لتراث هذا المفكر الكبير.
٢. لما كان من أهم سبل النجاح والتفوق والتزكي والترقي الاستفادة من المشروعات الفكرية الكبرى التي شيدتها كبار العقول الإسلامية المعاصرة.. اخترت دراسة واحد من أهم هذه المشروعات في مكتبة العقول العبقريّة.. «المشروع الفكري للدكتور محمد عمارة».
٣. إن الساحة الفكرية الإسلامية المعاصرة في حاجة شديدة لفكر منهجي جديد يهدي ويرشد ويرشد، ويجلّي الكثير من الأمور المشكّلة والملتبسة والملتهبة وشديدة الحساسية، ويصقّي ويتجاوز الكثير من السجلات والتحارشات والصراعات الفكرية المهلكة والمجذبة، لذلك كله اخترت دراسة المشروع الفكري للدكتور محمد عمارة رحمه الله تعالى.
٤. لم يتم عمل أو تحقيق في هذه الناحية وحول شخصية الرجل ومنهجيته في تناول مشاكل الدعوة.
٥. عبقريّة الدكتور محمد عمارة في ميدان الدعوة وكتاباتهِ القيمة في تلك الساحة وضرورة تحقيق ومقارنة علمية في الشخصية الدعوية للدكتور محمد عمارة رحمه الله.
٦. معاصرة الدكتور وحيوية منهجيته في القضايا الدعوية المعاصرة ومتطلبات الواقع بين الشخصيات الإسلامية.
٧. احتياج الساحة للتعريف بدُعاةٍ وُعاةٍ كمثله للإقتداء والإستنارة لنهجه وشخصيته الفذة.
٨. توجيه الدعاة وطلبة العلم إلى اختيار دراسة مناهج الدعاة لمواجهة التحديات المعاصرة. هذه وغيرها من البواعث دفعتني إلى أن أقوم بالبحث في هذا الموضوع حسب استطاعتي.

ثالثاً: أهداف البحث:

تهدف الدراسة إلى ما يلي:

١. تبين منهجية الدكتور محمد عمارة رحمه الله في تناول مشاكل الدعوة.
٢. بيان أفكار وجهود الدكتور محمد عمارة رحمه الله المتعلقة بقضايا الفكر والتحديات المعاصرة.
٣. التعرف على أهم مشاكل الدعوة داخل أطراف العمل الاسلامي وخارجها.
٤. معرفة السمات المنهجية لدى الدكتور محمد عمارة رحمه الله في عرض القضايا والأفكار.
٥. إبراز الأصول الفكرية والمركزات الأساسية للمشروع الفكري عند الدكتور محمد عمارة وكيفية تناول مشاكل الدعوة وتحدياتها.
٦. الإسهام في بيان العوامل المؤثرة في إعداد الدعاة إلى الله تعالى في العصر الحاضر وكيفية الاستفادة منها والوقوف على الجهود الدعوية العلمية والتطبيقية للدكتور محمد عمارة رحمه الله في دعوته لمختلف أصناف المدعوين.
٧. التعرف على الوسائل والأساليب العلمية والعملية التي اتبعها الدكتور محمد عمارة رحمه الله في دعوته وإبراز أهم أوجه التميز الدعوي لديه رحمه الله.

رابعاً: الدراسات السابقة:

تبين لي بعد استقصائي لقوائم الرسائل الجامعية وسؤال أهل الاختصاص في مجال الدعوة، عدم وجود دراسة علمية متخصصة تناولت دراسة جهود الشيخ الدكتور محمد عمارة رحمه الله على الصيغة التي خططناها وهذا لا يعني عدم وجود رسائل وكتب عن الدكتور محمد عمارة رحمه الله فهناك بعض الكتب، أذكرها في ما يلي:

- ١- المشروع الفكري للدكتور محمد عمارة، طبعة دار مفكرون الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة.

قد قام الباحث "د. يحيى رضا جاد" في هذا الكتاب بإلقاء الضوء على فكر العلم الدكتور محمد عمارة، كما أن هذه الرسالة اشتملت على الجانب الفكري فقط وقد إستنبط الباحث الأصول والإستنباطات المنهجية من كتب الشيخ الدكتور محمد عمارة رحمه الله ومحور

هذه الدراسة: التعرف على الأصول والاستنباطات المنهجية التي قام عليها المشروع الفكري الذي شيده الدكتور محمد عمارة واستخرجها الباحث من خلال التقسيم الذي قسمه في هذا الكتاب لكن هذا التقسيم لم يستوعب كتب الشيخ، ولهذا هناك نقص و فوات في المواد الذي ذكره المؤلف في عنوان الكتاب.

٢- "الدكتور محمد عمارة الحارس اليقظ المرابط علي ثغور الإسلام" للمؤلف الكبير الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوي رحمه الله. نُشر هذا الكتاب في ١٣٠ صفحة من قبل دار المقاصد في بيروت. لا شك أن الدكتور ذكر ميزات الشيخ محمد عمارة رحمه الله ما لم توجد في غيره من المعاصرين في الرد على جميع الفتن و حل مشكلات المجتمعات الإسلامية و طرق نجاة المسلمين من المصائب والنوائب، لكن الكتاب اشتمل على العناوين الرئيسية والمواضيع الأساسية من خلال جهود الشيخ في الرد على الأفكار المنحرفة والمضادة للإسلام ولم يتعرض الأستاذ القرضاوي لبيان و توضيح جهود الشيخ في الرد على تلك الفتن والتحديات.

ورغم أهمية وإفادة الباحث من ذلك وما سبق من الدراسات العلمية السابقة، إلا أنه ليس هناك من تناول موضوع مشاكل الدعوة والدعاة في فكر الشيخ الدكتور محمد عمارة رحمه الله ولعلّ دراسة دعوية علمية يخدم هذا الموضوع دعويًا بشكل خاص، والتخصّص الدعوي بشكل عام.

خامساً: مشكلة البحث:

تسعى هذه الدراسة للإجابة عن سؤال رئيسي، هو:

ما هي منهجية الدكتور محمد عمارة رحمه الله في تناول مشاكل الدعوة؟

ويتفرّع منه الأسئلة التالية:

١. ما السمات الشخصية والعوامل المؤثرة في نشأة الدكتور محمد عمارة رحمه الله وتكوين

فكره؟

٢. كيف كانت جهود الشيخ محمد عمارة رحمه الله العلميّة والتطبيقية المتعلّقة بالقضايا الدعوية المعاصرة؟

٣. ما هي منهجية الدكتور في تناول مشاكل الدعوة وتصنيفاته للقضية؟

٤. ما هي أهم التحديات الداخلية والخارجية في ساحة الدعوة في نظر الدكتور عمارة رحمه الله؟

٥. ماذا كانت أهم أوجه التميّز الدعوي لدى الدكتور محمد عمارة رحمه الله ورده علي الشبهات والإفتراءات؟

سادساً: منهج البحث:

كان منهجي في إعداد هذه الرسالة هو: **المنهج الوصفي التحليلي**، تفكيكا أو تركيبا أو تقويما. المنهج الذي يقوم على التحليل الدقيق للسجلات والوثائق المتوافرة ذات العلاقة بموضوع البحث، ومن ثمّ إستنتاج ما يتصل بمشكلة البحث من أدلة وبراهين تُجيب على إجابة أسئلة البحث.

وانطلاقاً من الأهداف التي سيّسى البحث إلى تحقيقها، فإنني سأقوم بتحديد وجمع البيانات من الكتب المتعددة للدكتور محمد عمارة رحمه الله ومن ثم تحليلها والوصول إلى حل مشكلة البحث وإبراز جوانبه.

سابعاً: خطوات البحث

أما المنهج المتّبع في كتابة الرسالة، بتوفيق من الله - سبحانه وتعالى - سأسير في رسالتي على المنهج التالي:

١. قمت بجمع المادة العلميّة المتعلّقة بهذا الموضوع حسب استطاعتي من مصادرها ومراجعها.
٢. قمت بعزو الآيات القرآنية إلى سورها وأرقامها في المصحف الشريف مع الالتزام بالرسم العثماني ووضعها في قوسين مميزين ﴿ 》.
٣. قمت بتخريج الأحاديث النبوية من مظانّها، إذا كان الحديث مما أخرجه الإمام البخاري أو مسلم - رحمهما الله - اكتفيت بهما عن غيرهما في التخريج.

٤. أما الأحاديث التي لم يزوها الشيخان، اجتهدت في تخريجها من كتب الحديث المشهورة، ونقلت حكم أهل العلم عليها حسب استطاعتي.
٥. أترجم للأعلام الذين كان لهم إرتباط مباشر بالدكتور محمد عمارة رحمه الله وكانوا مُعاصرين له وغير المعروفين ترجمة مختصرة وافية بالغرض.
٦. عند ذكر المصدر أو المرجع للمرة الأولى، أقوم بكتابة بيانات كاملة عن الكتاب، تشمل: اسم المؤلف واسم الكتاب واسم المحقق إن وُجد، واسم الناشر، ثم مكان النشر ورقم الطبعة وتاريخها، ثم رقم الجزء إن وُجد فالصفحة.
٧. أوثق أقوال العلماء من مصادرها الأصلية والأولية وأضعها بين قوسين " " وعند الاختصار في النقل وضعت ثلاث نقاط (...) مكان الكلام المحذوف.
٨. عند الإحالة لمصدر أو مرجع تم الاقتباس منه، ذكرتُ كلمة (ينظر) أو (أنظر) قبل اسم المصدر أو المرجع.

ثامنا: خطة البحث

يتكون البحث من مقدمة وتمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة وقائمة بالفهارس الفنية والمصادر والمراجع بالترتيب الآتي. المقدمة: تشتمل على أهمية الموضوع، وأسباب إختياره، وأهداف البحث، والدراسات السابقة، ومشكلة البحث، ومنهج البحث، وخطوات البحث وخطة البحث التفصيلية.

التمهيد: التعريف بالموضوع

المبحث الأول: مفهوم المنهج والمنهجية

المبحث الثاني: مفهوم الدعوة ومشاكلها

المبحث الثالث: ترجمة حياة الدكتور محمد عمارة رحمه الله

الباب الأول

في سمات الدكتور محمد عمارة رحمه الله وقواعد منهجيته في
الدعوة

الفصل الأول: سمات في طبيعة شخصية وموهبة الدكتور محمد عمارة

المبحث الأول: الجمع بين العلم والعمل والعقل والنقل

المبحث الثاني: الجمع بين الفكر والأدب والتصوف

المبحث الثالث: الجمع بين التراث والتجديد

المبحث الرابع: الجمع بين دراسة المذاهب الكلامية والتيارات الإسلامية وغير الإسلامية

المبحث الخامس: الجمع بين الوطنية والعروبية والإسلامية والإنسانية

المبحث السادس: الجمع بين الكتابة والخطابة والجهاد

الفصل الثاني: قواعد منهجية الدكتور محمد عمارة في الدعوة

المبحث الأول: الوسطية الإسلامية

المبحث الثاني: العقلانية الإيمانية

المبحث الثالث: الإيمان بالتعددية

المبحث الرابع: المواكبة والتجديد

الباب الثاني

منهجية الدكتور محمد عمارة في تناول مشاكل الدعوة الإسلامية

الفصل الأول: في فقه الاختلاف والتعددية

المبحث الأول: حقيقة الخلاف والاختلاف

المبحث الثاني: طبيعة التفاوت في ساحة الدعوة

المبحث الثالث: التعددية والاختلاف من سنن الفطرة

المبحث الرابع: الاختلاف جعل إلهي و طبيعي في البشر

المبحث الخامس: دور الاجتهاد في صياغة الاختلاف وصيانة الشريعة

الفصل الثاني: أهم المشاكل الداخلية في ساحة الدعوة

المبحث الأول: الخلل في فهم التعددية والإيمان بجدواها

المبحث الثاني: الخلل في علاقة الذات بالآخر

المبحث الثالث: الخلل في العلاقة بين المحلية القطرية والعالمية الإسلامية

المبحث الرابع: الخلل في علاقة التاريخ بالعصر وعلاقة الموروث بالابداع

المبحث الخامس: الخلل في علاقة الحركة بالفكر

المبحث السادس: الخلل في علاقة التربية الروحية بالتربية السياسية

المبحث السابع: الخلل في علاقة الطاعة بالحرية

الفصل الثالث: أهم المشاكل الخارجية في ساحة الدعوة

المبحث الأول: الغزو الفكري الحضاري

المبحث الثاني: الإلتباس المفهومي للمصطلحات

المبحث الثالث: ما يتعلق بالعلمانية

المبحث الرابع: ما يتعلق بالتنصير

المبحث الخامس: ما يتعلق بالتنوير والتزوير

الباب الثالث

منهجية الدكتور محمد عمارة في مواجهة الشبهات والافتراءات

الفصل الأول: في الرد والنقد للشبهات

المبحث الأول: في الرد علي الماركسية

المبحث الثاني: في الرد علي العلمانية

المبحث الثالث: في نقد الحضارة الغربية

المبحث الرابع: في نقد ظاهرة الحداثة

الفصل الثاني: في الرد والنقد علي الافتراءات

المبحث الأول: اشكاليات في قراءة النص الديني وتفسيره

المبحث الثاني: افتراءات حول الإسلام والحاكمة

المبحث الثالث: افتراءات حول الإسلام و حقوق المرأة

المبحث الرابع: افتراءات حول الإسلام والإرهاب

الخاتمة: وفيه أهم النتائج والتوصيات

الفهارس:

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الآثار

فهر الأعلام

فهرس المصادر و المراجع

فهرس المحتويات

التمهيد: التعريف بالموضوع

المبحث الأول: مفهوم المنهج والمنهجية

المطلب الأول: مفهوم المنهج

المطلب الثاني: مفهوم المنهجية

المبحث الثاني: مفهوم الدعوة ومشاكلها

المطلب الأول: معني الدعوة لغة

المطلب الثاني: الدعوة اصطلاحاً

المطلب الثالث: مفهوم المشاكل

المبحث الثالث: ترجمة حياة الدكتور محمد عمارة رحمه الله

المطلب الأول: الميلاد والنشأة

المطلب الثاني: نشاطاته الجامعية

المطلب الثالث: مشاريعه العلمية

المطلب الرابع: أثر البيئة في نشاطه

المطلب الخامس: ملامح المشروع الفكري لدي الدكتور محمد عمارة

المطلب السادس: منهج الدكتور محمد عمارة في دراسة المصطلحات

المطلب السابع: بعض الإتهامات الموجهة للدكتور والرد عليها

المبحث الأول: مفهوم المنهج والمنهجية

المطلب الأول: مفهوم المنهج

كلمة المنهج تعني لغة الطريق وترجع في أصلها اللغوي إلى الفعل (نَهَجَ) ومنه النهج، والمنهج، والمنهاج، أي الطريق الواضح، ونهج الطريق أي أبانه وأوضحه أيضاً سلكه، وبابها قطع^(١)، وجاء في لسان العرب: طريق نهج: بين واضح... ومنهج الطريق أي وضحه، والمنهاج كالمنهج^(٢)، وفي القرآن الكريم: ﴿...لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا...﴾^(٣).

وفي الإصطلاح يعرف المنهج من ناحية الموضوع بأنه الطريق الذي يؤدي إلى الكشف عن حقيقة معينة. ويكون ذلك عن طريق مجموعة من القواعد والوسائل التي يتبعها الباحث للوصول إلى هذه الحقيقة. ومن الناحية الشكلية فإن المنهج هو الإطار الذي توضع فيه البيانات والمعلومات والتي يتم تنظيمها والتعامل معها وفقاً لقواعد وإجراءات معينة^(٤). ويقدم المعجم الفلسفي تعريفاً للمنهج بأنه: "وسيلة محددة توصل إلى غاية معينة"^(٥)، ويُعرف المنهج بصفة عامة على أنه الترتيب الصائب للعمليات العقلية التي نقوم بها بصدد الكشف عن الحقيقة والبرهنة عليها^(٦).

المطلب الثاني: مفهوم المنهجية

يُعرف المنهجية في البحث العلمي بأنها الإستراتيجية الشاملة التي يضعها ويتبعها الباحث في دراسته، وتشكل الأساس المنطقي لها، وتتضمن المنهجية كلاً من الأساليب التي يستخدمها

١. الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، ترتيب محمود خاطر، طبعة دار المعارف - ١٩٩٠ - ص

٦٨١.

٢. ابن منظور، أحمد بن مكرم الأفريقي المصري، لسان العرب، ١٢ / ٣٤٥، ط ١، دار صادر: بيروت، الطبعة الأولى

١٣٩٥هـ.

٣. سورة المائدة: (٤٨).

٤. أنظر: الماجد، حامد عبد: مقدمة في منهجية ودراسة وطرق بحث الظواهر السياسية، ٢٠٠٠م، ص ١٧.

٥. مجمع اللغة العربية: المعجم الفلسفي، مادة: منهج، ص، ١٩٥.

٦. أنظر: قاسم محمد محمد: المدخل إلى المنهج العلمي، ص ٥٢.

في جمع البيانات وتحليلها، والمبادئ والنظريات التي سيستعين بها لتطوير نهج يتوافق مع الهدف من البحث، والمنهجية هي مفهوم أعم وأكثر شمولاً من المنهج، ويمكن كتابتها في قسم خاص في حال كان البحث طويلاً، ومن الأمثلة الواضحة على منهجية البحث هي اختيار الباحث للبحث الكمي أو النوعي، وذلك بما يتوافق ويتناسب مع هدف دراسته^(١). وجاء في قاموس لاروس أن المنهجية "هي الدراسة المنتظمة، القائمة على الممارسة العلمية، التي تبنى عليها هذه الدراسة وطرق البحث المستعملة فيها. وهي أيضاً مجموعة الطرق والتقنيات لميدان معين"^(٢).

والمنهجية في اعتقادنا هي منظومة تسطر المبادئ لإستخلاص الحلول ويكون ذلك بإتباع المنهاج الذي هو روح الطريقة، بمعنى أنه على أساس فرضية واعية، وهدف مسطر يتم تطبيق المراحل المسطرة لتكون النظرية مجسدة في الواقع. ولعل الكثير منا يرى أن المنهج والمنهجية واحد، إلا أن هناك فرق رغم التداخل البادي في كثير من التعاريف. فالمنهج قد يكون غالباً المعرفة العملية.

أما المنهج العلمي "Scientific Method" فيمكن تعريفه بأنه: تحليل منسق وتنظيم للمبادئ والعمليات العقلية والتجريبية التي توجه بالضرورة البحث العلمي، أو ما تؤلفه بنية العلوم الخاصة، والمنهج العلمي بهذا المعنى يستخدم أداة منهجية غاية في الأهمية وهي التحليل، لمجموعة المبادئ والأسس التي ينطلق منها أي بحث علمي، على أن يتسم هذا التحليل بصفات منطقية مثل الإتساق والضرورة، والتحليل لا يتوقف عند الإلمام بهذه المبادئ ولكنه يبحث من بينها عن الأكثر بساطة وضرورة ويحذف المتكرر أو المشتق من غيره من المبادئ، كما يمتد التحليل إلى مجموعة العمليات العقلية والتجريبية، فنحن نجري مجموعة من عمليات الإستنباط والإستدلال المنطقي والرياضي على ما توفر لدينا من

١ . أنظر: مناهج وأنواع البحث العلمي، ميري جراح - صحافة وإعلام، نُشر في ٢٠ يناير ٢٠٢٣ ، آخر تحديث ٢٩ يناير ٢٠٢٣.

٢ . قاموس لاروس المحيط Dictionnaire LAROUSSE AL – MUHIT، ترجمة وتحقيق : د. بسام بركة ومحمد دبس، لغة: عربي-فرنسي، طبعة: ١، ص ٥٨٤.

معطيات، ونعود في إجراء تلك إلى مجموعة من قواعد الاشتقاق ذات الطابع المنطقي الرياضي، ونحتكم بالإضافة إلى ذلك إلى التجريب عند الحكم على مجموعة من النتائج المشتقة بالصدق أو الكذب بصدى مطابقتها للواقع. والمنهج العلمي يمكن أن يأخذ طابع العمومية عندما يشير إلى مجموعة من القواعد العامة التي تعمل طبقاً لها كل العلوم، ويمكن أن توجد مناهج نوعية تتعدد باختلاف العلوم والبناء المنطقي لكل علم^(١)، وفي كل الحالات فإننا نهدف إلى تحصيل المعرفة العلمية وهي رصيد العلم الحقيقي.

المبحث الثاني: مفهوم الدعوة ومشاكلها

تمهيد: الدعوة في الإسلام هي التبشير والدعوة إلى دخول الإسلام، والإيمان به وبما جاءت به رسله، بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا، وهو بحسب المفهوم الإسلامي قيام المسلم ذي الأهلية في العلم والدين بتبصير الناس وتنويرهم بأمور الدين، وحثهم على الخير، وإنقاذهم من شر واقع، وتحذيرهم من سوء متوقع، على قدر الطاقة، ليفوزوا بسعادة عاجل والآجل^(٢). ويُختصر تعريف الدعوة بأنه معرفة الدين ودعوة الناس إليه، ويُسمى المسلم المُتطوع للدعوة بالداعي أو الداعية، وهو الشخص الذي تطوَّع لنفسه لهذا العمل، وهو الذي يدعو الناس إلى الإسلام عن طريق الحوار وإقامة الحُجج بغرض التبليغ وإيصال الرسالة.

وُردت أدلة شرعية من القرآن والسنة النبوية وكذلك على بعض آثار صحابة نبي الإسلام محمد بأن أساس الدعوة هي اللين والرحمة والتعامل بخُلُقٍ حسن، لا الغلظة والفظاظة، كما يؤمن المسلمون بأنه لا يُوجد إكراه في الدعوة ولا إجبار، وتكون الإستجابة بالإختيار. لا تكون الدعوة فقط في غرض الدخول في الإسلام، بل الدعوة في العمل بواجباته وأركانه، والتخلي عما يناقضه، فالدعوة تكون على المسلمين وبشكلٍ أكبر على غير المسلمين. سنحاول في هذا الجزء من بحثنا التوقف عند مصطلح (الدعوة) وأهم دلالاته، ثم نعرض تعريفات ونماذج من تلك المقولة ونختمه ببيان مفهوم المشكلة أو المشاكل الدعوية ملخصاً.

١. أنظر: د. قاسم محمد محمد: المدخل إلى المنهج العلمي، مرجع سابق، ص، ٥٣، ٥٤.

٢. ابن حميد صالح بن عبد الله، معالم في منهج الدعوة، دار الأندلس الخضراء ١٩٩٩م، ص ٩١.

المطلب الأول: معنى الدعوة لغة

كلمة (الدعوة) هي مصطلح إسلامي، وهناك علاقة وثيقة بين مدلول هذا اللفظ في الأصل اللغوي، وبين استعماله كمصطلح إسلامي فقط. والدعوة مُشتقة من "دَعَّ و" على وزن "فَعَّل"، وهذا اللفظ لا يحمل إلا معنى واحداً، وهو: أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك^(١). ومشتقات هذا الفعل لم تخرج في مدلولاتها عن هذا المعنى أبداً. وكذلك تأتي بمعنى الإمالة والترغيب^(٢).

مشتقة من الفعل الثلاثي دعا يدعو دعوة، والاسم: الدعوة، والقائم بها يسمى داعية، والجمع: دعاة.

ولكلمة الدعوة في اللغة عدة معان: النداء، والطلب، والتجمع، والدعاء، والسؤال، والاستمالة.

قال الزمخشري: دعوت فلاناً وبفلان ناديته وصحت به^(٣).

وقال الرازي: و الدَّعوة إلى الطعام بالفتح يقال: كنا في دعوة فلان و مدعاة فلان وهو مصدر والمراد بهما: الدعاء إلى الطعام. والدَّعي من تبنيته ومنه قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾^(٤).

ودعاه صاح به و استدعاه أيضاً و دعوت الله له وعليه أدعوه دعاء. والدعوة المرة الواحدة والدعاء أيضاً واحد الأدعية وتقول للمرأة أنت تدعين وتدعوين وتدعين بإشمام العين الضمة وللجماعة أنتن تدعون مثل الرجال سواء وداعية اللبن ما يترك في الضرع ليدعو ما بعده. وفي الحديث: «دع داعي اللبن»^(٥) (١).

١ . ابن فارس، ابوالحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، دارالحديث بالقاهرة، ٢٠٠٨ م، ج ٢، ص ٢٧٩.

٢ . الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، دارالكتب العلمية، ١٤١٠ م، ج ١، ص ١٧٦.

٣ . الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي، أساس البلاغة، دار الفكر، ط ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م، ج ١، ص ١٨٩.

٤ . سورة الأحزاب (٤).

٥ . أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد الحنبلي، الأحاديث المختارة، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهميش، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ط ١، ١٤١٠ هـ، جل، ص ٩١.

وقال ابن منظور: الدعوة: المرة الواحدة من الدعاء ومنه الحديث: «فإن دعوتهم تحيط من ورائهم»^(٢). أي تحوطهم وتكنفهم وتحفظهم يريد أهل السنة دون البدعة. والدعاء: واحد الأدعية، وأصله دعاو لأنه من دعوت، إلا أن الواو لما جاءت بعد الألف همزت ودعا الرجل دعوا ودعاه: ناداه، والاسم: الدعوة. و دعوت فلاناً أي صحت به واستدعيته. والدعاة: قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة، وأحدهم داع. ورجل داعية إذا كان يدعو الناس إلى بدعة أو دين، أدخلت الهاء فيه للمبالغة^(٣). وقال الزبيدي: (الدَّعَاءُ)، بالضم ممدوداً؛ (الرَّغْبَةُ إلى الله تعالى) فيما عنده من الخير والابتihal إليه بالسؤال؛ ومنه قوله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾^(٤).

(دعا) يَدْعُو (دعاءً ودَعْوَى)؛ وألفها للتأنيث. وقال ابن فارس: وبعض العرب يُؤنث الدَّعْوَةَ بالألف فيقول الدَّعْوَى. ومن دعائهم: اللهم أشركنا في دَعْوَى المسلمين، أي في دُعائهم، ومنه قوله تعالى: ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَاٰخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٥).

المطلب الثاني: الدعوة اصطلاحاً

قدّم العلماء والباحثون تعريفات متعددة للدعوة؛ فمنها أن: الدعوة عملية إحياء لنظام ما؛ لتنتقل الأمة بها من محيط إلى محيط، وعلى هذا فيعرف فضيلة الدكتور رؤوف شلبي - رحمه الله تعالى - الدعوة الإسلامية بما يلي:

-
- ١ . الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، المرجع السابق، ج ١، ص ٨٦.
 - ٢ . أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري، الحاكم، المستدرک على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ٤ أجزاء، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م، ج ١ ص ١٦، رقم الحديث: ٤٢٢١. وقال حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.
 - ٣ . ابن منظور، أحمد بن مكرم الأفريقي المصري، لسان العرب، المرجع السابق، ج ٢، ص ٢٥٨-٢٥٩.
 - ٤ . سورة الأعراف (٥٥).
 - ٥ . سورة يونس (١٠).

هي الحركة الإسلامية في جانبَيْها: النظري والتطبيقي. من حيث هي: حركة بناء للدولة الإسلامية. ومن حيث هي: دفاع عن استمرار وجود الدولة الإسلامية^(١). كلمة الدعوة من الألفاظ المشتركة، فإنه يراد بها في الغالب معنيان: الأول: الدعوة بمعنى الإسلام أو الرسالة والثاني: الدعوة بمعنى عملية نشر الإسلام وتبليغ الرسالة. وعلى المعنى الأول: الدعوة بمعنى الإسلام أو الرسالة جاءت تعريفات اصطلاحية كثيرة، ومنها:

قيل: هي دين الله الذي بعث به الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- جميعاً، تجدد على يد محمد -صلى الله عليه وسلم- خاتم النبيين، كاملاً وافياً لصالح الدنيا والآخرة. وقيل: هي دين الله الذي ارتضاه للعالمين؛ تمكيناً لخلافتهم، وتيسيراً لضرورتهم، ووفاءً بحقوقهم، ورعايةً لشؤونهم، وحمايةً لوحدهم، وتكريماً لإنسانيتهم، وإشاعة للحق والعدل فيما بينهم. وقيل: هي الضوابط الكاملة للسلوك الإنساني، وتقرير الحقوق والواجبات. وهي قبل ذلك وبعده: الاعتراف بالخالق، والبر بالمخلوق^(٢). وقيل: هي نداء الحق للخلق؛ ليوحداوا المعبود، ويعبدوا الواحد، حنفاء لله غير مشركين به، متبعين غير مبتدعين^(٣).

وأما على المعنى الثاني: (الدعوة بمعنى عملية نشر وتبليغ الإسلام) فجاءت أيضاً على تعريفات كثيرة، ومنها: عَرَّفها شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- بقوله الدعوة إلى الله: هي الدعوة إلى الإيمان به وبما جاءت به رسله بتصدقهم فيما أخبروا به وطاعتهم فيما أمروا وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت والدعوة إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والإيمان بالقدر خيره وشره والدعوة إلى أن يعبد العبد ربه كأنه يراه^(٤).

١. شبلي رؤوف، الدعوة الإسلامية في عهدها المكي مناهجها وغاياتها، نشر دارالقلم، الطبعة الثالثة، ١٩٨٢م، ج ١، ص ٢٧.

٢. الراوي محمد عبدالرحمن، الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٥م، ص: ١١-١٢.

٣. أبو السعود عبد رب النبي علي، التخطيط للدعوة الإسلامية وأهميته، دار التوفيق النموذجية للطباعة، القاهرة، ط ١، ١٩٩٢م. ص ١٩.

٤. أبو العباس أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني، مجموع فتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مكتبة ابن تيمية، ط ٤، ١٤٠٨هـ، ج ١٥، ج ١٥٧-١٥٨.

وقيل: هي تبليغ الإسلام للناس، وتعليمه إياهم، وتطبيقه في واقع الحياة^(١). وقيل: هي الحث على فعل الخير واجتناب الشر والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والتحبيب بالفضيلة، والتنفير من الرذيلة واتباع الحق ونبد الباطل^(٢). وقيل: هي الدعوة إلى توحيد الله، والإقرار بالشهادتين، وتنفيذ منهج الله في الأرض قولاً وعملاً، كما جاء في القرآن الكريم والسنة المطهرة؛ ليكون الدين كله لله^(٣). وقيل: هي قيام من له أهليه، بدعوة الناس جميعاً، في كل زمان ومكان، لاقتفاء أثر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والتأسي به، قولاً وعملاً وسلوكاً^(٤). وقيل: هي إبلاغ الناس دعوة الإسلام، في كل زمان ومكان، بالأساليب والوسائل، التي تتناسب مع أحوال المدعوين^(٥). وقيل: هي فن يبحث في الكيفيات المناسبة التي يجذب بها الآخرين إلى الإسلام أو يحافظ على دينهم بواسطتها^(٦). وقيل: هي إنقاذ الناس من ضلالة أو شر واقع بهم، وتحذيرهم من أمر يخشى عليهم الوقوع في بأسه^(٧). وقيل: هي عملية إحياء لنظام ما؛ لتنتقل الأمة بها من محيط إلى محيط^(٨). وقيل: هي قيام الداعية المؤهل بإيصال دين الإسلام إلى الناس كافة، وفق المنهج القويم، وبما يتناسب مع أصناف المدعوين، ويلائم أحوال وظروف المخاطبين في كل زمان ومكان^(٩).

-
- ١ . البيانوني أبو الفتح محمد، المدخل إلى علم الدعوة، مؤسسة الرسالة العالمية، ٢٠١٠م، ص ١٧.
 - ٢ . الخطيب محمد نمر، مرشد الدعاة، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ط ١، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، ص: ٢٤.
 - ٣ . الواعي توفيق، الدعوة الى الله " الرسالة - الوسيلة - الهدف "، ص: ١٩، مكتبة الفلاح، الكويت ط ١، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
 - ٤ . الحبيب محمد بن سيدي، الدعوة إلى الله في سورة إبراهيم الخليل، دار الوفاء، جدة، ط ١، ١٤٠٦هـ ص: ٢٧.
 - ٥ . المرشد علي صالح، مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، مكتبة البينة، دمنهور، مصر ط ١، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، ص ٢١.
 - ٦ . الشاذلي عبد الله يوسف، الدعوة والإنسان، المكتبة القومية الحديثة، طنطا ط ١، ١٤٢٧هـ، ص: ٣٩.
 - ٧ . الخضر حسين محمد، الدعوة إلى الإصلاح، المطبعة السلفية، القاهرة، ط ١، ١٣٤٦هـ، ص: ١٧.
 - ٨ . رؤوف شلبي، الدعوة الإسلامية في عهدها المكي منهاجها وغاياتها، دار القلم، الكويت، ط ٣، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، ص ٣٢.
 - ٩ . المغذوي عبد الرحيم، الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، دار الحضارة، الرياض، ط ٢، ١٤٣١هـ، ص: ٤٩.

وهذه التعاريف لا منافاة بينها، فليست من باب إختلاف التضاد، لكنها من باب إختلاف التنوع، فكل تعريف للدعوة من هذه التعاريف عني بجانب من جوانب الدعوة وركز عليه^(١). والباحث هنا أراد المعنى الثاني وهو عملية النشر والتبليغ؛ لصلته الوثيقة بمقصد البحث.

ولكي يشمل تعريف الدعوة الإسلامية مراحل الدعوة الثلاثة؛

التبليغية، والتكوينية، والتنفيذية من جهة، ولكي يحتوي على عناصر عمل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام عامة، وعمل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم خاصة من جهة أخرى، فقد رأى الشيخ الأستاذ/محمد أبو الفتح البيانوني أن تُعرّف الدعوة الإسلامية بأنها: (تبليغ الإسلام للناس، وتعليمه إياهم، وتطبيقه في واقع الحياة).

ومن خلال آيات في كتاب الله -عز وجل- تتحدّث عن الدعوة من حيث هي هداية وإرشاد، وتبليغ وإنذار، وجهاد بالقرآن الكريم، فإني أستعرض بعض تلك الآيات:

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٢).
وقوله تعالى: ﴿يَقَوْمَنَا أَحِبُّوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ، يَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(٣).

كما جاء قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾^(٤). ، وقوله تعالى: ﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾^(٥)، وقوله تعالى: ﴿فَرُّ فَأَنْذِرْ﴾^(٦).

ومما سبق يتضح أن الدعوة هي عملية دعاء وتبليغ وإنذار، وبذل للجهد، وهداية إلى الطريق المستقيم، ومغفرة الذنوب، والفوز بالجنة، والنجاة من النار. وعلى ذلك ممكن أن قدم تعريفاً للدعوة وهو: إنذار الناس وتبليغهم دين الله تعالى، وبذل الجهد في نصحتهم بالتي هي أحسن؛ للترقي بهم إلى أعلى المراتب.

١ . العمار حمد ناصر عبد الرحمن، نصوص الدعوة في القرآن الكريم، دار إشبيليا، الرياض، ط ٢، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م ص: ١٨.

٢ . سورة يونس: (٢٥).

٣ . سورة الأحقاف: (٣١).

٤ . سورة المائدة: (٦٧).

٥ . سورة الفرقان: (٥٢).

٦ . سورة المدثر: (٢).

المطلب الثالث: مفهوم المشاكل

المشاكل التي تعترض طرائق الإصلاح والترشيد والدعوة، متنوعة متباينة، وسوف نعرض خلال الرسالة لبعض أبرز وأوضح وأشهر نماذجها الراهنة في رؤية الدكتور محمد عمارة رحمه الله. لكن من المناسب قبل التعرض لذلك أن نقف وقفة قصيرة عجلى أمام مصطلح (المشاكل)، فالمصطلحات كما سبقت الإشارة - بالنسبة للفكر والثقافة هي كالمعاجم بالنسبة للغة والمفردات.

المشكلة هي ذلك الوضع الذي يمثل وجوده أو عدم وجوده، تهديداً أو إضعافاً أو تشويهاً جزئياً أو كلياً، دائماً كان أو مؤقتاً، لوجود وضع آخر يراد له الثبات والقوة والاستمرار والتمكين ومثال ذلك التحدي الثقافي، فهو يمثل تهديداً وخطراً وإضعافاً وتشويهاً لمنظومة ثقافية أخرى لها نسقتها ومرجعيتها المتفردة المتميزة، ولهذا السبب يصح أن نطلق عليه مصطلح التحدي الثقافي^(١).

أيضاً هنالك تعريف آخر يقول بأن المشاكل هي تطورات أو متغيرات أو مشكلات أو صعوبات، أو عوائق نابعة من البيئة المحلية أو الإقليمية أو العالمية. وهي قد تكون ذات صبغة ثقافية أو إعلامية أو دينية أو اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية أو عسكرية أو صحية أو بيئية.. إلخ^(٢).

وغالباً ما يكون حجم المشاكل عاملاً رئيساً في تحديد مدى أخطارها وأضرارها على الوضع الذي تستهدفه أو تتهدده، فقد لوحظ أن بعض المشاكل يمثل خطراً حقيقياً، نظراً لشدة تأثيرها، وأن بعضها الآخر يكون إفتراضياً أو محدود التأثير.. فنوعية المواجهة أو طريقة التصدي تتحدد بناء على تقويم نوع التحدي ومدى تأثيره أو ضرره.

١. أنظر: النويري، إبراهيم، أهم التحديات المعاصرة في طريق الدعوة الإسلامية، مجلة الجامعة الأسمرية، عدد ٢٠، سنة ١١.

٢. زكريا داود، الأمة الإسلامية والتحديات المعاصرة، مقال منشور على موقع www.awihdah.com / تاريخ ٢٦

أبريل ٢٠١٠.

المبحث الثالث: ترجمة حياة الدكتور محمد عمارة

تمهيد: تكمن أهمية الدراسة من حياة الدكتور محمد عمارة ومنزلته في الساحة الإسلامية والفكر الإسلامي تأصيلاً لنقاط الحوار مع الآخر وتحديدًا في العرض المنطلق من التراث والمستفيد من التطورات التي تشهدها الإنسانية كلها. بالإضافة إلى أهمية المصطلحات وتحريرها لأهميتها في إقامة حوار فعال. تنقسم هذه الدراسة إلى مبحث يشمل أوله تعريفًا بالدكتور محمد عمارة بداية من الميلاد والنشأة وحياته وتكوينه الفكري، وتتناول المطالب المتتالية ضبط المصطلحات وأهميتها في كتاباته ومنهجه في دراستها، وفي النهاية الرد علي بعض التهم الواردة علي الدكتور رحمه الله وهو متبراً منها.

المطلب الأول: الميلاد والنشأة

الدكتور محمد عمارة مصطفى عمارة (١٩٣١ - ٢٠٢٠) عضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، ولد في قرية "مروة"^(١) في ريف مصر في مركز قلين" بمحافظة كفر الشيخ في شهر رجب سنة ١٣٥٠هـ الموافق ١٩٣١م. وقد نذره والده وهو ما زال حملاً في بطن أمه إن جاء ذكراً سيسميه محمداً ويهبه العلم أي العلم الدين.^(٢) حفظ القرآن الكريم في سن صغيرة في كتاب القرية، ثم دخل المعهد الديني الابتدائي عام ١٩٤٥م وهو في الرابعة عشرة من عمره، وكان هذا طبيعي في تلك الحقبة الزمنية وقد تأثر في تلك المرحلة الأولى في تكوينه العلمي بأستاذه الشيخ محمد كامل الفقي الذي شجعه وزملاءه على القراءة ومطالعة في غير الكتب المدرسية. وهو في سن الثامنة عشرة من عمره تمكن من شراء مكتبة كاملة كان قد تركها الشيخ عبد التواب الشناوي أحد خريجي الأزهر بعد وفاته في القرية نفسها، وكانت مكتبة غنية تحوي أربعة آلاف كتاب في الفكر والتراث العربي الإسلامي والفلسفة والاجتماع

١ . أنظر: محمد، بليوجرافيا الدكتور محمد عمارة، المؤلفات كشاف الفهارس الموضوعات، ١١/١٧-١٧؛ جاد، المشروع الفكري للدكتور محمد عمارة: ٤٧٠ ٥٠٦. ومحمد عمارة، حقائق وشبهات حول معنى السنة في القرآن الكريم (القاهرة، مصر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ٢٠١٠)، ٢١٣ ٢٢٢. محمد عمارة، حقائق وشبهات حول القرآن الكريم، القاهرة، مصر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ٢٠١٢م، ٢٥١-٢٦٢. د معتز الخطيب، محمد عمارة في حديث مع الجزيرة عن حياته"، ٢٤ سبتمبر ٢٠٢٢م.

٢ . عمارة، محمد، الإسلام والأمن الاجتماعي، الطبعة الأولى، دار الشروق، ١٩٩٨م، ص ١٢٣.

والأدب والحديث والفقه والتاريخ، بين عربية ومترجمة عن الأوروبية، وقرأها وهو طالب وحفظ كثيرا منه^(١).

ثم انتقل إلى المعهد الأزهري الثانوي بطنطا عام ١٩٤٩م بعد أن حصل على الشهادة الابتدائية. فحصل على الشهادة الثانوية عام ١٩٥٤م. وفي تلك الأثناء التي شكلت لبنات أساسية في فكره زاحمت أفكار التنظيمات المصرية اليسارية التكوينية الديني في ذهنه، فجعلته مقتنعا بأفكارها السياسية الاجتماعية لا سيما ما يتعلق بالعدالة الاجتماعية التي كانت طلبته في قريته بسبب ما يعانيه الفلاحون من الإقطاعيين. كما صاحب ذلك اهتماماته بالقومية العربية طوال الخمسينات والستينيات^(٢).

المطلب الثاني: نشاطاته الجامعية

إلتحق محمد عمارة بكلية دار العلوم في القاهرة بعد اجتيازه إختبارات القبول، وكان ذا نشاط ظاهر بين طلاب الجامعة، فقد أنشأ مع زملائه مجلة حائط باسم "الشروق" لنشر مواد ثقافية وفكرية، وبدأ الكتابة في جريدة "المساء" التي صدرت عام ١٩٥٦م. وأصدر أول كتاب له عام ١٩٥٨م، وهو كتاب "القومية العربية ومؤامرات أمريكا ضد وحدة العرب"، الذي ما لبث أن تُرجم إلى اللغة الروسية في ذلك الوقت وفي أثناء دراسته في كلية دار العلوم. كانت القاهرة مليئة بالنشاط الثقافي الذي يمكن الباحث أن ينهل من المحاضرين المتنوعي المشارب والاهتمامات والمذاهب الفكرية والأدبية والسياسية، فكان يحضر كثيرا من اللقاءات والمحاضرات لأمثال طه حسين والعقاد في لقاءاتهم الخاصة والعامة في أماكن مختلفة في القاهرة، مع ما كان يقرأه في مختلف الاتجاهات الفكرية إلى جانب ما ينشره من المقالات في صحيفة "المساء" المصرية ومجلة "الآداب" البيروتية وغيرهما^(٣).

١ . محمد على أبو هندي، مشروع النهضة بين الإسلام والعلمانية، دراسة في فكر محمد عمارة ومحمد عابد الجابري، القاهرة، مصر: دار السلام المطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ١٤٣١هـ، ص ٥٠-٥١.

٢ . يحيى رضا جاد، المشروع الفكري للدكتور محمد عمارة، القاهرة، مصر: مفكرون الدولية للنشر والتوزيع، (٢٠١٨)، ص ٤٧٦-٤٧٨.

٣ . عمارة، محمد، نهضتنا الحديثة بين العلمانية والإسلام، الطبعة الأولى، الجيزة - مصر، ١٩٩٧م، ص ٢١٩.

وكان المفترض أن يتخرج محمد عمارة في كلية دار العلوم عام ١٩٥٨م، لكنه فصل من الجامعة لمدة عام بسبب نشاطاته، وبعد نهاية مدة الفصل عاد إلى الجامعة، وفي بداية عام ١٩٥٩م اعتقل لمدة خمس سنوات ونصف، ثم خرج واستكمل دراسته وتخرج عام ١٩٦٥م. ثم التحق بالدراسات العليا بقسم الفلسفة في كلية دار العلوم، وحصل على درجة الماجستير عام ١٩٧٠م بموضوع مشكلة الحرية الإنسانية عند المعتزلة" حيث درس وحقق عددا من النصوص التراثية المتعلقة بفكر "العدل والتوحيد"، ونشر تلك الرسالة فيما بعد في كتابين: "رسائل العدل والتوحيد" و "المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية". ثم سجل لدراسة الدكتوراه حول موضوع "نظرية الإمامة وفلسفة الحكم عند المعتزلة" حيث قدم دراسة مقارنة لفكر المعتزلة مع الشيعة والفرق الإسلامية الأخرى حول موضوع الدولة والخلافة والإمامة، وحصل على الدكتوراة عام ١٩٧٥م^(١).

المطلب الثالث: مشاريعه العلمية

وبعد تخرجه في الجامعة أعطى كل وقته تقريباً وجميع جهده لمشروعه الفكري، فحقق عدداً من نصوص التراث الإسلامي القديم والحديث وجمع وحقق ودرس الأعمال الكاملة لعدد من أعلام اليقظة الإسلامية الحديثة، رغم ما قيل عنهم من معارضيهم في وقتهم وما يقال حتى الآن أمثال الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوي (ت. ١٨٧٣م) والجمال الدين الأفغاني (ت. ١٨٩٧م) ولمحمد عبده (ت. ١٩٠٥م) ولعبد الرحمن الكواكبي (ت. ١٩٠٢م) ولعلي مبارك (ت. ١٨٩٣م) وقاسم أمين (ت. ١٩٠٨م) وكتب عنهم أيضاً كتباً أخرى إضافة إلى أعمالهم الكاملة. وكتب عدة دراسات عن أعلام التجديد الإسلامي مثل: عبد الرزاق السنهوري باشا (ت. ١٩٧١م) والشيخ محمد الغزالي (ت. ١٩٩٦م) وعبد الحميد بن باديس (ت. ١٩٤٠م) ومحمد الخضر حسين (ت. ١٩٥٨م) وأبي الأعلى المودودي (ت. ١٩٧٩م) وحسن البنا (ت. ١٩٤٩م) وسيد قطب (ت. ١٩٦٦م). وعن أعلام التراث

١ . يحيى، رضا جاد المشروع الفكرى للدكتور محمد عمارة (القاهرة، مصر : مفكرون الدولية للنشر والتوزيع، (٢٠١٨)، ص٤٧٤، ٤٩٣، ٤٩٤.

الإسلامي على مختلف مشاربهم ومذاهبهم الفكرية، مثل: غيلان الدمشقي (ت. ١٠٦هـ) والحسن البصري (ت ١١٠هـ) وعمرو بن عبيد (ت ١٤٤هـ) ومحمد بن الحسن النفس الزكية (ت. ١٤٥هـ) وابن رشد (ت ٥٩٥هـ). وكتب عن بعض الصحابة مثل عمر بن الخطاب (ت ٢٣هـ) وعلي بن أبي طالب (ت. ٤٠هـ) وأسماء بنت أبي بكر (ت ٧٣هـ) وغيرهم.

وقد حاور محمد عمارة عددًا من أصحاب المشاريع الفكرية الوافدة وناظرهم، أمثال نصر أبو زيد^(١) ومحمد عابد الجابري^(٢) واهتم في مؤلفاته بالسمات المميزة للحضارة الإسلامية على طول تاريخها، وبالمشروع الحضاري الإسلامي في مرحلتي التراجع والنهضة، وبعرض المواجهة مع الحضارات غير الإسلامية ودوافعها، وتيارات العلمنة والتغريب في كتابات المسلمين وغيرهم وانشغل بموضوعات العدل الاجتماعي الإسلامي، و مباحث العقلانية الإسلامية والنص والإجتهد وعدم التعارض بين النقل والعقل كما أسهم في تحرير العديد من الدوريات الفكرية المتخصصة، وشارك في كثير من الندوات والمؤتمرات العلمية في مصر والوطن العربي والعالم الإسلامي وخارجه، كما شارك في تحرير العديد من الموسوعات السياسية والحضارية والعامّة مثل: "موسوعة السياسة" و"موسوعة الحضارة العربية" و"موسوعة الشروق" و"موسوعة المفاهيم الإسلامية" و "الموسوعة الإسلامية العلمية" و "موسوعة الأعلام..." وغيرها.

١. نصر حامد أبو زيد (١٩٤٣-٢٠١٠م) أكاديمي مصري، وباحث متخصص في الدراسات الإسلامية ومتخصص في فقه اللغة العربية والعلوم الإنسانية. أثارت كتاباته ضجة إعلامية في منتصف التسعينيات من القرن الماضي وأُتهم بالردة والإلحاد. وحكمت محكمة مصرية بالتفريق بينه وبين زوجته. نادى أبو زيد بإخضاع القرآن لنظرية غربية مادية تنكر الخالق وتؤول الوحي الإلهي على أنه إفراز بيئوي أسطوري، ناتج عن المعرفي التاريخي الغارق في الأسطورة. رد عليه كثيرون منهم الدكتور محمد عمارة رحمه الله.

٢. محمد عابد الجابري (٢٧ ديسمبر ١٩٣٦ - ٣ مايو ٢٠١٠) هو أستاذ الفلسفة والفكر العربي الإسلامي في كلية الآداب بالرباط. أغنى المكتبة العربية بتأليفه ٣٠ كتاباً تدور حول قضايا الفكر المعاصر ويعد «توطين الفكر العربي» أهمها وكان قد ترجم إلى عدة لغات، حصل على جائزة بغداد للثقافة العربية من اليونسكو عام ١٩٨٨ والجائزة المغربية للثقافة في تونس عام ١٩٩٩، يعتبر د. الجابر من أهم المفكرين المغربيين الذين تركوا بصمة واضحة في الأدب العربي المعاصر.

وقد نال عضوية عدد من المؤسسات العلمية والفكرية والبحثية، مثل: "المجلس الأعلى للشئون الإسلامية" و "مركز الدراسات الحضارية" و "مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف" في القاهرة، و "المعهد العالي للفكر الإسلامي" في واشنطن، و "المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية مؤسسة آل البيت بالأردن، وحصل على عدد من الجوائز والأوسمة والشهادات التقديرية والدروع، مثل: "جائزة جمعية أصدقاء الكتاب" لبنان ١٩٧٢م، و "جائزة الدولة التشجيعية" مصر ١٩٧٦م، و "وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى مصر ١٩٧٦م، و "جائزة علي وعثمان لمفكر العام ١٩٩٣م، و "جائزة المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية ١٩٩٧م، و "وسام التيار القومي الإسلامي - القائد المؤسس" ١٩٩٨م، وجائزة مؤسسة "أحمد كانو للدراسات الإسلامية" البحرين ٢٠٠٥م،^(١) وتوفي رحمه الله في ٢٨/٠٢ / ٢٠٢٠م. وترجم عدد كبير من كتبه إلى عدة لغات شرقية وغربية مثل اللغة التركية والمالايوية والفارسية والأوردية والإنجليزية والفرنسية والروسية والإسبانية والألمانية والألبانية والبوسنية.

المطلب الرابع: أثر البيئة في نشاطه

وقد تأثر محمد عمارة بما كان حوله من ظروف إجتماعية وسياسية واقتصادية؛ فعارض الظلم الإقطاعي بوسائل عديدة كخطبه التي كان يلقيها في مساجد قريته. وكتاباته في جريدة حزب مصر الفتاة" نثرا وشعرا في نقد الأوضاع السياسية والاجتماعية القائمة آنذاك. وجدير بالذكر أن الدكتور محمد عمارة صاحب التجربة الروحية الصوفية الذاتية بعيدا عن الطرق والجماعات، لم يقبل كل ما في الاشتراكية من طابع مادي وتفسيرات مادية لنشأة الخلق أو التطور التاريخي^(٢) ولقد كان عمارة متعاطفا مع ثورة يوليو عام ١٩٥٢م في بدايتها؛ لأنها في وجهة نظره كانت انتصارا لإرادة الشعب ضد الإقطاع والملك الذي يحميه، لكنه سرعان

١. عمارة، محمد، الإسلام والأمن الاجتماعي (دار الشروق (١٩٩٨) ص ١٢٥-١٢٦.

٢. يحيى رضا جاد، المشروع الفكري للدكتور محمد عمارة، المرجع السابق، ٧٨؛ محمد علي أبو هندي مشروع النهضة بين الإسلام والعلمانية، دراسة في فكر محمد عمارة ومحمد عابد الجابري (القاهرة، مصر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ١٤٣١) ص ٥٢-٥٣.

ما نفر منها حين وجدها تستخدم الآليات والقوى والرموز والأشخاص الذين كانوا في يد الملك من قبل، وهم في الأساس يعادون الثورة وأهدافها^(١). واستمر محمد عمارة في مساره الاشتراكي حتى اعتقل مع كثير من أعضاء التنظيمات الشيوعية عام ١٩٥٩م، وبعد خروجه لم يشارك في أي عمل سياسي؛ لأن موقفه الفكري قد تبلور في السجن، بعد أن رأى عن قرب الفرق والجماعات اليسارية والإسلامية باختلاف إتجاهات أصحابها، وقرر التفرغ الكامل والتركيز على صناعة الفكر؛ ليعمل على تصحيح الفهم الخطأ للنص الديني وتعاليمه. وقد بدأ ذلك منذ بداية خطبه في مساجد القرية حين بدأ بنصيحة الفلاحين أنهم إذا لم يحصلوا من عملهم على ما يكفيهم وأولادهم، فإنهم عصاة الله، وذكر لهم أن الله يبشر الذين يظلمون أنفسهم بالنار، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الظَّالِمِينَ أَنْفُسُهُمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۝٩٧﴾^(٢). وكان في ذلك يشجع الفلاحين المستضعفين على الثورة في وجه الإقطاع وظلمه^(٣).

وهكذا مر محمد عمارة بتحويلات فكرية عديدة، فرغم نشأته الدينية فإنه كان في بداياته يسارياً عربياً منظرًا للفكر الماركسي مكرسًا نشاطه دفاعاً عن العروبة ومحاربة الإستعمار حتى إنتهى به المطاف إلى مغادرة الجبهة اليسارية والانضمام إلى التيار الإسلامي. وعن هذا التحول يقول الدكتور عمارة: "دخلت اليسار من باب الدفاع عن القضايا الثورية والعدالة الاجتماعية، لكنني إكتشفت أن حل المشكلة الاجتماعية هو في الإسلام، وليس في الصراع الطبقي والماركسية"^(٤).

١ . عبد الرازق عيسى، محمد عمارة داعية الإحياء والتجديد، دمشق: دار القلم، د.ت، ص ١٥.

٢ . سورة النساء: ٩٧.

٣ . يحيى رضا جاد، المشروع الفكري للدكتور محمد عمارة، المرجع السابق، ص ٤٨٨.

٤ . الرفاعي، عبد الجبار الاجتهاد الكلامي مناهج ورؤى متنوعة في الكلام الجديد، بيروت، لبنان: دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٢م، ص ١٦٠.

المطلب الخامس: ملامح المشروع الفكري لدى الدكتور محمد عمارة

وكان عمارة ينتقد تركيز التيارات الإسلامية على السياسة وإهمالها المشروع الإصلاحى، وتجاهلها مسألة العدالة الاجتماعية. ويرى أن الواجب إبراز حقيقة الإسلام ومعالمه عقيدة وشريعة ومنظومة فكرية، وإحياء المجتمع بالإسلام الذي أحيا الدنيا في العصور الأولى، وهدى الإنسانية حين أخرجها من الظلمات إلى النور، والاهتمام بفقهِ الواقع الذي نعيش فيه وإنزال الأحكام الإسلامية عليه، ودفع ما يحيط بالإسلام من عداوات وتحديات خفية أو معلنة، فتعرف إسلامنا، وتعرف الآخرين بحقيقته، ونتعرف على الواقع الذي نحن بحاجة إلى فقهِه وإلى أسلمته، وعلى التحديات التي يواجهها الإسلام. وبذلك تتكون معالم المشروع الفكري الوسطي المستوعب الإستقطاب الواضح في الحياة الفكرية بين قوم إحترفوا الكتابة في الإسلاميات لكن بضاعتهم مزجاة في محاوره الأفكار الأخرى والتغلب عليها، فتبقى فائدتهم -إن وجدت- محلية لا تصمد أمام الآخر، وبين آخرين تمذهبوا بالمذاهب العربية وأتقنوا الفكر الغربي وجهلوا قضايا الفكر الإسلامى، رغم أنهم مسلمون لكنهم إنبهروا بالغرب ورأوا فيه علاجا لكل مشكلاتهم، فكان لا بد من مشروع يستهدف تكوين عقلية إسلامية بنوبة إسلامية وجذور إسلامية، مع قدرتها على رؤية الإسلام في ضوء الفكر الآخر ورؤية الفكر الآخر في ضوء الإسلام؛ لتكتشف ميزات وتفرد الإسلام وحيا وحضارة. إستمر عمارة في طريقه ساعيا إلى أن يقدم للمكتبة العربية الإسلامية مشروعا فكريا واعيا يعالج قضايا يستطيع المتمعن في قراءته أن يكون حولها فكرة تضيء طريقه بنور التراث وتمده بآليات التفاعل مع الواقع بعقلية إسلامية أصولية ترتبط بالجذور الإيمانية والحضارية وتعيش عصرها وتستشرف مستقبلها. فقد أخذ موضوع الاستشراق و ملف التنصير وكشف ما في بضاعة أصحاب تلك المسالك من زيف وخوار نصيبا ملحوظا من كتاباته. كما أسهم بما قدمه من فكر متزن في قضية المرأة التي هي إحدى رثتي الأمة، وتحريرها بالإسلام الذي رفع قدرها وميزها بكثير من الحقوق التي أخرجتها من ويلات ما تعرضت له من إحتقار وإهانة خارج الإسلام، والرد على شبهات الغلاة حول القرآن وما يتعلق به من علوم ومصطلحات سبب سوء فهمها كثيرا من الغلط الذي كان له أثر بالغ في تاريخ المسلمين. وحقق نصوصا تراثية

لعدد من العلماء وقادة الفكر الذين رأهم روادًا لليقظة الإسلامية الحديثة، كما اختار من التراث القديم نصوصا وشخصيات وجد فيما قدمته عطاءً لا يزال صالحا للبناء عليه في واقعنا الذي نعيشه، ومعالجة قضايا قديمة إلى جانب تناوله هموما حالية تعيشها الأمة العربية الإسلامية. وقد عمل على محو الفصام النكد الذي إدعاه البعض بين الأصول الحضارية، وبين الواقع الذي نعيش فيه والمستقبل الذي نحاول استشرافه^(١)، دون مصادرة الآخر الذي نعيش معه ويعيش معنا، فالمصادرة والإكراه لا يحلان المشكلة ولا يصلان بالشخص الإيمان حقيقي، فالمنهج القرآني يستدعي ما لدى الآخر على تنوعه قال تعالى: ﴿قُلْ هَانُوءًا بِرَهْنَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٢)، ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾^(٣)، ويناقشه بالحجة، رغم أن الآخر يقول: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٤). هذا القرآن الذي حوى فكر ذلك الآخر الذي وصف نبيه بالسحر والجنون، ثم تمادى حتى نفى الآخرة وجعل الدنيا هي كل شيء ولا شيء بعدها، ثم استنكر التوحيد رغم أنه أمر منطقي لا شبهة فيه بل ويؤكد كل ما يدور حوله.

وطوال مسيرة عمارة كان يستشعر الحاجة إلى مشروع يقدم الإسلام نظاما ومشروعاً نحضوياً للأمة، ينطلق من أصوله الجوهرية النقية، المقدس فيه هو البلاغ القرآني والبيان النبوي له وما عدا ذلك مما في التراث يسترشد به غير مقدس وإنما نأخذ منه ما يفيد وما يجيب التساؤلات المطروحة في واقعنا المتغير. فالعلماء في القرون الماضية كانوا يجتهدون لعصورهم، ولو كانوا في عصرنا لما وقفوا عند إجهادات الأقدمين، فالتراث مُسَخَّرٌ لنا كبقاى آيات الكون، والأمة الإسلامية تميز موروثها الفكري بعقلانية منطلقة من القرآن الكريم معجزة

١ . عمارة، محمد. الصحو الإسلامية والتحدى الحضاري، القاهرة، مصر: دار الشروق ١٩٩٧م، ص ١٥٦-١٦٢؛ عمارة،

محمد، مسيرة قلم، القاهرة، مصر: دار المقاصد للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٦م، ص ٢٦-٢٧.

٢ . سورة البقرة: ١١١.

٣ . سورة الأنعام: ١٤٨.

٤ . سورة فصلت: ٢٦.

الإسلام العقلية التي أتت لتحكم إلى العقل لا لتدهشه - كالمعجزات المادية التي أتى بها الرسل والأنبياء التي أدهشت عقول المخاطبين بها وشلتها عن التفكير - فاهتمت باستدعاء العقل واستنفاره في إطار الإيمان وبناء العقلية المؤمنة التي تقيم الأدلة العقلية على النقل ولا تعارضه فالمقابل للعقل في الإسلام هو الجنون.

المطلب السادس: منهج الدكتور محمد عمارة في دراسة المصطلحات

إن قضية المصطلح ودراسته من أهم القضايا العلمية وأدق المسائل المعرفية؛ فبها تثبت المعاني وتتحدد المقاصد وتظهر الدلالات، فأى خلل في تأسيس مصطلح ما للدلالة على معنى معين، قد يؤدي إلى معان مضطربة بعيدة عن مقصد المستخدم، لا سيما إذا كان المصطلح يتعلق بالدين والعقيدة، ففهم أي مصطلح من المصطلحات التي تناولها القرآن الكريم سواء المتعلقة بالعقيدة أو الحضارة أو السياسة يلزمه بالضرورة الوقوف على معاني تلك المصطلحات في اللغة والقرآن الكريم وفي الثقافة الإنسانية سواء خارج المجتمع الإسلامي أو داخله على إمتداد تاريخه. فالمجتمع الإسلامي مكون إجتماعي وسياسي إستفاد من المجتمعات الأخرى وتأثر بما في جوانب عديدة، وانتابه جراء ذلك عديد من التساؤلات وحاول العثور على إجاباتها في الكتاب الكريم، إنطلاقاً من الإيمان بأن القرآن الكريم كتاب الوحي الإلهي المقروء فيه ذكر كل شيء ^(١) قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ ^(٢).

ومع استيعاب أن الاختلاف في المضامين والمفاهيم -رغم إتحاد المصطلح- أمر شائع في العديد من المصطلحات التي يتداولها العرب والمسلمون ويتداولها الغرب مع تغاير مضامينها في كل حضارة، مما يحدث إستعمالها دون الانتباه إلى المضامين العامة والخاصة لدى أهل كل حضارة وأهل كل مذهب أو عقيدة كثيراً من اللبس والخلط في حياتنا الثقافية والسياسية

والإعلامية المعاصرة ^(١) وقد أبدع الدكتور محمد عمارة في ذلك المجال كثيرا ففتبع العديد في محاولة لتقديمها للقارئ المنصف والباحث عن الحق دون تأثر بطرف من أطراف النزاع في تلك من المصطلحات المصطلحات. ودائما ما يؤكد محمد عمارة "أن أغلب حواراتنا هي ضحايا بئسة للفوضى الشائعة في مضامين المصطلحات؛ لذا علينا أن نبدأ بتحرير مضامين تلك المصطلحات التي نستخدمها في طرح أفكارنا وأحيانا تحاكم بها أطراف الحوار، ولا بد من تحديد مفاهيمها ليفهم كل منا الآخر ولتتحدد مناطق الاتفاق ومناطق التمايز؛ لأن ذلك مهمة أساسية لتنظيم أي حوار موضوعي حادٍ يساعد في مقاومة الاستقطاب الناتج عن الاختلافات الجذرية في الرؤية بين الغرب والشرق من ناحية وبين الإسلاميين والعلمانيين من ناحية أخرى" ^(٢) وذلك لا شك مدخل مهم لضبط حدود أي حوار داخل الأمة الإسلامية بين فصائلها المتعددة وعلى المستوى الخارجي في الحوار بينها وبين الأمم الأخرى. ولهذا كان قاموس المصطلحات في أي فن من الفنون أو علم من العلوم مهما جدا، وأداة شديدة التأثير في تكوين الفكر والمذهب والرؤية والهوية، وتكوين الإتجاه الحضاري لمن يستخدمه وصبغه بفلسفة واضعيه؛ فالقاموس أحد وسائل توجيه العقل لا سيما في ميدان العلوم الإنسانية. ولن تتمكن الأمة من فهم التراث الإسلامي بواسطة القاموس ذي المنطلقات والمفاهيم الغربية؛ لأن في ذلك عزلا للعقل المسلم عن تراثه الحضاري في المجالات المختلفة. فطوق النجاة لهذه الأمة هو في إدراكها حقيقة هويتها الحضارية وتفاعلها مع الآخرين ^(٣) ويبدأ ذلك من فهمها للمصطلحات التي تنتشر على السنة المنظرين وفي كتاباتهم، وهذه دعوة إيجابية من محمد عمارة للبدء الصحيح لأي حوار كذلك للفهم الصحيح لأي موضوع تناقش فيه؛ كي لا يكون مجرد حوار طرشان. فالله عز وجل قد خلق

١ . محمد عمارة، الأصولية بين الغرب والإسلام القاهرة، مصر: دار الشروق د.ت ص ٥، ومحمد عمارة، قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية (القاهرة، مصر: دار الشروق (١٩٩٣)، ص ٦.

٢ . أنظر: عمارة، محمد، إزالة الشبهات عن معاني المصطلحات، القاهرة، مصر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، (٢٠٠٩)، ص ٤٩، وعمارة، محمد، معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام القاهرة، مصر: نهضة مصر للطباعة والنشر، ٢٠٠٤، ص ٢٢، وعيسى، محمد عمارة داعية الإحياء والتجديد، المرجع السابق، ص ١٢١.

٣ . أنظر: عيسى عبد الرزاق، محمد عمارة داعية الإحياء والتجديد، المرجع السابق، ص ١٥٦-١٥٧.

الناس شعوبا وقبائل ودعاها إلى التعارف والعمل على عمران الأرض وتطوير الحياة؛ ولتحقيق ذلك لا بد من تعايش الأمم والشعوب ثقافة وحضارة، ومع ما وضع الله فيهم من: تعدد اللغات واختلاف الألسنة، كان وجود المصطلحات في الحوار بينهم يحتاج إلى ضبط معانيها المتداولة في المناقشات وتحديدها، حيث إن لهذه المصطلحات في كل لغة من اللغات مضامين ومفاهيم ومعاني مختلفة ومتميزة عن نظائرها في اللغات الأخرى. فالمصطلحات شائعة بين الجميع لكن تمام فهمها يُعوزه تحديد دلالاتها والتمييز بين ما هو مشترك إنساني عام من المعارف والعلوم وما هو من الخصوصيات الثقافية والفلسفية والدينية (١) وقد اعتنت الأمم كلها على تفاوت بينها بالمصطلحات، ووظفتها لصالحها في الغالب الأعم وكانت سلاحا قويا في معاركها مع غيرها من الأمم، ولا زالت الساحة الفكرية في العالم الإسلامي على وجه الخصوص تعاني من ذلك لوقوعها في مرحلة التبعية الفكرية للغرب في جوانب كثيرة من حياتها اليومية والفكرية. وإلى جانب ذلك فإن للمصطلحات دورا مهما في الوصول إلى العلوم ولولاها لتعذر علينا معرفة مسيرة العلوم في التاريخ الإنساني، فالتطور مستمر في شتى النواحي وهو كذلك في اللغة حين تضع ألفاظا جديدة لمدلولات مستحدثة، أو تغير دلالات ألفاظ أخرى أو تخرجها من مضامينها الحقيقية إلى مضامين جديدة، فما دامت الأسباب موجودة فالنطور واقع لا محالة؛ لهذا فإن تحديد المصطلحات ورصد التطور الدلالي لها أمر في غاية الأهمية كي لا ندور في حلقة مفرغة لعجز فيها عن الوصول إلى الهدف. فالمصطلحات مؤشر للفكر ومضامينه ومعبر عن الواقع المعرفي في أي مجتمع، وهي تتطور من مصطلحات مجردة إلى مدارس ومذاهب وفرق، فتتشعب وتتوسع دليلا على الثراء ولكن عدم التعرف عليها قد تحول إلى إشكالات وعقد فكرية (٢) تدفع كل المنشغلين بمجال الأفكار إلى إعادة اكتشافها وعدم التقليد الأعمى للشائع ولو كان في كتابات كثيرة؛ فالبحث الآن أكثر شمولية لا سيما إذا اجتهد الباحث في مجال المصطلحات كما فعل محمد عمارة من مقارنة المصطلحات في الثقافات المختلفة على

١ . أنظر: عمارة، محمد، إزالة الشبهات عن معاني المصطلحات، المرجع السابق، ص ٨.

٢ . أنظر: عمارة، محمد، معجم مصطلحات الفكر الإسلامي المعاصر: دلالاتها وتطورها، المرجع السابق، ص ١٣.

نحو ما تدعو إليه الدراسات الأسلوبية الحديثة. وقد أولى محمد عمارة أهمية كبيرة لتحرير المصطلحات التي يستخدمها، ولذلك أورد عددًا عظيمًا منها في مؤلفاته^(١) فقد أفرد لهذا الجانب عدة مؤلفات على رأسها، كتاب "إزالة الشبهات عن معاني المصطلحات" الذي يعد كتابًا جامعا لمعظم نتاج عمارة في جانب تحرير مضامين المصطلحات، وكتاب "قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية" وكتاب "معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام" وكتاب "في الطريق إلى اليقظة الإسلامية" وكتاب "الإسلام في مواجهة التحديات". كما عمل في مشروعه على تحرير المصطلحات، وقدم نتاجا فكرياً كبيراً فيما يتعلق بها وبيان مضامينها التي لا مشاحة فيها ابتداء لكن المشاحة تظهر عندما نقارن بين معانيها في ثقافتنا الإسلامية ونظائرها في الثقافة الغربية، واعتنى بإبراز المفاهيم الإسلامية التي تؤسس للتكامل بين دوائر الانتماء من الوطنية والقومية والإسلامية والإنسانية؛ من أجل ترشيد الفكر الإسلامي وتقديم النموذج المتميز بالإسلامية إلى العالم الذي ضل طريقه في تلك الميادين^(٢). وقد ساعد عمارة على ذلك تنوع ثقافيه واطلاعه على المنتج الثقافي الغربي ومتابعته لما: يثار ما يدور حول الإسلام وكتابه ورسوله الكريم إذ يقرأ عمارة ذلك بعناية ويرده بتجرد ويستخدم أسلوب الخصم كثيرا في تناوله للمسألة موضع النقاش لا سيما وفي إطار إهتمامه الكبير بالمصطلحات أحيانا ما كان يشير إلى أن كثرة استخدام المصطلحات في التراث العربي الإسلامي كان سببا في اضطراب مضامينها وصعوبة الوقوف على مقصد المتكلم؛ إذ كانت بعض المصطلحات تتضمن معنى خاصا لدى فريقين ما من الفرق الإسلامية وتحدها ذات معنى مفارق لدى فريق آخر، ونتيجة لذلك اختلفت مضامينها مع المصطلحات المستخدمة في الأبحاث المعاصرة مما زاد اللبس والغموض مما يدفع للقول بأنه أحيانا ما يكون البحث وراء المصطلحات ليس هو الطريق للتعرف على تراثنا الحي النافع، بل قد يكون ذلك ضاراً بنا. وقد دفع الغموض في مثل تلك المصطلحات واللبس والغموض اللذين اكتنفها بعض الباحثين إلى إسقاط كل تراث المسلمين في بعض المسائل،

١ . أنظر: جاد، المشروع الفكري للدكتور محمد عمارة، المرجع السابق، ص ٤٢.

٢ . أنظر: عمارة، محمد، مسيرة قلم، القاهرة، مصر: دار المقاصد للطباعة والنشر والتوزيع ٢٠١٦م، ص ٣٠-٣١.

وإنكار أن يكون في تراثنا ما يُعتد به في مثل تلك الميادين^(١). ولذلك يعد الخوض في ذلك المجال مغامرة لا يثبت فيها كثير من الناس، لكن محمد عمارة قد وضع فيها دعائم تساعد من يرغب في تكوين صورة أقرب إلى الصواب عن كثير من المصطلحات الدائرة في حياتنا الفكرية والتي أخرجت أنواعا متعددة من التشدد والغلو. وكان محمد عمارة يقف أمام المصطلحات التي يعرضها مبينا أصول النشأة التاريخية مكانها وزمانيا ومحورا للمعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي في الحضارتين الإسلامية والغربية وما ورد من خلاف في تحديد هذه المصطلحات^(٢)، ومن أمثلة ذلك عرضه لمصطلح النص، فيذكر أن تعريفه ومضمونه كان مثار خلاف واختلاف، بل موضع شبهات وأوهام جعلت وتجعل من جلاء معناه وتحديد مدخلا طبيعيا وشرطا ضروريا لتجنب الاختلاف فتناول ما ورد في تعريف النص لدى خواص مفكري الإسلام الذين قصروا تعريف النص على ما هو قطعي الثبوت والدلالة في الثوابت التي لا يصيبها التحول ولا تعرض عليها الاحتمالات لا من قريب ولا من بعيد. وذكر ما دخل مصطلح النص من مشبهات عند من وصفهم بالعوام الذين علا صوتهم في حياتنا الفكرية مع ارتفاع التقليد وتراجع الاجتهاد والإبداع في حضارتنا الإسلامية، فإنهم لم يكتفوا بإطلاق لفظ النص على كل ألفاظ ومأثورات وروايات الكتاب والسنة بل أضافوا إلى المصطلح كل ما كتب الأقدمون في المذاهب الإسلامية^(٣). وهذا تحديد متميز من عمارة ينطلق من وضعه الأمور في نصابها إذ يجعل المقدس مقدسا والإنتاج البشري بشريا ولكل منهما دوره الذي لا يمكن إغفاله في تاريخ الأمة الإسلامية والإنسانية كلها.

وزاد عمارة عند تعرضه لمصطلحي التراث والسلف في العيب على هؤلاء العوام الذين جعلوا التراث كلها في كفة واحدة، فوصفهم بأنهم اختصوا الموتى مهمة التفكير للأحياء، وأوجز كثيرا من النقاط حينما تحدث عن علاقة التراث بالتجديد والجمود، فذكر أن الأمر ليس مطلق الارتباط بالتراث وليس مطلق التراث ذاته إذا بحثنا عن معايير الجمود والتجديد، فليس

١ . عمارة، محمد، مفهوم الحرية في مذاهب الإسلاميين، القاهرة، مصر: مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٩م، ص ١٦-١٨.

٢ . عيسى عبد الرزاق، محمد عمارة داعية الإحياء والتجديد، المرجع السابق، ص ١٢١.

٣ . أنظر: عمارة، محمد، معالم المنهج الإسلامي، القاهرة، مصر: دار الشروق، ٢٠٠٩م، ص ٩٦-٩٨.

هناك أي إنسان أو مذهب أو دعوة أو حركة دون سلف ودون تراث، ولذلك فمعايير التمايز في هذا السياق تتمحور حول سؤالين هما: أي لون من التراث؟ وكيف تتعامل مع هذا التراث^(١) وقد صدق عمارة في ذلك الطرح وبأن أثره في حياته الفكرية وعرضه للمسائل المختلفة؛ إذ بحث في التراث ليس عن ألفاظ بل عما وراءها وسياقها التاريخي وكيفية اصطحابها في العصر الحديث، ولذلك لا يرد أي جزء من أجزاء التراث بل يستفيد من تراث عصر التراجع الفكري كما يستفيد من تراث عصر النهضة؛ إذ يبحث في الأول أسباب التراجع لتجنبها الأمة الآن وفي الثاني عن أسباب النهضة لتكون مشعلا في طريق النهضة المعاصرة. ومن بين المصطلحات التي وجدها شائعة دون تحرير مصطلحي العقل والنقل فتناولهما في عدد من كتبه، وكشف انتفاء التعارض المزعوم الذي يدعبه العلمانيون بين العقل والنقل، فالنقل داع للتعلل والتدبر، والعقل الإنساني في الإسلام أداة فقه الشرع، والنقل يثق في العقل لكنه بالطبع يرفض الغرور العقلاني حين يتصور إمتلاكه القدرة على عقل كل شيء وأي شيء وأنه هو سبيل الوعي الوحيد، فالعقل في الإسلام مدعو للعمل في حدود ما وظفه الله^(٢) وفي تناول عمارة للعقل بهذا المعنى الدقيق رد لكل ما اتهم به من أنه يقدم العقل على النقل، ويوضح العلاقة الوثيقة بين النقل والعقل لديه.

وفي كل مرة يعرض فيها عمارة للمصطلحات يؤكد أن لها دور كبيرًا في مخاطبة الخصوم؛ إذ من الضروري عند محاورتهم ألا تتجاهل ما يدعون ولا نصادر ما يقولون، وإنما يكون الحوار بالمنطق والحجة، ونتجرد من منطق صاحب الحق الذي يخاطب ذاته، ونتحدث بالمنطق الموضوعي الهادئ الذي يُفيد حجج الخصوم بمنطقهم، وبلغة العلم وعقلانية الفكر لا بالعواطف أو حتى بمأثوراتنا الدينية الخاصة التي لا يؤمن بها الآخرون^(٣). وقد قدم مصطلحات عديدة كالاجتهد والجهاد والتجديد والسلفية والوسطية والتعددية والحرية

١ عمارة، محمد، الأصولية بين الغرب والإسلام، المرجع السابق، ص ٢٤.

٢ . عمارة، محمد، مقام العقل في الإسلام، المرجع السابق، ص ٣٧.

٣ . عمارة، محمد، القدس بين اليهودية والإسلام القاهرة، مصر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٩م، ص ٣،

وكذلك فكرة الاستشراق بيانا لها وردا على أصحابها من الغربيين والشرقيين المقلدين وهو مقام تميز فيه عمارة وقدم للمكتبة فيه كتباً عديدة تشهد بتجرده في المناقشة ورد الشبهات على أصحابها بل ومحاسبتهم بكلامهم الذي يعتمدون عليه في شبهاتهم، ويوظف الأرقام والإحصاءات توظيفاً فعالاً في كل ذلك. وقد أسس منهجه في تناوله للمصطلحات وشرحها انطلاقاً من إيمانه الكامل والعميق والخبير بالخصوصية الحضارية الإسلامية، وضرورتها في بيان خصوصية المصطلحات وتمايزها تبعاً لتمايز الحضارات التي تنتمي إليها وضعاً في الأصل أو اقتراضاً وتوظيفاً. وذلك من أجل الخروج بنتائج فعالة تفيد في فكرنا وبنالنا لنموذج نظوي محوره ومرجعته الإسلام. ولذلك مثل التاريخ أهمية كبرى في مشروع عمارة الفكري، فالتاريخ معين لا تنضب أحداثه وتطوراتها، فيقرأه عمارة ويستشهد به ويعمل وقائعه؛ لاستخراج المثل والنموذج الذي يمكن أن يكون وعي الأمة إذا أُنِشت ذاكرتها بقراءة التاريخ في مراحلهِ المختلفة وعرفت قدراتها الحقيقية من تلك الوقائع التي تتكرر، وتؤكد ما لدى الأمة من قدرات تعينها على صراعات الحاضر وتقودها نحو المستقبل^(١) فالتاريخ الإنساني عموماً والإسلامي على وجه الخصوص عند عمارة لا بد أن يكون نقطة انطلاقنا؛ إذ إنه بما فيه من إيجابيات وسلبيات له دور كبير في تحديد بوصلة الإنسانية كلها وخاصة الأمة الإسلامية في رؤيتها للمستقبل.

ويؤكد محمد عمارة دائماً في رؤيته للمصطلحات أن الأمة بحاجة إلى فقه جديد، بالرغم من أن فقها القديم ثروة فكرية لا مثيل لها في العالم، ولكن ليس معنى هذا أن كله صالح، فقيه أفكار بنت عصرها، وليست هي الإسلام. لذلك هناك حاجة إلى فقه جديد معتمد على القديم، يُعلي من قيمة الماضي وينتقي منه ويضيف إليه ما يقتضيه الحاضر، دون مخالفة لنص ثابت فظروف العالم الجديدة تحتاج لفقه جديد في العلاقات الدولية، لا تلفي شيئاً مما كتب عن دار الإسلام ودار الحرب في كتب التراث، فهذه مصطلحات بنت ظروفها، يلزمها الفحص والإضافة إليها وتحديثها. فالعلاقة الوثيقة بين تراث الأمة ومستقبلها لا تعني صب المستقبل في قوالب التراث حتى تصير تطبيقاتنا المستقبلية عين تجارب السلف، وتعيد

١ . عمارة، محمد، الوعي بالتاريخ وصناعة التاريخ، القاهرة، مصر: دار الرشاد ١٩٩٧م، ص ٣٩-٣٣.

حياتنا الفكرية مسائل الجدل التي شغلت حيزا كبيرا في مخطوطات التراث. فقد تعلمنا من التراث أن النطور هو سنة من سنن الله في الكون، فالعلوم وتطبيقاتها تتطور دون فصل الأمة عن جذورها، فالجديد حامل لأصالة الماضي، يستمد منه الثبات والتواصل والتميز.

وقد سعى محمد عمارة إلى التمييز بفوارق مفصلية جادة بين العديد من المصطلحات المتداولة والمشاركة بين العالمين الشرقي الإسلامي والغربي، تلك التي تشكل خلطا في استخدام المصطلح الواحد في غير ما وضع له من معان مقصودة ومتباينة في كل من الحضارتين الشرقية الإسلامية والغربية وقصد من ذلك التمييز إلى توضيح الرؤية أمام القارئ، ومراعاته الدقة عند استخدام تلك المصطلحات والوقوف على الفرق في المعاني إسلاميا وغريبا، ومن أمثلة تلك المصطلحات العلمانية والأصولية والتشريع والحرية والحكم والاجتهاد والعقلانية. وقد أكد على اضطراب مقولة لا مشاحة في الاصطلاح، وأثبت أن هناك مشاحة واختلافات بين مقاصد المصطلحات، وأنه لا بد من تثبيتها ومعرفتها بدقة لإزالة اللبس حين استدعائها واستخدامها في عرض الأفكار والمعتقدات ويوضح رأيه في التعامل مع ما هو وافد غربي وما هو تراث إسلامي، فيضع منهجا واضحا في رؤيته لهذين المصدرين المتغايرين، يقوم على التمييز بين النصوص وبين مقاصدها وأهم هذه المقاصد هو العدل، والتمييز بين نصوص الوحي القطعية الدلالة والثبوت وبين النصوص الأخرى لا سيما أحاديث الآحاد أو الموضوعة أو الضعيفة أو التي لا يتسق منطقتها عندما تعرض على روح الشريعة ومنطق القرآن الكريم. بالإضافة إلى التمييز بين الشريعة التي هي نهج ومقاصد وبين تطبيقات السلف واجتهادات الأقدمين فالشريعة ثوابت وتطبيقات السلف واجتهاداتهم ليست ديناً، وليست ثوابت ملزمة لمن يعيش واقعا مغايرا للواقع الذي عاشوا فيه واجتهدوا له^(١). والتمييز بين الدين الذي وضعه الله وأوحى به وبين تطبيقات السلف لهذا الدين على واقع عصرهم

١ . عمارة، محمد، الإسلام في مواجهة التحديات، المرجع السابق، ص ١٦٦، ومعرفة المصطلحات بين الغرب والإسلام، المرجع السابق، ص ١٦٢ - ١٦٦.

الذي تغير وانقضى، هو تمييز بين النصوص المتعلقة بالعقائد والأصول والنهج والحدود والحلال والحرام، وبين النصوص التي جاءت تقنيناً لواقع دنيوي متغير بالضرورة^(١).

المطلب السابع: بعض الاتهامات الموجهة للدكتور والرد عليها

ومحمد عمارة إذ يجتهد في ذلك الميدان يتعرض للنقد والتجريح القائم على القراءة الجزئية لكتابات فيديعي أصحاب تلك القراءة في أحد مواطن النقاش أن عمارة يطلب من المؤمنين الصالحين أن يكونوا أولياء لليهود والنصارى الكفرة في دولة واحدة يقيمونها جميعاً^(٢) رغم أن عمارة يقول: "فإن تعجب فعجب من أن يظل الكثيرون منا غافلين عن مخاطر تلك الثغرة التي تفتحها في صفوفنا الوطنية والقومية تصورات غير موضوعية عن تناقض العروبة مع الإسلام على الرغم من أن الإسلام الحق والعروبة الحقة يُكوّنان مزيجاً واحداً، فالأمة العربية المتميزة قومياً في المحيط الإسلامي مدعوة ومرشحة لقيادة هذا المحيط بحكم إمكانياتها في الدنيا ولمكانة العرب في الدين، فالإسلام هو الرسالة الخالدة للأمة العربية الواحدة به تبوأ مكانها القيادي، ومنه كان الفكر والعادات والتكوين النفسي الذي به تميزت قومياً عن غيرها من القوميات"^(٣). وهذا التدرج من عمارة لَمَّا كان في خضم صراعات فكرية متعددة لا زالت مستمرة داخلياً وخارجياً كان له أثر كبير في القارئ المتابعين لأعماله بمستوى تدرجها فيتكون لديهم رؤية واضحة لمنهجه وإشاراته على عكس القارئ المتعجل لمقال منفصل أو لكتاب متجزاً من سلسلة ما له سابق فيها ويتبعه تالي ليكمل الفكرة. وسيخرج المتتبع لتلك السلاسل بأن عمارة لا يعني فصل الأمة العربية بقوميتها عن الأمة الإسلامية الأكبر، بل يدور في دوائر الانتماء التي أكد عليها كثيراً، وهو فيها متأثر بجمال الدين الأفغاني الذي رتب الدوائر الثلاثة دائرة الأمة التي ينتسب إليها ودائرة الملة التي تعتنق ذات

١ . عمارة، محمد، الإسلام في مواجهة التحديات، المرجع السابق، ص ١٦٧.

٢ . الخراشي، سليمان بن صالح، محمد عمارة في ميزان أهل السنة والجماعة، دراسة إسلامية سلفية لكتب ومقالات الدكتور محمد عمارة، دار الجواب، ١٤١٣هـ، ص ٤٢٣.

٣ . عمارة، محمد، الإسلام والعروبة، الطبعة الأولى، القاهرة، مصر: دار الشروق، ١٩٨٨م، ص ٨٣-٨٤.

الدين الذي يؤمن به ودائرة النوع الإنساني وذلك على غير ما إتهم به من تقديمه القومية على الإسلام، فهو يرى القومية والوطنية دوائر داخل الإطار الإسلامي الأشمل.

ومن ذلك ما إدعاه عبد الحميد عمر من معارضته لمحمد عمارة في جوانب متعددة من فكرة الحاكمية، متهما دعائها باستغلالها للوصول إلى الحكم، حيث إعتبر المناداة بها كالمناداة بالحكومة الدينية، أو ما يسمى بالمصطلح الغربي الثيوقراطية، تلك الحكومة التي ظهرت في أوروبا في القرون الوسطى، واستغلت الدين لحكم الناس واستعبادهم تحت شعار التفويض الإلهي الحاكمية الكهنة^(١) ونقل عبد الحميد عن عمارة في حديثه عن إسلامية الدولة والحاكمية الإلهية قوله: "وقد يتساءل بعض الباحثين وهم بالفعل يتساءلون: ألا يستلزم إشتراط إسلامية الدولة إشتراط أن يحتكرها حزب بعينه أو جماعة دون غيرها من الناس؟! وألا يقودنا هذا إلى الكهانة والكهنة والأكليروس^(٢) في الواقع والتطبيق على الأقل، رغم غربة ذلك وغرابته في تصور الإسلام ومنهجه"^(٣)، لكن عبد الحميد عمر لم يكمل النقل عن عمارة، وأغفل ما قدمه عمارة من الحقائق التي تنفي التلازم بين إسلامية الدولة وبين إحتكار الحكم فيها الحزب بعينه أو فئة بذاتها، فالدولة ليست من أصول الدين ولا عقائده وأركانها لكنها من الفروع التي يرد فيها الاجتهاد، بل التي هي أو أكثرها ثمرة للاجتهاد. فالدولة بما في ذلك دولة النبي صلى الله عليه وسلم التي أقامها بالمدينة هي إجتهد بشري لا يحتكر التفكير لها ولا التنفيذ لدستورها وقانونها فئة من الناس دون غيرها فهي حق لكل قادر على الوفاء بحقوقها دون كهانة أو إحتكار فالحاكم الأعلى في الدولة الإسلامية مجتهد، وتلك أرقى مراتبه أي أنه غير معصوم، وكذلك كانت سياسة النبي صلى الله عليه وسلم للدولة إجتهدًا غير معصوم وشورى تحكمها مقاصد الشريعة وحدودها، وهذا الحاكم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم تختاره الأمة بالشورى الإسلامية، وتبايعه وتفوض إليه سلطات تنفيذ

١ . أنظر: عبد الحميد عمر عبد الحميد عبد الواحد، الحاكمية في ظلال القرآن، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، فلسطين، ٢٠٠٤م، ص ٢٧٣.

٢ . نظام كهنوتي خاص بالكنائس المسيحية ولم يظهر هذا النظام إلا في القرن الثالث الميلادي.

٣ . أنظر: شاهين، عماد الدين، المعالم لمنهج الإسلامي للمؤلف محمد عمارة، الفكر الإسلامي المعاصر (إسلامية المعرفة سابقا) ١/١٧١-١٧٤ (١٩٩٥).

القانون الإسلامي لسياسة الدنيا وحراسة الدين بواسطة أجهزة الدولة ومؤسساتها وسائر أولي الرأي والأمر فيها، ولا عصمة لأي أو لأحد من هذه الأجهزة والقيادات فلا خطر من الكهانة أو إحتكار السلطة والإستثار بالسلطان بل إن العصمة في الإسلام بعد الرسول صلى الله عليه وسلم هي للأمة التي لا تجتمع على ضلال^(١). كما أن إمامة المفضل دينيًا إذا كان أفضل في مهام ولايته، هو دليل إنتفاء الكهانة واحتكار الكهنوت من منهج الحكم والسياسة في دولة الإسلام. وقد عمل المنهج الإسلامي على سد الذرائع وإغلاق المنافذ التي تلوح منها ظلال الكهانة والكهنوت أو تروح منها رائحة إحتكار السلطة في دولة الإسلام، فالخلافة لم تعط لعلي بن أبي طالب بعد إنتقال الرسول إلى بارئه، ولم يظل الحكم السياسي في بيت النبوة، ولم يظهر أي شبهة إحتكار السلطة في منهج الإسلام وتطبيقاته^(٢).

وقد جاء التصور النظري التجريدي للباطنية الإمامية في مسألة الإمامة، حلما مثاليا بالمخلص المثالي، على نحو لا علاقة بينه وبين الواقع والممارسة والتطبيق، وسبقهم الغلو الخارجي في الحاكمية والتكفير بالمعصية، الذي كان تجريدا ذهنيا صنعه الصلاح والتقوى والنسك في أذهان القراء الذين كانوا طلائع الخوارج - قبل أن يعود معظمهم عن هذا الفكر بعد جلوسهم ومناظرتهم مع علي بن أبي طالب وعبد الله بن عباس - ذلك الغلو الذي عز على التطبيق وكان وبالا على أصحابه وعلى الأمة جمعاء، عند محاولة تطبيقه بالسيف. وجاءت الدولة الإسلامية نموذجا فريدا، فالدولة إسلامية؛ لأن الحاكمية في سياستها موكول للشرعية الإسلامية التي هي وضع إلهي، كما أنها مدنية في الوقت نفسه؛ لأنها اجتهدت إسلامي في الفروع محكوم بمقاصد الشريعة الإسلامية وحدودها، فجمعت بين ما يمكن ويجب جمعه من سمات الأقطاب التي هي متقابلات لا سبيل إلى الجمع بينها في نظر منهج الحضارة الغربية، فضلا عن المؤاخاة والتساند بينها^(٣).

١ . أنظر: عمارة، محمد، معالم المنهج الإسلامي، المرجع السابق، ص ١٣٥-١٣٦.

٢ . أنظر: عمارة، محمد، معالم المنهج الإسلامي، المرجع السابق، ص ١٣٨.

٣ . أنظر: المرجع السابق نفسه، ص ١٤٠-١٤١.

وبعد كل هذا التنفيذ لاتهام الدكتور عمارة بأنه يعارض الحاكمية، ومع هذا الاختلاف في فهم مصطلح الحاكمية الذي أراه إختلاف تنوع أكثر منه إختلاف تضاد. أتخلص إلى أن القول بحاكمية الله هو في مبدأه ومنتهاه تطبيق للقول بحاكمية البشر النسبية؛ فإن القائلين بمعنى حاكمية الله أنه لا حاكمية للبشر، هم في الأصل بشر توصلوا إلى هذا المعنى يفهمهم النص القرآني الكريم ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾^(١) واصطحبوا في ذلك نصوصاً أخرى ضموها إلى بعضها وطبقوا فهمهم وخرجوا بهذه الفكرة، وفي ذلك إقامة الحاكمية البشر في إجتهادهم لفهم مراد الله وتطبيقه. وقد إتهم عمارة بأنه ينكر أن يكون للإسلام الحق دور في تنظيم أمور المسلمين الدنيوية، وبأنه يحاول أن ينصر الإسلام على الاعتقاد بوجود الله فيقرر أن اليهود والنصارى والمسلمين كلهم مؤمنون، ويركز على فصل الدين الأحكام الشرعية في أمور الدنيا وأن آيات الحكم نزلت في اليهود وأن أمور الخلافة والسلطة ترجع للعقل والرأي لا للشرع^(٢) ولكن كل تلك الاتهامات لا تقال إذا إهتم صاحبها بمطالعة دقيقة لما قدمه عمارة في هذا الصدد.

ملخص: كانت تلك الدراسة مدخلا للتعريف بالدكتور محمد عمارة عليه رحمة الله ودراسة المصطلحات في فكره الذي اعتنى بها كثيراً؛ لأنه كان تماماً بعد حفظه للقرآن الكريم وهو صغير ورحلته في الماركسية في مستقبل حياته، وفي إطار بحثه عن العدالة الاجتماعية للإنسانية كلها وعلى وجه الخصوص للمظلومين في كل مكان واستقرار بوصلته في رحاب الدين الحنيف والوحي الإلهي الخاتم لنجدة البشرية كلها من ضلال المذاهب الوضعية وفي تلك الرحلة وجد غلطا كبيرا يغطي المصطلحات على مستوى الداخل الإسلامي وعلى مستوى العلاقة بين الإسلام والآخر. وهو في طريقه لسد تلك الثغرة وإزالة الشبهات عن تلك المصطلحات لا يتوقف عند الموروث الإسلامي بل بتجاوزه لمطالعة الموروث الإنساني؛ باحثاً عن أصول تلك المصطلحات وضبطها ليكون بين يدي القارئ سفر أو أسفار تمثل

١ . سورة الأنعام: ٥٧.

٢ . تموس، محمد بن محمود مصطفى، محمد عمارة والرواد، دار، فراس للنشر والتوزيع، د.ت، ص ٢٣٢.

خريطة محكمة لرحلة تلك المصطلحات تعينه على الإستخدام الصحيح والتوظيف الأمثل في رؤيته للإسلام أو رؤيته وتعامله مع الآخر. وهذه الدراسة الوجيزة تمثل الحلقة الأولى في هذا الموضوع أو مجموعة من المصطلحات التي تناولها محمد عمارة سواء أفرد لها كتابا خاصا أو ضمنها بين ثنايا عدة كتب من كتبه، وبيان منهجه في دراساتها والتجديد والتميز الذي تميز به في ذلك. وهناك مواضع أخرى كثيرة غير المصطلحات في فكر محمد عمارة تستحق الدراسة والتحليل، ولذلك أوصي الإخوة القارئين بدراسات متنوعة لفكره وكشف ما أَلَم به من إتهامات وشبهات سعى هو رحمه الله في حياته ردها.

الباب الأول:

في سمات الدكتور محمد عمارة رحمه الله وقواعد منهجيته في

الدعوة

الفصل الأول: سمات في طبيعة شخصية وموهبة الدكتور محمد عمارة رحمه

الله

المبحث الأول: الجمع بين العلم والعمل والعقل والنقل

المبحث الثاني: الجمع بين الفكر والأدب والتصوف

المبحث الثالث: الجمع بين التراث والتجديد

المبحث الرابع: الجمع بين دراسة المذاهب الكلامية والتيارات الإسلامية
وغير الإسلامية

المبحث الخامس: الجمع بين الوطنية والعروبية والإسلامية والإنسانية

المبحث السادس: الجمع بين الكتابة والخطابة والجهاد

الفصل الثاني: قواعد منهجيته في تناول مشاكل الدعوة

المبحث الأول: الوسطية الإسلامية

المبحث الثاني: العقلانية الإيمانية

المبحث الثالث: الإيمان بالتعددية

المبحث الرابع: المواكبة والتجديد

الفصل الأول: سمات في طبيعة شخصية وموهبة الدكتور محمد عمارة

تمهيد: نبدأ رحلتنا مع الدكتور محمد عمارة راهب الفكر وفارس الميدان بعد أن بدأنا في المبحث الأول من التمهيد بالتحدث عن ترجمة حياته، ومسيرته العلمية، واعتكافه على العلم والقراءة؛ ليخرج لنا بمشروعه الفكري المميز، ونكمل فيما يأتي بقية معالم مشروعه الفكري، وسمات شخصيته الفذة الفريدة، إضافة لفروسيته الفكرية وعلاماتها في الميدان.

المبحث الأول: الجمع بين العلم والعمل والعقل والنقل

أما هذه فميزة قلما تتوفر للكثيرين؛ فهي مناط الخيرية، ومعقد الربانية، ومحل التأثير الكبير الفاعل في العقول والقلوب والواقع على السواء. فعلم بلا عمل لا قيمة له، وعمل بلا علم لا صحة فيه، وعلم وعمل بلا جهاد وصبر وتضحيات لا يقيم القدوة ولا التأثير الحقيقي في واقع الحياة. وهذا ما دعا ابن القيم يقول واصفًا "الرباني": "فَإِذَا اسْتَكْمَلَ هَذِهِ الْمَرَاتِبَ الْأَرْبَع - يعني تعلم الهدى، والعمل به، والدعوة إليه، والصبر على مشاق الدعوة - صَارَ مِنَ الرَّبَّانِيِّينَ، فَإِنَّ السَّلَفَ مُجْمِعُونَ عَلَى أَنَّ الْعَالِمَ لَا يَسْتَحِقُّ أَنْ يُسَمَّى رَبَّانِيًّا حَتَّى يَعْرِفَ الْحَقَّ وَيَعْمَلَ بِهِ وَيُعَلِّمَهُ، فَمَنْ عَلِمَ وَعَمِلَ وَعَلَّمَ فَذَاكَ يُدْعَى عَظِيمًا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ" (١).

فأما العلم فهو صاحب هذا المشروع الكبير مترامي الأطراف الذي لم يترك فيه جانبًا من جوانب الإسلام عقيدة وشريعة، خلقًا وحضارة، معاملات وآدابًا، بيان حقائق ودفع شبهات، حتى غدا أكبر مشروع فكري معاصر تجاوز الثلاثمائة كتاب بما حقق له التأثير الكبير والواسع. وأما العمل الميداني فهو الذي شارك في المظاهرات ضد الإنجليز وضد الصهاينة وفي مطالباتهم بإصلاح الأزهر ومناهجه، كما قصده كثير من طلاب العلم من أنحاء الدنيا ينهلون من علمه ويتربون على كتبه وفكره، وكان جوادًا سخيًا مع كل من قصده. وحينما سئل عن مقصوده بالمشروع الفكري أجاب إجابة تنبئك عن مركزية الواقع وفاعليته وأهيته في هذا المشروع، يقول: المشروع الفكري هو "أن نبرز حقيقة الإسلام ومعالمه: العقيدة والشريعة والمنظومة الفكرية، والإحياء الإسلامي للمجتمع، والهداية الإسلامية للإنسان، وعالمية الإسلام، وأيضًا فقه الواقع الذي نعيش فيه وإنزال هذه الأحكام الإسلامية على الواقع الذي نعيش فيه، والتصدي للحرب المعلنة على الإسلام. باختصار: ما هو إسلامنا؟ ما هو الواقع الذي نحن بحاجة إلى فقهه وإلى أسلمته؟ وما التحديات التي تواجه هذا الإسلام؟ هذه هي معالم المشروع الفكري" (٢).

١ . ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، زاد المعاد في هدي خير العباد: بيروت، مؤسسة الرسالة. ١٩٩٤م، ج ٣، ص ٩.

٢ . جاد يحيى رضا، المشروع الفكري للدكتور محمد عمارة، ٢٠١٨م، ص ٩٩.

إن جمع العالم بين العلم والعمل يقيمه قدوة بين العلماء والناس، ويكسبه المصداقية والموثوقية، ويجعل من حياته منارة للعلماء وطلبة العلم، ويجعل فكره وعلمه حيًا بين الناس يقبلون عليه ويمتحنون منه وينتفعون به، ويجعله كالشجرة المباركة التي تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها^(١).

وأيضاً من معالم تميز المشروع الفكري للعلامة د. عمارة أنه جمع بين معرفة علوم النقل، ومعرفة علوم العقل، وقد توفر له ذلك من دراسته للعلوم الشرعية في الأزهر ودار العلوم فحاز علوم النقل، ومن تخصصه في الفلسفة الإسلامية والفكر الإسلامي بدراسة الفرق الإسلامية فحاز علوم العقل.

ولقد كتب د. عمارة عن علوم القرآن وعلوم السنة، وعلوم الفقه والاجتهاد بما مثل رؤية له في النظر إلى هذه العلوم تستحق الفحص والدراسة، كما أن الشبهات التي أوردها وقدم ردوداً شافية عليها يتجلى فيها العلم بالنقل وفهمه وفق رؤية "عقلانية مؤمنة" كما كان يسميها، ووفق منهجية "وسطية جامعة" كما كان يصفها^(٢). كذلك كتب في الفرق الإسلامية وحاز رسالته للماجستير والدكتوراه عن المعتزلة وفكرها ورؤيتها في الحرية والسياسة والخلافة؛ فضلاً عن تشبعه في قسم الفلسفة بدار العلوم من علوم العقل، وهو الذي كتب كتاب: "مقام العقل في الإسلام"، وتحدث عن "العقلانية المؤمنة"، و"الوسطية الجامعة" كما سبقت الإشارة، وقرأ الشرع بالعقل وحكم العقل بالشرع، في مجمل ما كتب، وقد تختلف معه في بعض القراءات والاجتهادات لكنك لا تنكر جسارته وجراته في نقاش القضايا وممارسة الاجتهاد، وكيف كان سيقاً مسلطاً على التيارات المعادية للإسلام والذب عن حماه. وقد تجلت آثار هذا العلم العقلي "الراشد" عنده في تمكنه من تقديم قراءة راشدة للنقل، مرتبطة بالأصل وموصولة بالعصر وملبية لحاجات الواقع وهموم الأمة وقضايا الإسلام، واستطاع أن يدحض القراءات المختلفة للإسلام: ماركسيّة وعلمانية وشيوعية ورأسمالية، وغربية، وأن

١. أبو زيد وصفي عاشور، محمد عمارة، راهب الفكر وفارس الميدان، الجزء الثاني، موقع التبيان، سبتمبر ٢٠٢٠م،

<https://shorturl.at/amrEr3>.

٢. قد بينت بالتفصيل رؤية الدكتور تجاه هاتين المقولتين في الفصل الثاني الباب الأول من الرسالة.

يضعها تحت مجهر الإسلام والعقلنة المؤمنة، ويفندها تفنيديًا تامًا لا يرفع عنها المجهر إلا بعد أن يتركها كأنها أعجاز نخل خاوية.

المبحث الثاني: الجمع بين الفكر والأدب والتصوف

ومن الأمور التي جمعها د. محمد عمارة وانعقدت له وأعطت لمشروعه الفكري ميزة كبيرة مكنته من الانتشار والتأثير والقدرة على التعبير والدخول على القلوب والعقول بغير استئذان، هو ذلك الأسلوب الأدبي الأخاذ، واللغة الباهرة التي تتطويع له، والمفردات المترادفة التي تنقاد له، فيعبر بها عما يشاء من أفكار، ويعرض من خلالها ما يريد من رؤى وآراء، ويقرر بها معاركه الفكرية التي خاضها وانتصر فيها بلا استثناء. وقد جمعت هذه اللغة الأدبية إلى جمالها صلابة الفكرة وقوتها، وجلال الأسلوب وجماله، ونداوة المعاني وطلاوتها بما جعل ما يكتبه عمارة وجبة متكاملة للعقل والروح والوجدان جميعا. أما الجانب الفكري فحدث ولا حرج، فصاحبنا أول وصف وأكبر وصف وأصدق وصف عليه هو وصف "المفكر"، وقد كان هذا الوصف هو الأثير لديه، وما أنتجه من كتب وبحوث ومقالات يفوز وصف "المفكر" منها بنصيب الأسد.

وأما الأدب فقد حكى هو قائلًا: "كنا في السنة الثانية الابتدائية وكان يدرّسنا النحو، ويقرأ لنا المقال الافتتاحي في جريدة المصري، دخل ذات يوم وسأل: من منكم يقدر على أن يشتري كتابًا غير الكتب المقررة؟ فذهبت واشتريت كتاب "النظرات" للمنفلوطي (ت ١٩٢٤م)، وكان هذا أول كتاب اشتريته في حياتي من خارج الكتب المقررة، قال لي: أحضره معك، وكنت أقرأ وأطالع فيه، وفي آخر العام الدراسي أقمنا حفلة للشيخ وأهدينا له "علبة بنبوني"، وكتبْتُ قصيدة شعر في مدحه"^(١).

ويقرر مبينًا فضل ثقافته الأدبية على التعبير المؤثر والمعبر عن أفكاره: "ولأنَّ الطموحَ إلى أن أكون كاتبًا - لا موظفًا - قد مَلَكَ عليَّ كياني منذ تلك اللحظات، فلقد توجهتُ إلى عالم

١. غانم، إبراهيم البيومي، العلامة الدكتور محمد عمارة في رحاب الله (مقال). ٢٠٢٠م،

<https://shorturl.at/bjDTZ>

القراءة الحرة، وأعطيتها أغلب أوقاتي، حتى إني جعلتُ الثقافة العامة مُعيناً على اختصار الساعات التي أعطيها للكتب الدراسية المقررة.. فكانت الثقافة الأدبية والقراءات الحرة هي التي تُنمي وتُدبِّج وتُحسِّن الإجابات في الامتحانات"^(١). وعن مكتبة الشيخ عبد التواب الشناوي التي اشتراها بعد وفاته وهي تضم أربعة آلاف كتاب، يقول مبيناً حجم الكتب الأدبية التي قرأها: "وبعد استيعاب هذا الكنز المعرفي الثمين والعريض والعميق، وبعد الحفظ لعددٍ من دواوين الشعر الجاهلي والإسلامي (مثل المتنبي والمعري) وللعديد من نصوص الأدب العربي المختارة كنماذج للبلاغة والفصاحة: بدأت على نحو سلس وطبيعي الرغبة في الكتابة والإبداع، فكتبْتُ ونشرتُ - شعراً ونثراً- في عدد من الصحف والمجلات"^(٢).

وأما التصوف فقد كانت لعمارة تجربة صوفية يقول عنها: "في مرحلة الابتدائي والثانوي -قبل الارتباط باليسار- كانت لدي تجربة في المجاهدة الروحية والتصوف غير الطريقي، وكنت أخطب على المنبر ضد الطرق الصوفية وأعلّم الناس فرائض الدين ومقاومة الظلم، وفي الجمعة التي سبقت ثورة يوليو صادف أن انتقدت الملك فاروق، وعندما عُزل بعد الثورة ظن بعض الناس أنني كنت على علم بتفاصيل ثورة يوليو، وظن آخرون أنني من أولياء الله الصالحين"^(٣). ويقرر أيضاً إنه لم يُخدع بالطابع المادي والتفسير المادي لنشأة الخلق، ولا بالتطور التاريخي، يقول: "لأن تكويني الأول كان "تكويناً دينياً" و"تجربةً روحيةً صوفيةً ذاتيةً".. ولم يكن لي علاقةٌ بالجماعات أو الطرق الصوفية، بل كنتُ ضد هذه الطرق باستمرار، وكنتُ أحاربها.. وإنما كانت تجربتي روحيةً أمارس فيها العبادة بشكل مكثف"^(٤).

بل إنه كان يرى أن الاستغراق في العمل الفكري من "الشكر الحلال" - كما يقول الصوفية- الذي ينسيه متاعب الحياة، يقول: "فالعمل الفكري والاستغراق فيه هو علاج حتى للأمراض العضوية التي يعاني منها الإنسان، وإذا كان الصوفية يتحدثون عن الخمر الحلال والشكر

١ . المصدر السابق.

٢ . حلقة برنامج وحي القلم: محمد عمارة، الاعتكاف في محراب الفكر. قناة الجزيرة. تاريخ البث ١٣/٧/٢٠١٥م.

<https://shorturl>

٣ . المصدر السابق.

٤ . المصدر السابق.

الحلال فأنا أرى أن العمل الفكري هو الشُّكر الذي يُبعدك عن منغصات الحياة"^(١). هذه التجربة الصوفية هي التي جعلت عمارة يقول كلمة تمتع العقل وتشبع النفس عن رسولنا المصطفى إذ يقول: عن علاقته به: "إنني عاشق لرسول الله صلى الله عليه وسلم، متبتل في محراب سنته وسيرته، متعلق بصفاته وشمائله، مفتون بسجاياه، واقف على أبواب عظمته، مبهور بالتحويلات التي أنجزها في مسيرة الدين والدنيا، غيورٌ على دينه ودعوته، مقاتل دون حماه"^(٢). ويحكي عن هذه التجربة مستطردًا: "هذه التجربة كانت فيها مجاهدات روحية مَنَّ الله تعالى عليَّ فيها برؤية اليقين، عين اليقين.. وعرفت معنى "فراصة المؤمن" التي حدثنا عنها رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.. بل أقول لك: في تلك الفترة رأيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في الرؤيا.. بل ورأيت ليلة القدر، وهي تجربة لن أحكي تفاصيلها، لكن أقول لك كيف كنتُ أستعد: بالتعبد بالركعات والدعوات، ومنها دعاءٌ صُغْتُه لنفسي وقتها: اللهم اغفر لي واجعلني من أهل العلم إنك على كل شيء قدير"^(٣). ويفرق الدكتور محمد عمارة بين الصوفية الحقة المجاهدة وبين الصوفية الطرقية المنحرفة، يقول: التصوف ليس نهجًا واحدًا، إذ منه التصوف الذي هو علم القلوب والسلوك والإحسان المنضبط بضوابط الشريعة وأحكامها ومقاصدها. وهو الذي كان عليه كبار الزهاد والأقطاب والعارفين الذين سلكوا "طريق المجاهدات والرياضات الروحية"، منذ عصر صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وحتى العصر الذي نعيش فيه. لقد جاهدوا غلَوَّ الغرائز والشهوات، وجاهدوا الزخارف الدنيوية، وصعدوا بأرواحهم على طريق "المقامات والأحوال"، يبتغون "القرب والفناء" في صفات "الجلال والكمال والجمال" للذات الإلهية، حتى فني عن مشاغلهم كل ما سِوى الله. وفي ذات الوقت، وبسبب ما سبق، وليس بالرغم عنه، عاشوا قضايا الإسلام وأمتهم، فكانوا أئمة الجهاد الذي خاضته الأمة في مواجهة المخاطر والتحديات، لقد أقاموا الدين في قلوبهم وسلوكهم، وجاهدوا أعداءه في ميادين القتال، وقادوا الأمة في مقاومة الاستبداد وحكم التغلب والمتغلبين، ووسعوا دوائر انتشار هذا الدين الحنيف؛ بالقُدوة الحسنة والنموذج الطيب والمثال الصالح، باختصار، لقد كانوا أئمة في "فقه الورع" وفي "فقه الواقع"

١. المصدر السابق.

٢. المصدر السابق.

٣. المصدر السابق.

وفي "فقه الأحكام" على حد سواء^(١). أما "الطرق الصوفية"، فإنها وإن بدأ الكثير منها بداياتٍ صحيحةً وتجديديةً وجهاديةً نُشِرت الإسلام، وحاربت دفاعاً عنه، كما حدث في الكثير من البلاد الأفريقية، إلا أن الكثير من الذين توارثوا هذه الطرق — باستثناء من عصم ربي — قد غرقت في "بحار البدع والشعوذات والخرافات"؛ فخلطت "صلاًحاً قليلاً" بـ "الكثير الذي أفسد الإيمان والسلوك" عند قطاعات كبيرة من الأتباع والمريدين.

هكذا جمع عالمنا المفكر بين العمل الفكري والتشبع من الأدب شعراً ونثراً أسعفه في التعبير عما يشاء من فكر وعلم، وغلف هذا كله وحقه بصوفية محببة راشدة لم تجعله ينزوي في زاوية أو ينحرف في ممارسة، وإنما كان هذا التصوف حافزاً له على مقارعة الظلم ومواجهة المستبدين.

المبحث الثالث: الجمع بين التراث والتجديد

من الجوانب المتكاملة التي جمع بينها د. محمد عمارة جانب أو مجال "التراث" ومجال: "التجديد"، وهذا لا يجتمع إلا عند الراسخين الواعين بأهمية الجمع بينهما والصدور عنهما، فالتراث لا تكون إلا تجديدية، والتجديد لا يكون إلا تراثياً. وفي عدد ليس قليلاً من كتبه ومقالاته كان يتحدث عن الهوية وحفظها والاستقلال الحضاري والخصوصية الحضارية لا سيما في ظل العولمة التي تريد أن تصب العالم الإسلامي في قالب الغربي، فمن كتبه التي كتبها في ذلك: الإبداع الفكري والخصوصية الحضارية، مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، مقالات الغلو الديني واللا ديني، الإصلاح الديني في القرن العشرين، مستقبلنا بين التجديد الإسلامي والحداثة الغربية، وغير ذلك.

ويفرق الدكتور محمد عمارة في مشروعه الفكري الذي جعل الوسطية من ركائزه: بين "الأصالة" التي تعود بعقائده وعباداته وقيمه إلى منابعها الأولى الجوهرية والنقية وبين "الجمود والتقليد" التي تحلم بالهجرة من الحاضر إلى الماضي، والتي تخاصم العقل والاستنارة والتقدم والنهوض. ويقرر أنه لا تعارض بين التراث الحق والتجديد الصحيح، يقول: "بعض الناس

١. أنظر: أبو زيد وصفي عاشور، محمد عمارة، راهب الفكر وفارس الميدان، الجزء الثاني، موقع التبيان، سبتمبر ٢٠٢٠م، <https://short>

يتصور أن التراث نقيض للتجديد، نقيض للتقدم، بل أصبحت كلمة التراث عند بعضهم سبة يُرمَى بها الغير.. بينما التراث هو الماضي، وليس هناك إنسان بلا ماضٍ.. وليس هناك إنسان إلا وهو ذا تراث وتأريخ.. لكن القضية هي ما هو تراثك؟ هل تراثك عصر التراجع الحضاري أم عصر الازدهار الحضاري؟.. وكيف نتعامل مع التراث؟ هل أهاجر إلى التراث؟ أم أننا نسترشد بالتراث" (١)؟

ومن كتبه عن التراث والسلف والسلفية التي أجاب فيها عن هذه الأسئلة وغيرها وقرر حقائق كثيرة في هذا الشأن، كتبه: السلفية: واحدة أم سلفيات، السلف والسلفية "رسائل الإصلاح ٣١"، وكتب عن السلفية كمصطلح في كتبه التي خصصها للحديث عن المصطلحات. ومن كتبه عن التجديد أو التي تناول طرفاً من قضاياها في ضوء التجديد: التقدم والإصلاح بالتنوير الغربي أم بالتجديد الإسلامي، مستقبلنا بين التجديد الإسلامي والحدثة الغربية (رسائل الإصلاح ١٠)، الشيخ شلتوت إمام في الاجتهاد والتجديد (رسائل الإصلاح ١٥)، الخطاب الديني بين التجديد الإسلامي والتبديد الأمريكي. إن الجمع بين التراث والتجديد عند المفكر يعطيه الأصالة والقوة، والرصانة والقدرة، ويمنحه مزيداً من العمق الذي يمكنه من التأثير والمضي قدماً لتثبيت مشروع الإسلام الحضاري الذي يبين الفكرة ويبلغ الدعوة ويقوم الحجة ويدحض الشبهة، وقد كان لعمارة من هذا النصيب الكبير إن لم يكن الأكبر في عصره.

المبحث الرابع: الجمع بين دراسة المذاهب الكلامية والتيارات الإسلامية وغير الإسلامية
لقد استطاع الدكتور محمد عمارة أن يدرس المذاهب الكلامية القديمة بحكم دراسته في قسم الفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم بالقاهرة، وإطلاعه الواسع على الفلسفة القديمة والمشائية والفكر الإسلامي المعاصر، وتخصصه في الماجستير والدكتوراه في المعتزلة عن الحرية عندهم، والحكم والسياسة في فكرهم، وجمع مع هذا دراسة التيارات الفكرية والمذاهب المعاصرة. بل عاش معهم وانتمى لهم بعضاً من الزمان، وقد ساعده على هذا

١. أنظر: المرجع السابق نفسه.

الانتماء - كما يحكي هو - حبه للحرية وتعلقه بقضية العدالة الاجتماعية والمقاومة والثورة، ولم يكن انتماءه لها عن عقيدة أو أيديولوجيا تخالف الإسلام، ثم حين تعمق في دراسة الإسلام وجد فيه هذا وأكثر بصورة أرقى وأعدل وأعمق وأشمل مما ترتب عليه تركه لهذه التيارات. وقد كتب عمارة بعض كتبه تشير إلى هذا الجمع، وإلى وعيه الدقيق بمذاهب الفكر المعاصر، ومن ذلك: العلمانية، سقوط الغلو العلماني، نهضتنا الحديثة بين العلمانية والإسلام، التفسير الماركسي للإسلام، مستقبلنا بين التجديد الإسلامي والحداثة الغربية، وغير ذلك من كتب^(١). والميزة هنا أن وعيه بالفرق القديمة وتياراتها في الفكر الإسلامي وتراثه العقلي العظيم قد منحه القدرة على تخريج المذاهب والتيارات الفكرية المعاصرة عليها، ومعرفة مداخلها ومسارها ودهاليزها وشبهاتها وأفكارها ومنطلقاتها ومركزاتها؛ فضلاً عن خبرته العميقة ومعرفته الدقيقة بالتيارات المعاصرة مثل الاشتراكية والماركسية والعلمانية من خلال دراسته لها وانتمائه لبعضها وقتاً من الزمان. وهو الأمر الذي ساعده في هدم هذه الأفكار ودمغ مفكرها وكشف عوارهم والرد على شبهاتهم وأفكارهم بالحجة القاطعة والبراهين الساطعة التي كان يلجئهم بها إلجاماً، وهذا ما جعل عمارة فارساً في المناظرة والحوار، وهو ما شهدته الساحة له وعرفته عنه في مسيرته الفكرية والدعوية والحضارية.

ومن المجالات التي جمع الدكتور محمد عمارة بينها: مجال دراسة التيارات الإسلامية المعاصرة بجماعاتها وتياراتها التي صرح في أكثر من مقام أنه أحبها وأحبته ونقدها ونقدته وقدم لها النصح فانتصحت أو لم تنتصح، وبين دراسة التيارات غير الإسلامية من ماركسية وشيوعية وعلمانية وإلحادية وغيرها. كل هذه التيارات درسها د. عمارة وفحصها ووقف على مستنداتها وأدلتها ومواقفها وطبيعة مسلكها، فعن موقفه من الحركات الإسلامية وفي القلب منها الإخوان يقول: "الإخوان يثقون بي ويحبونني، وأنا أعتبر التنظيم كبرى الحركات الإسلامية، خاصة في ظل حالة التشرذم في الحركة والأحزاب، فليس لدينا رصيد في الشارع إلا الإخوان؛ فهم رصيد كبير لا ينبغي أن نفرط فيه، ويجب أن نسانده"^(٢).

١. المصدر السابق.

٢. عمارة، محمد، الحركات الإسلامية رؤية نقدية، الطبعة الأولى، القاهرة، دار نهضة مصر، ١٩٩٨م، ص ٦٥.

وله كتب عن الصحوة الإسلامية، منها: "الصحوة الإسلامية في عيون غربية"، و"الصحوة الإسلامية والتحدي الحضاري"، و"الحركة الإسلامية رؤية مستقبلية"، و"الحركات الإسلامية رؤية نقدية"، وعن ممارسة النقد والتقويم للحركات الإسلامية الإخوان يقول: "سبق أن كتبت نقدًا للحركات ومنهم الإخوان؛ لأنهم ركزوا على السياسة بالمعنى الدارج، وأهملوا المشروع الإصلاح، كما أهملوا الحديث عن الاحتلال الذي تعيشه الأمة والقواعد العسكرية التي تنتشر في كل بلاد الأمة، والأساطيل التي تنتشر في البحار والمحيطات.. أيضًا الإخوان أهملوا العدل الاجتماعي، رغم أنني حين كتبت عن حسن البنا^(١) وجدته يطالب بالإصلاح الزراعي قبل الحزب الشيوعي المصري، وكان لديه برنامج اجتماعي ثوري، وكذلك خاض

١. الشيخ حسن البنا (١٣٢٤ - ١٣٦٨ هـ = ١٩٠٦ - ١٩٤٩ م) حسن بن أحمد بن عبد الرحمن البنا: مؤسس جمعية (الإخوان المسلمين) بمصر، وصاحب دعوتهم، ومنظم جماعتهم. ولد في المحمودية (قرب الإسكندرية) وتخرج بمدرسة دار العلوم بالقاهرة، واشتغل بالتعليم، فتنقل في بعض البلدان متعزًا إلى أهلها، مختبرًا طباعهم وعاداتهم واستقر مدرسا في مدينة الإسماعيلية، فاستخلص أفرادا صارحهم بما في نفسه، فعاهدوه على السير معه (لإعلاء كلمة الإسلام) واختار لنفسه لقب (المرشد العام) فأقاموا بالإسماعيلية أول دار (للإخوان) وبادروا إلى إعلان (الدعوة) بالدروس والمحاضرات والنشرات، وانفرد هو بزيارة المدن الأخرى. ثم كان يوجه بعض ثقافته في رحلات. فما عثم أن أصبح له في كل بلد سعي إليه دار، و (دار الإسماعيلية) مركز قيادة الدعوة. ولم يقتصر على دعوة الرجال، فأنشأ في الإسماعيلية (معهد أمهات المسلمين) لتربية البنات تربية دينية صالحة، ونُقل (مدرسا) إلى القاهرة، فانتقل معه (المركز العام ومقر القيادة) ولقي فيها إقبالا على دعوته. وعظم أمر (الإخوان) وناهم عددهم نصف مليون. وخشي رجال السياسة في مصر اصطدامهم بهم، فحاولوا إبعادهم عن (السياسة) فقام الشيخ يعرف الإسلام في إحدى خطبه الكثيرة، بأنه (عقيدة وعبادة ووطن وجنسية وسماحة وقوة وخلق ومادة وثقافة وقانون) وأنشأ بالقاهرة جريدة (الإخوان المسلمين) يومية، فكانت منبره الكت أبي إلى جانب منابر الخطابية. وحدثت كارثة فلسطين، فكانت (كتيبة) الإخوان المسلمين فيها، من أنشط الكتائب المتطوعة. ونودي بالهدنة، وفي أيدي (الإخوان) سلاح دُرِبوا على استعماله، وأدّخروه للملمات، فحدثت في القاهرة والإسكندرية أحداث إرهابية عجزت السلطات القائمة عن معالجتها، فلجأ رئيس الوزارة (محمود فهمي النقراشي) إلى إقفال أندية (الإخوان) ومطاردة البارزين منهم، واعتقال الكثيرين، والتضييق على زعيمهم (البنا) فتحولوا إلى (خلايا) سرية، تعمل في الخفاء. وتصدى أحدهم إلى النقراشي، فاغتاله جهرة، أمام حرسه وجنده. ولم يمض وقت طويل حتى تصدى له ثلاثة أشخاص وهو أمام مركز (جمعية الشبان المسلمين) في القاهرة ليلا، فأطلقوا عليه رصاصهم وفروا. ولم يجد البنا من يضمه جراحة، فتوفي بعد ساعتين. وكان خطيبا فياضا، ينحو منحى الوعظ والإرشاد، في خطبه، وتدور آيات القرآن الكريم على لسانه، منظما، يعمل في هدوء ويني في اطمئنان. له مذكرات نشرت بعد وفاته باسم (مذكرات الدعوة والداعية). انظر: الأعلام للزركلي ١٠٣/٢.

الشيخ الغزالي معركته ضد الظلم الاجتماعي، وحتى سيد قطب^(١) كتب ضد الظلم الاجتماعي، ولكن كل هذا غاب"^(٢).

أما عن حياته مع التيارات غير الإسلامية التي انتهت معاشته لها إلى "التيارات الإسلامية" و"الفكرة الإسلامية"، فيقول: "دخلت اليسار لأجل القضية الاجتماعية، ولكن بالقراءة والتأمل في السجن أدركت أن حل المشكلة الاجتماعية يكمن في الإسلام، في نظرية الاستخلاف وليس في الصراع الطبقي والماركسية.. موافقي في مرحلة اليسار والمرحلة القومية ثم الإسلامية حصل فيها نضج وتطور، لكن لم تكن هناك فواصل حادة بينها. كنت يسارياً بالمعنى الاجتماعي الثوري، وليس بالمعنى العقدي فلم يكن هناك إلحاد؛ لأن التجربة الروحية والتكوين الديني الأصيل عصمني من أن أستخدم الفكر المادي والنظرية المادية. عندما أدركت أن حل المشكلة الاجتماعية في الإسلام - وليس في الماركسية - كان هذا بداية النضج في الموقف الإسلامي، وفي المرحلة الناصرية كان ثمة تركيز على البعد القومي والعربي، وأنا كنت وما زلت أدرك أن القومية دائرة من دوائر الجامعة الإسلامية، فلم يكن هناك تناقض بين الانتصار للوحدة العربية وللقومية العربية وبين الدائرة الإسلامية. في مرحلة اليسار لا أنكر أنه حدث عندي نوع من الغبش الفكري، ومن سلبيات المرحلة اليسارية - بالنسبة لي - أنني كنت أحفظ دواوين شعرية كثيرة، ثم نسيت هذا في مرحلة اليسار لأنني شغلتني المنشورات والنشاط السياسي"^(٣).

ولكن بدأ الغبش الفكري يزول في المرحلة الإسلامية شيئاً فشيئاً، وبعد ١٩٦٧ تراجع المشروع القومي وأصبح التركيز على الدائرة الإسلامية، أيضاً مما عمق موقعي الإسلامي ظهوراً

١. سيد قطب بن إبراهيم (١٩٠٦ - ١٩٦٧ م): مفكر إسلامي مصري، تخرج بكلية دار العلوم بالقاهرة وانضم إلى الإخوان المسلمين، وسجن معهم، فعكف على تأليف الكتب ونشرها وهو في سجنه، إلى أن صدر الأمر بإعدامه، فأعدم. من كتبه: العدالة الاجتماعية في الإسلام والتصوير الفني في القرآن والمستقبل لهذا الدين وفي ظلال القرآن ومعاليم في الطريق. انظر: الأعلام للزركلي ١٤٧/٣.

٢. عمارة، محمد، الحركات الإسلامية رؤية نقدية، الطبعة الأولى، القاهرة، دار نهضة مصر، ١٩٩٨م، ص ٣٨.

٣. حلقة برنامج وحي القلم: محمد عمارة .. الاعتكاف في محراب الفكر. قناة الجزيرة. تاريخ البث ٢٠١٥/٧/١٣م.

<https://shorturl>.

الصحة الإسلامية في الثمانينيات، وتصاعد التحديات التغريبية للصحة الإسلامية والحل الإسلامي بعد سقوط الاتحاد السوفياتي في ١٩٩١، الأمر الذي جعلني أفرد العديد من الكتب لمواجهة الفكر التغريبي والرد على غلاة العلمانيين، لكن ظلت الدائرة القومية والعربية، وقضية العدل الاجتماعي والثورة على الظلم الاجتماعي ملحوظة في كتاباتي، كما ظلت الدائرة الإنسانية والتفاعل مع الحضارات المختلفة موجودة في مشروعني الفكري^(١). وفي سياق آخر يبين أن إنتماءه لليسار لم يكن عقديًا ولا أيديولوجيًا وإنما كان لحمله القضية الاجتماعية والعدالة، يقول: "وعندما أُلغيت الأحزاب - ومنها مصر الفتاة والحزب الاشتراكي - لم يكن أمامنا لمواجهة الإقطاع إلا اليسار، فقد كان اليسار حينها فارس القضية الاجتماعية والعدل الاجتماعي، وكان له موقف من القضية الوطنية؛ فقد كان ضد القواعد العسكرية والوجود الأجنبي. وكنت قد دخلت اليسار من باب القضية الاجتماعية من باب القضية الثورية"^(٢).

ولهذا كتب الدكتور محمد عمارة كتبًا في مواجهة مشاريع التغريب والغلو التغريبي والغلو العلماني من الرد على نصر أبو زيد (ت ٢٠١٠م) وحسن حنفي وسعيد العشماوي^(٣)، وغيرهم، ومما أُلّفه في ذلك: "التفسير الماركسي للإسلام"، و"فكر التنوير بين العلمانيين والإسلاميين"، و"الحوار بين الإسلاميين والعلمانيين". وكذلك له مؤلفات عن التسلف والسلفية يقول في هذا: "كتبت كتيبًا عن "سلفية واحدة أم سلفيات"، وكتبت عنها في كتاب "تيارات الفكر الإسلامي"، وكان محمد عبده^(٤) يتحدث عن أنه سلفي ويريد فهم الدين كما

١ . أنظر مقال: أبو زيد وصفي عاشور، محمد عمارة، راهب الفكر وفارس الميدان، الجزء الثاني. <https://shorturl>.

٢ . حلقة برنامج وحي القلم: محمد عمارة .. الاعتكاف في محراب الفكر. قناة الجزيرة. تاريخ البث ١٣/٧/٢٠١٥م. <https://shor>.

٣ . محمد سعيد العشماوي (١٩٣٢-٢٠١٣م) هو كاتب ومفكر مصري وقانوني، عمل وكيل نيابة وقاضيًا ومستشارًا في محاكم مصر، وتولّى سابقًا منصب رئيس محكمة استئناف القاهرة ومحكمة الجنايات إلى أن وصل الي وظيفة رئيس محكمة أمن الدولة العليا.

٤ . محمد عبده بن حسن خير الله، (١٢٦٦ - ١٣٢٣ هـ): مفتي الديار المصرية، ومن كبار رجال الإصلاح والتجديد في الإسلام. تعلم بالأزهر وتوصف وتُفلسف وعمل في التعليم والقضاء. بعض كتبه تفسير القرآن الكريم ورسالة التوحيد. انظر الأعلام للزركلي ج٦، ص ٢٥٢.

فهمه سلف هذه الأمة قبل ظهور الخلاف. كل إنسان سلفي، فكل إنسان له ماضٍ، ولكن ما ماضيك؟ هل هو عصر الازدهار أم عصر التراجع؟ كيف تتعامل مع سلفك؟ هل تهاجر من الحاضر إلى الماضي، أم تستلهم السلف والماضي لقراءة الواقع ولحل مشكلات الواقع؟ ولذلك لدينا سلفيات مختلفة^(١).

وهكذا نستطيع القول أن محمد عمارة استطاع أن يجمع بشكل كامل وواع - حقيقةً لا ادعاءً - بين دراسة هذه التيارات فكرياً وممارسة، تنظيراً ومعايشة، حباً وانتقاداً حتى غدا هو بذاته رمزاً من رموز الحركات والصحوات في عصره، وهذا مكّنه من التأثير فيها وخلع على فكره سمة العملية والفاعلية والحركية.

المبحث الخامس: الجمع بين الوطنية والعروبية والإسلامية والإنسانية

جمع الدكتور محمد عمارة هذه الدوائر في مشروعه الفكري، وإن بدأ في بديه مشواره ومشروعه بالوطنيات والقوميات والعروبيات، لكنه وجد هذا كله وزيادة في الإسلام الذي قاده إلى استيعاب هذا كله وصّهره، وانتهى به إلى الإنسانية. ولقد ألف د. عمارة ضمن مشروعه الفكري العملاق كتباً عن هذه الدوائر الوطنية والقومية والإسلامية والإنسانية، وأحياناً يكتب عن القومية والوطنية، وأحياناً أخرى يبين ما في الإسلام من أبعاد إنسانية، ظهر هذا بجلاء في عدد ليس قليلاً من عناوانات كتبه، ومن ذلك: الجامعة الإسلامية والفكرة القومية، الأقليات الدينية والقومية تنوع ووحدة أم تفتت واختراق؟، فجر اليقظة القومية، الإسلام والوحدة القومية، القومية العربية ومؤامرات أمريكا ضد وحدة العرب، ظاهرة القومية في الحضارة العربية، حقائق وشبهات حول الوطنية والقومية والجامعات الإسلامية، ظاهرة القومية في الحضارة العربية، العروبة في العصر الحديث، الأمة العربية وقضية الوحدة، القومية العربية ومؤامرة أمريكا ضد وحدة العرب، ثورة الاستقلال والوحدة الوطنية، ثورة ١٩١٩ والوحدة الوطنية، المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية، السنة النبوية ومعرفة الإنسانية، مستقبلنا بين

١. عمارة، محمد. تيارات الفكر الإسلامي، الطبعة الثانية، القاهرة، دار الشروق، ١٩٩٧م، ص ٦٨.

العالمية الإسلامية والعولمة الغربية، السماحة الإسلامية. ومما يؤكد على هذا أن أول كتب كتبها عمارة كانت عن القومية ثم ما لبث أن اكتشف وجود هذه الأبعاد والدوائر كلها في الإسلام، يقول: "وفي تلك الفترة كتبت أربع كتب؛ قبل السجن كتبت كتابًا عن القومية العربية ومؤامرات أميركا ضد العرب، حين كنت طالبًا في دار العلوم، كتبت في مواجهة فكر يساري ينكر وجود أمة عربية، وأنا بترائي الإسلامي أدركت أن الأمة العربية تكونت بظهور الإسلام، فعكفت أسبوعًا وكتبت هذا الكتاب، وكان أول كتاب في مصر ينشر عن القومية العربية بعد الوحدة بين مصر وسوريا، وطُبع طبعتين وتُرجم إلى الروسية. كتبت في ١٩٥٧ وطُبع في ١٩٥٨. وعندما دخلت السجن واستقرت الأمور عكفت على القراءة لتطوير هذه الدراسة، فكتبت كُتُب: 'فجر اليقظة القومية'، و'العروبة في العصر الحديث'، و'الأمة العربية وقضية الوحدة'، و'إسرائيل هل هي سامية؟'؛ وهي دراسة تقارن بين المشروع الصهيوني والمشروع الصليبي. ونشرت هذه الكتب بعد أن خرجت من السجن"^(١). إن الجمع بين كل هذه الدوائر لا يقدر عليه إلا الإسلام، ولا يستطيع تجليله وبيان وإكهاره بحقيقته وطبيعته غير المتعارضة ولا المتناقضة إلا "المفكر الإسلامي" في حين يرفضه المفكرون الوطنيون والقوميون، بلا ينكرونه؛ فضلًا عن بيان الانسجام بينها وعدم التعارض فيها، وقد قدم د. عمارة في مشروعه الفكري هذه الدوائر كلها متسقة ومنسجمة ومتكاملة لا متعارضة ولا متناقضة مما خلع على مشروعه ميزة خاصة تتناسب مع هذا التنوع والتكامل والثراء.

المبحث السادس: الجمع بين الكتابة والخطابة والجهاد

وقبل بيان فروسية الميدان والاشتغال بهموم الأمة على الأرض وفي الميدان نذكر أولاً أن روح الفروسية ومسلك الجهاد والدفاع كانت تكتسي بها كتاباته، وكذلك مفرداته التي يختارها لا سيما في كتبه التي يرد فيها الشبهات، أو مؤلفاته التي يظهر فيها عوار التيارات الفكرية المنحرفة سواء أكانت قديمة أم حديثة. إن الدكتور محمد عمارة حينما يكتب في قضية أو يتحدث فيها، فلا تشعر أنه كاتب يكتب بقلم، أو مؤلف يحبر الورق، أو خطيب يعتلي

١. حلقة برنامج وحي القلم: محمد عمارة الاعتكاف في محراب الفكر. قناة الجزيرة. تاريخ البث ٢٠١٥/٧/١٣ م.

<https://shorturl.at>

المنبر، أو متكلم يتكلم في ندوة، وإنما تشعر أنه مقاتل في معركة يحمل السلاح، ومجاهد مرابط على الثغور يحمي الدمار، فترى بارقة السيوف فيما يكتب أو يخطب؛ مبيّنًا معالم الإسلام، ومجليًا محاسن العقيدة، ومرسّخًا معاهد الشريعة، ومؤسّسًا فِرَادَةَ الحضارة، بما يملك من حُجج بالغة، وأدلة دامغة، وإحصاءات قاطعة، ونُقُولٍ عن الآخرين باهرة معبرة، كل هذا في حسن عرض، وجمال بيان، وروعة أسلوب. من الوهلة الأولى في الكتابة يطالعك تاريخ عمارة بأول مقال كتبه في حياته كان من أجل القضية الفلسطينية، وكان بعنوان: "جهاد"، وهو يحكي قصته فيقول: "حدث أني التقيت بناسٍ من حزب "مصر الفتاة"، وبدأت العمل بالسياسة من خلال الحركة الوطنية في مصر، ومن خلال القضية الفلسطينية. أول مظاهرة اشتركت فيها كانت سنة ١٩٤٦ أثناء فترة المعهد (١٩٤٥-١٩٤٦)، وكانت مظاهرات ضد مشروع صدقي/بيفن حول الجلاء الإنجليزي عن مصر. وفي ١٩٤٧ بدأت أخطب في المساجد ضد اليهود = (الإسرائيليين)، ومن أجل القضية الفلسطينية، وكتبت أول مقال بعنوان "جهاد" عن الفدائيين الذين دخلوا فلسطين قبل الجيوش العربية، نُشر في أول أبريل/نيسان سنة ١٩٤٨ في جريدة "مصر الفتاة"، وأعتقد أن نشر هذا المقال حدد مستقبلي ومصيري في علاقتي بالكتابة." وقد كانت قضية فلسطين من القضايا المجمع عليها من كافة التيارات السياسية والفكرية، ونشأ مفكرنا محبًا للحرية والتحرر والجهاد والعدل الاجتماعي. سبقت الإشارة قبل قليل إلى اشتراكه في أول مظاهرة ضد مشروع "صدقي بيفن" حول الجلاء الإنجليزي عن مصر، كان ذلك عام ١٩٤٦م وهو ابن خمسة عشر عامًا. وكذلك في فترة تعليمه الابتدائي كان يشارك في اعتصامات واحتجاجات، يقول: "فتحت تجربة التعليم الابتدائي أمامي أبوابًا كثيرة، خصوصًا أن الأجواء في الأزهر كانت تتسم بالجمود، وكنا ندرس الحواشي والتعليقات، ولاحظت بعد ذلك أن ما يدرس في الأزهر ليس كتب عصر الازدهار الحضاري ولا كتب عصر التجديد، وإنما كتب في أغلبها مؤلفة في عصر المماليك، لذلك كنا نقوم بإضرابات واعتصامات واحتجاجات مطالبين بإصلاح الأزهر وإدخال اللغات الأجنبية"^(١).

١. الخطيب، معتز، (٢٠٢١/٥/٣) المفكر الراحل محمد عمارة سيرة ومسيرة، <https://bit.ly>، ٢٠٢٣/١٠/٢٦. حوار

وكان يتابع أخبار الفدائيين من خلال الصحف، يقول: "وكنت أقرأ صحيفة مصر الفتاة، وأعرف أخبار الفدائيين الذين دخلوا من مصر وسوريا إلى فلسطين، وذلك قبل دخول الجيوش العربية إلى فلسطين في مايو/أيار سنة ١٩٤٨م"^(١). تطور الأمر بعد ذلك ميدانيا وممارسة إلى التدريب على السلاح وممارسة الجهاد القتالي على الأرض بالفعل، يقول: "عندما احتدّت أحداث القضية الفلسطينية؛ تطوعت لأتدرب على السلاح وأذهب إلى فلسطين، لكن بسبب السن وأن دسوق كانت مدينة صغيرة لم تتح لي فرصة الدخول إلى فلسطين، وعندما ألغيت معاهدة ١٩٣٦ بين مصر وإنجلترا سنة ١٩٥١ تدرّبت على السلاح أيضًا، ثم تدرّبت على السلاح أيضًا للذهاب إلى قناة السويس ومحاربة الجيش الإنجليزي في القواعد العسكرية هناك، لكن حدث حريق القاهرة فأجلت الموضوع. ولكنني تمكنت من الذهاب إلى القناة لمواجهة العدوان الثلاثي ١٩٥٦، حين كانت لي علاقة باليسار المصري الذي كان بينه وبين الحكومة تعاون لمواجهة العدوان الثلاثي"^(٢).

منذ زمن مبكر كان د. عمارة يعتلي المنبر، ويخطب ضد الاحتلال، حتى إنه يقول: "وفي ١٩٤٧ بدأت أخطب في المساجد ضد اليهود (= الإسرائيليين)، ومن أجل القضية الفلسطينية"^(٣). بل إنه كان يخطب لفلسطين ليجمع المال لها من القرى القريبة منه، يقول: "شاركْتُ في الدعاية للقضية الفلسطينية، وذهبتُ إلى القرى المجاورة لقريتي لأخطب وأطلب التبرع المادي لدعم الكفاح في فلسطين"^(٤).

والذي حمل مفكرنا على الخطابة وممارستها في وقت مبكر من حياته هو رغبته في التغيير والتجديد لما رآه من أفكار مغلوبة وأوضاع اجتماعية غير صحيحة، يقول: "لقد لمستُ في

أجرى معه سنة ٢٠١٠م في إطار إعداد فيلم وثائقي -لصالح قناة الجزيرة- عن سيرته الشخصية ومسيرته الفكرية.

١. المصدر السابق.

٢. محمد عمارة جهاد في خدمة الإسلام (مقال)، أشرف عيد العتيلي، <https://www.ikhwanwiki>.

٣. حلقة برنامج وحي القلم: محمد عمارة .. الاعتكاف في محراب الفكر. قناة الجزيرة. تاريخ البث ١٣/٧/٢٠١٥م. <https://shorturl.at/etCNQ>.

٤. المصدر السابق.

فترة الطفولة والنشأة كثيرًا من مظاهر الفهم الخاطئ لتعاليم الدين (والتي كانت نتيجة لظروف طويلة من التخلف)، مما دفعني إلى طريق التجديد والتصحيح.. حتى لقد كُنْتُ، منذ بداية عهدي بالخطابة، أخطب على نحو غير تقليدي؛ فلقد كان يُدهش جمهور الفلاحين لأنهم لم يتعودوا أن يصعد على المنبر إنسانٌ يتكلم في الشؤون الاجتماعية والسياسية والعامة.. وبدأت أعظُّ الناسَ ٣٠ ليلةً في رمضان.. ثم بدأت التجربة التي بدأْتُها في القرية تنضج؛ ففتحول إلى لون من ألوان القيادة السياسية والاجتماعية والفكرية: فأصحابُ المشكلات يأتون، والباحثون عن الفتاوى يأتون، والمشكلات الزوجية صُلحاً أو طلاقاً تنتهي عند الحجرة المتواضعة التي أجلس فيها، والعلاقات والصدقات تنمو بين القرية والقرى المجاورة، وأصبحت شهور الصيف التي أقضيها في القرية منتديات من الحوار والنقاش الدائم، ومجالاً خصباً للخطابة والموعظة وإمامة الناس^(١). وقد تطورت طبيعة الخطابة عنده من "مجرد الوعظ" إلى آفاق الإصلاح الاجتماعي كما تبين، يقول عن ذلك: "وأذكر أنَّ من ضمن ما قدمت للناس في مسجد القرية تفسيراً أدهشهم، لكنه أقنعهم، وذلك عندما قلتُ لهم: "إذا لم تأخذوا من إنتاجكم ما يكفي قوتكم وقوت أولادكم، فستذهبون إلى النار، حتى لو كان ذلكم الأخذُ اغتصاباً من المالكِ للأرض؛ لأنَّ الله سبحانه يُبشِّر الذين يَظلمون أنفُسهم بالنار" {إن الذين توفاهم الملائكةُ ظالمي أنفُسهم، قالوا: فيم كنتم؟ قالوا: كنا مستضعفين في الأرض قالوا: ألم تكن أرضُ الله واسعةً فتهاجروا فيها؟! فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً} ^(٢) وأنت إذا لم تأخذ من نتاج عرقك ما يكفيك ويكفي أسرَتَكَ: فأنت تظلم نفسك؛ فأنت عاصٍ لله. وقد كنتُ أرى الفلاحَ يَشقى ويزرع الأرضَ ويرويها بعرقه (على سبيل الحقيقة لا المجاز)، ثم يَحْصُد، ثم يأخذُ المالكُ كلَّ هذا الحصادِ ونتيجةَ هذا العرق، ويذهب الفلاحُ آخر الليل إلى بيته خالي الوفاض، فإذا امتعض أو اعترض: يُطرَد من الأرض

١. حلقة برنامج وحي القلم: محمد عمارة .. الاعتكاف في محراب الفكر. قناة الجزيرة. تاريخ البث ١٣/٧/٢٠١٥م.

<https://shorturl.at/etCNQ>

٢. سورة النساء: ٩٧.

ويُلَقَى للمجهول.. ومن هنا كان هذا التفسير الذي قدمته تفسيرًا ثوريًا^(١). وقد أشرنا سابقًا ونحن نتحدث عن تجربته الصوفية ممارسته للخطابة الناقدة للتصوف المنحرف وللملك فاروق معًا، وهو ما يزال في التعليم الأولى، يقول: "في مرحلة الابتدائي والثانوي -قبل الإرتباط باليسار- كانت لدي تجربة في المجاهدة الروحية والتصوف غير الطريقي، وكنت أخطب على المنبر ضد الطرق الصوفية وأعلم الناس فرائض الدين ومقاومة الظلم، وفي الجمعة التي سبقت ثورة يوليو صادف أن انتقدت الملك فاروق، وعندما عُزل بعد الثورة ظن بعض الناس أنني كنت على علم بتفاصيل ثورة يوليو، وظن آخرون أنني من أولياء الله الصالحين"^(٢). وإبان أحداث يوليو ١٩٥٢م يقول مينا تطور الخطابة عنده إلى شكل سياسي ثوري: "وقامت ثورة يوليو ١٩٥٢م أثناء دراستي الثانوية، ولقيامها معي حادثٌ طريفٌ: فقد كنتُ أخطب الجمعة بشكل منتظمٍ خلال الإجازة الصيفية بمسجد القرية، وكنتُ الوحيد الذي لا يدعو للملك على المنبر، وكان هذا شيئًا مُستغربًا، ولكنني التزمتُهُ.. والمثيرُ أنه في يوم الجمعة وخلال الأسبوع الذي سبق الثورة مباشرةً كان في الخطبة ما يُشبه النقد اللاذع للملك فاروق، ودعوتُ الله فيها أن ينصر الأمة العربية والإسلامية على أعدائها ويبدأ بنائها المخلصين.. وعندما قامت الثورة: تصورَ مَنْ في القرية أنني كنتُ على علمٍ أو على اتصالٍ بها، وأخذوا يقارنون بين ما قلتهُ في الخطبة وبين ما حدث؛ ليؤكدوا على هذه القناعة"^(٣). ظلت الخطابة مهارة ورسالة يمارسها مفكرنا في قريته حتى أواخر حياته، كان إذا زار قريته خطب فيها الجمعة، وخطب العيدين، وما زال كذلك حتى لقي الله تعالى. وأيضًا من معالم فروسيته ما اشتهر به من مناظرات لم يحظ أحد من معاصريه بالقدر الذي حظي به الدكتور محمد عمارة منها اللهم إلا أحمد ديدات -رحمهما الله تعالى- وقد تابعت

١. عمارة، محمد، التفسير الماركسي للإسلام، دار الشروق القاهرة مصر، ص ٧٤.

٢. حلقة برنامج وحي القلم: محمد عمارة.. الاعتكاف في محراب الفكر. قناة الجزيرة. تاريخ البث ١٣/٧/٢٠١٥م.

<https://shorturl.at/etCNQ>

٣. الخطيب، معتز، (٣/٥/٢٠٢١) المفكر الراحل محمد عمارة سيرة ومسيرة، <https://bit.ly/٣gGgBtQ>، اطلع عليه بتاريخ: ٢٠٢٢/١٠/٣٠. حوار أجري معه سنة ٢٠١٠م في إطار إعداد فيلم وثائقي -لصالح قناة الجزيرة- عن سيرته الشخصية ومسيرته الفكرية، المرجع السابق.

الجماهير الواسعة مناظراته مع نصر أبو زيد وفرج فودة ونوال السعداوي وكمال زاخر وفؤاد زكريا وآخرين، وكيف خرج من هذه المناظرات كلها منتصراً مظفراً حتى قال عنه الشيخ الكبير محمد الغزالي مداعباً إياه في لقيه: "أنت لست «عمارة»؛ أنت قلعة حصينة شامخة شديدة البأس؛ تكرر منها على أعداء الإسلام وشائتيه، ولا ترضى الإياب إلا بعد أن تتركهم صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية"^(١). كما أنه حين يستضاف وحده في أي لقاء تليفزيوني يتحدث حديثاً قوياً حاشداً متحمساً يأخذ عقلك وقلبك ووجدانك بما يقوله من فكر، وما يقيمه من حجج وأدلة، وما يدفعه من شبهات أمام العلم الراسخ الذي يبدده ويذهبه بل يجعله أضحوكة وأثراً بعد عين.

الفصل الثاني: قواعد منهجية الدكتور محمد عمارة في

الدعوة

المبحث الأول: الوسطية الإسلامية

المبحث الثاني: العقلانية الإيمانية

١ . القرضاوي يوسف، الدكتور محمد عمارة الحارس اليقظ المربط على ثغور الإسلام، ص ١٤٣، دار المقاضد، بيروت.

المبحث الثالث: الإيمان بالتعددية

المبحث الرابع: المواكبة والتجديد

الفصل الثاني: قواعد منهجيته في تناول مشاكل الدعوة

تمهيد: قدم الدكتور محمد عمارة للأمة مشروعاً فكرياً متكاملاً، إرتكز هذا المشروع على أصول فكرية وقواعد منهجية عميقة. وفي هذا الفصل سنتطرق بالتفصيل إلى هذه المرتكزات الفكرية التي بنى عليها محمد عمارة مشروعه الفكري النهضوي و تطرق من خلالها إلي المشاكل والتحديات في الساحة الدعوة.

المبحث الأول: الوسطية والإعتدال

تمهيد: ينتمي المفكر محمد عمارة إلى الوسطية الإسلامية ويدعو إليها، وسنعرض في هذا المبحث مفهوم الوسطية وأيضاً أهم تطبيقاتها.

المطلب الأول: تعريف الوسطية

يرى محمد عمارة أن الوسطية الإسلامية هي بمثابة المنظار الذي يمكن من خلاله رؤية الإسلام الحقيقي، فيقول عنها: "أنها الحق بين باطلين.. والعدل بين ظلمين.. والاعتدال بين طرفين والموقف العادل الجامع لأطراف الحق والعدل والاعتدال الراض للغلو إفراطاً وتفريطاً لأن الغلو الذي يتنكب الوسطية هو انحياز من الغلاة إلى أحد قطبي الظاهرة، ووقوف عند إحدى كفتي الميزان يفتقر إلى توسط الوسطية الإسلامية الجامعة"^(١). حيث يرى محمد عمارة الوسطية الإسلامية من المفاهيم السوقية العامة التي شاعت عن دلالات مصطلحها بين العوام، وينفي أن تكون لها صلة بالوسطية الإسلامية، ويرى أيضاً أنها ليست الوسطية الأرسطية التي رأى بها أرسطو وعرفها الكثير من الدارسين للفلسفة اليونانية بأنها فضيلة بين رذيلتين، فالوسطية ليست بهذا المفهوم في منهج الإسلام إنما هي موقف ثالث في التصور الإسلامي، حيث يسميها محمد عمارة بالوسطية الجامعة التي تجمع عناصر الحق والعدل من القطبين المتقابلين، وتكون موقفاً ثالثاً متميز عن الأول ومتميز عن الثاني، ولكنه ليس مغايراً تماماً لكلا القطبين. ويضرب محمد عمارة أمثلة عن الوسطية الجامعة ومن ذلك العقلانية الإسلامية، فهي موقف وسط بين ظاهر النقل وبين تأليه العقل، ولكنه يجمع عناصر الحق والعدل من النقل ومن العقل والكرم فهو موقف وسط بين الشُّح والبخل وبين الإسراف والتبذير، لكن الكريم فيه من عطاء المسرف شيء، وفيه من تدبير البخيل شيء، ويجمع الوسط العدل الخيار من الموقفين المتقابلين فيكون موقفاً وسطاً هو الكرم. والشجاعة ليست مغايرة تماماً للتهور، وليست مغايرة تماماً للجبن، إنما هي تجمع عناصر الحق والعدل من التهور الذي فيه الإقدام، وتجمع الحسابات والتدبير من الجبان الذي فيه الحذر.

وقد ذكر محمد عمارة كل الآيات التي أشارت إلى مصطلح الوسطية الإسلامية، والمضمون الذي ميزها بوصف الجامعة، يقول الله تعالى في سورة الفرقان: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ

١ . محمد عمارة: معالم المنهج الإسلامي، مصدر سابق، ص ٧٧.

يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ (١). وقوله أيضا في سورة الإسراء : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ (٢). وغيرها من الآيات التي أشارت إلى هذه الخصيصة . الوسطية من خصائص المنهج الإسلامي والدين الإسلامي وصفات الأمة الوسط أمة الإسلام، وفي نفس المضمون الإسلامي لمصطلح الوسطية قرأ محمد عمارة أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: "ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين في الإسلام إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً كان أبعد الناس منه" (٣). حيث يرى محمد عمارة أن هذا الإثم الذي كان الرسول صلى الله عليه وسلم أبعد الناس عنه هو المرفوض من سمات القطبين المتناقضين، لأنه الظلم والباطل والتطرف المنحاز بعيداً عن العدل والحق واليسر والاعتدال" (٤). وقد اعتبر محمد عمارة الوسطية الإسلامية منظار للرؤية وبدونه لا يمكن أن نبصر حقيقة الإسلام، وكأنها العدسة اللامعة للنظام الإسلامي والفكرية الإسلامية، والفقه الإسلامي وتطبيقاته فقه وسطي يجمع بين الشرعية الثابتة والواقع المتغير، أو يجمع بين فقه الأحكام وبين فقه الواقع، ومن هنا فإن الله سبحانه وتعالى جعل وسطيتنا جعلاً إلهياً. يقول الله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ (٥). ويضيف محمد عمارة أنه عندما التزمت الفكرية الإسلامية بهذه الوسطية الجامعة لم تعرف ذلك التناقض الذي لم يوجد له حل بين هذه الثنائيات الروح والجسد، الدنيا والآخرة، الدين والدولة، الذات والموضوع، الفرد والمجموع الفكر والواقع المادية والمثالية.. وغيرها من الثنائيات التي حدث بينها التناقض ولم يجدوا لها حلاً، حيث يرى

١ . سورة الفرقان: الآية ٦٧

٢ . سورة الإسراء : الآية ٢٦

٣ سورة الإسراء : الآية ٢٩

٤ . رواه البخاري ومسلم وأبو داود والإمام مالك والإمام أحمد.

٥ . محمد عمارة : معالم النهج الإسلامي، مصدر سابق، ص ٨٠.

٦ . سورة البقرة: الآية ١٤٢

عمارة أنه عندما افتقد منهج النظر إليها إلى قسمة الوسطية الجامعة حدث الانقسام الحاد في الفلسفة الغربية إلى ماديين ومثاليين. في حين يقول محمد عمارة: "لقد مثلت هذه الوسطية الجامعة لفكرتنا الإسلامية عند الذين التزموها طوق النجاة من هذه الثنائية وتمزقها"^(١).

المطلب الثاني: تطبيقات الوسطية الإسلامية

الفرع الأول: الفكر والمادة

الفلسفة المادية ترى أن المادة هي مصدر الفكر، وأن الدماغ هو الذي يشع الفكر وهذا الدماغ هو مادة، إذن المادة هي الأساس. في حين الفلسفة المثالية الأوروبية تقول عكس ذلك أن الفكر هو مصدر المادة ونجد ذلك في نظرية المثل عند أفلاطون وغيرها. ويرى محمد عمارة أن المنهج الإسلامي والفكرية الإسلامية بل والحضارة الإسلامية ككل قد قدمت تصور وسطي لعلاقة الفكر بالمادة، وهو أن الوحي يأتي بكليات والواقع يفرز علامات استفهام يريد إجابات على مشكلات الواقع، فالوحي عندما يتنزل في الواقع يحدث تغيير فينتج الفقه، والفقه الذي يحكم حياة المسلمين هو ثمرة للجمع بين الوحي التنزيل الإلهي، وبين علامات استفهام الواقع، وهكذا لا ينفرد الفكر وحده ولا الواقع وحده بالفعل والتأثير، فلا نقف عند الفكر وحده، هو الذي يصنع المادة ولا عند المادة وحدها هي التي صنعت الفكر، بل عقد القرآن بين الفقه الحكم وفقه الواقع^(٢). يضيف محمد عمارة أن الكثير من القضايا في الفكر الغربي قد قسمت هذا الفكر إلى اتجاه مادي واتجاه مثالي، وهذا لا يوجد في الحضارة الإسلامية بل هناك مادية مؤمنة فعندما نقول إن الله قديم لا أول له، وفعل القديم قديم، العالم قديم لكنه فعل الله سبحانه هو قديم لكنه مخلوق له خالق هو الله، وهذه النظرية تحدث عنها ابن رشد باستفاضة وبشكل عبقرى.

١ . محمد عمارة معالم المنهج الإسلامي، المصدر السابق، ص ٨١.

٢ . محمد عمارة: معالم المنهج الإسلامي، المصدر السابق، ص ٨٢-٨٣.

يعطي محمد عمارة شهادات واقعية تطبيقية على الوسطية الإسلامية الخاصة بعلاقة الفكر بالواقع، فيستأنس بشهادة عالم قديم وفيلسوف حديث هما جابر بن حيان^(١)، وجمال الدين الأفغاني. فجابر بن حيان يرى ضرورة سبق العلم للتجربة والعمل وفي نفس الوقت يرى اكتمال العلم بواسطة التجربة والعمل فكل صناعة لا بد لها من سبق العلم في طلبها للعمل، فالعلم سابق أول والعمل متأخر مستأنف وكل من لم يسبق إلى العلم لم يمكنه إتقان العمل. أما جمال الدين الأفغاني، فهو يتصور العلاقة بين الفكر والمادة على نحو أن آخر الفكر أول العمل وآخر العمل أول الفكر. ويختتم محمد عمارة حديثه حول علاقة الفكر بالمادة، حيث يرى أنه بفضل الوسطية الإسلامية فقد برئ الموقف الإسلامي من الثنائية والانشطار.

الفرع الثاني: الجبر والإختيار

يعرف محمد عمارة الجبر في الاصطلاح الإسلامي بأنه: "تجريد الإنسان من فعل الأفعال التي تظهر على يديه، والتي هو محل لها ونسبة الفعل لها إلى الله سبحانه وتعالى" (٢). حيث أن الجبر والجبرية هما النقيض للحرية والإختيار. ويرى محمد عمارة أن المنهج الإسلامي يعترف بالسببية مع نفي الحتمية المطلقة، وبالعلاقة الضرورية بين الأسباب والمسببات فإن هذا المنهج يعترف بالحرية الإنسانية والإختيار الإنساني، ولكن دون حكم أو إطلاق وبما أن الوسطية الجامعة. أخص خصائص هذا المنهج الإسلامي فقد تنبع فلسفته في حرية الإنسان واختياره من وسطية مكانة هذا الإنسان في هذا الوجود، فلا تكون حريته مطلقة فيه فيكون هو سيد هذا الوجود، ولا يكون الجبر المطلق هو قدره في هذا الميدان فيكون هو الحقيير المتلاشي الذي لا خلاص له إلا بالفناء الكل أو المطلق، إنما هو الخليفة

١. جابر بن حيان (٢٠٠ - ٢٠٠ هـ = ٨١٥ - ٨١٥ م) جابر بن حيان بن عبد الله الكوفي، أبو موسى: فيلسوف كيميائي، كان يعرف بالصوفي. من أهل الكوفة، وأصله من خراسان. اتصل بالبرامكة، وانقطع إلى أحدهم جعفر بن يحيى. وتوفي بطوس. له تصانيف كثيرة قيل: عددها ٢٣٢ كتاباً، وقيل: بلغت خمسمائة. ضاع أكثرها، وترجم بعض ما بقي منها إلى اللاتينية. ولجابر شهرة كبيرة عند الأفرنج بما نقلوه، من كتبه، في بدء يقظتهم العلمية. وقد اشتملت كتبه على بيان مركبات كيماوية كانت مجهولة قبله. وهو أول من وصف أعمال التقطير والتبلور والتذويب والتحويل إلخ. انظر: الأعلام للزركلي ١٠٣/٢.

٢. محمد عمارة: معالم المنهج الإسلامي، المصدر السابق، ص ٨٧.

الذي إستخلفه الله لحمل أمانة الحرية والاختيار، ولكنها حرية واختيار الخليفة المحكوم بالنظام الأعظم الذي خلقه خالق هذا الوجود، فهي إذن الحرية في الوسط والاختيار الوسط بين (مطلق الجبر) و (مطلق الاختيار)^(١). فالإسلام بوسطيته الجامعة قد اتخذ السبيل العدل في قضية الجبر والاختيار، فالقدر ليس نقيضاً للحرية إنما هو حاكم لإطارها، لأنها حرية الخليفة المخلوقة والمحكومة ب (قدر الفعال لما يريد) جلا وعلا. ويميز عمارة بين نوعين من الإرادة الإلهية:

— إرادة حتم وجبر وقسر: وهي تعلقت بما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه، وليس في متعلقات هذه الإرادة ما هو موضوع لخلافة الإنسان ولا لإختيار هذه الخليفة.

— إرادة التخيير والتفويض والتمكين لخليفته الإنسان: فالله قد أراد الإيمان والطاعة، لكنه خير وممكن وفوّض كي يكون للتكليف وللحساب والجزاء معنى وحكمة، وفي هذه الإرادة يتجلى ميدان الحرية والاختيار بالنسبة للإنسان.

الفرع الثالث: الشورى البشرية والشرعية الإلهية

ليس هناك تناقض أو خلط في المنهج الإسلامي بين موضوعات الشورى البشرية وبين موضوعات الشريعة الإلهية التي وضعها الله سبحانه وتعالى لتكون التجسيد لحاكمية الله المهيمنة على الإنسان والواقع الذي يعيش فيه. هذه الحاكمية الإلهية المتمثلة في أصول الشريعة ومقاصدها وحدودها ليست من جنس الحاكمية البشرية المتمثلة فيما هو موضوع لشورى الإنسان، حيث تعتبر الشريعة الإلهية هي الضابط والمعياري الإسلامية لشورى الإنسان. حيث يرى الدكتور محمد عمارة أن الشريعة الإلهية ليست نقيضاً للشورى، بل هي الكافلة لها أن تظل ثمراتها إسلامية، وفي الوقت نفسه لا يمكن أن تضيق وتتبرم هذه الشورى من هذه الحدود الإلهية لأنها -الشورى- في عرف الإسلام فريضة إلهية. وعلى هذا النحو

١ . المصدر نفسه، ص ٨٨-٨٩.

جمعت الوسطية الإسلامية بين الشورى البشرية وبين الشريعة الإلهية حيث برئتهما من الخلط والتناقض بينهما (١).

المبحث الثاني: العقلانية الإيمانية

تمهيد: إهتم الدكتور محمد عمارة بالعقل والعقلانية على اعتبار أن للعقل قيمة عظيمة في الرؤية الإسلامية منذ العصر الأول، أو كما يسميها العقلانية المؤمنة في مقابل العقلانية المادية الغربية الحديثة التي ظهرت في القرن الثامن عشر، فالإسلام أعطى العقل مجاله الواسع في الرؤية الفكرية الإسلامية، وفي القرآن الكريم هناك آيات كثيرة تدعو إلى التفكير والتدبر والنظر والتأمل، وهناك إشارات كثيرة وردت في القرآن تدل على استعمال العقل وكذلك مكانته في الدين الإسلامي من أجل الإيمان من خلال العقل والإقتناع عن طريقه، فإذا تعطل العقل فلا يعتبر الإنسان مكلفاً فالإسلام يخاطب العقل ويدعو إلى النظر والتدبر من خلال آياته الكثيرة إلى الإنسان.

المطلب الأول: مفهوم العقلانية الإيمانية

يرى محمد عمارة أن العقلانية الإسلامية نابعة من الدين وليست غريبة عن الدين ولا هي ثورة عليه، حيث قال جمهور علماء المسلمين في تعريفهم الإسلامي للعقل بأنه: "ملكة وغريزة ونور وفهم وبصيرة، وهبها الله سبحانه وتعالى للإنسان ولذلك فهو ليس عضواً ولا حاسة من الحواس.. أي أن وجوده في الأذهان لا الأعيان.. وهو المستوى الأعلى في الإدراك لما فوق الحواس" (٢). فالعقل نور من أنوار الله يزايل هذا الدين الحنيف، ويمثل بالنسبة له أداة الفهم وقاعدة التأسيس، وبسبب هذا التأسيس الديني - للعقل والعقلانية كانت مهمة العقلانية الإسلامية هي الدفاع عن الإيمان الإسلامي بالمنطق العقلاني الداعم للوحي والنقل الإسلامي. تطرف الناس في قضية العقل والعقلانية وتعددت مواقفهم وذهبوا مذاهب شتى،

١ . محمد عمارة : معالم المنهج الإسلامي، المصدر السابق، ص ٩١.

٢ . محمد عمارة مقام العقل في الإسلام، ط١، نهضة مصر، القاهرة، ٢٠٠٨، ص ١٨.

ويقسمهم محمد عمارة في كتابه "مقام العقل في الإسلام" إلى خمسة أقسام في موقفهم من العقل والعقلانية:

- **الأول:** تيار نصوصي يقف أصحابه عند ظواهر النصوص، ويتنكرون للنظر العقلي ويخلطون بين العقل والهوى.
- **الثاني:** تيار باطني يدعي التصوف يتنكر للعقل ويعتمد على ما يسميه الحدس، وفي التعامل مع النصوص يعتمد التأويل العبثي.
- **الثالث:** تيار حدائي غربي له امتداداته في واقعنا العربي والإسلامي، ذهب إلى تأليه العقل وجعل شعاره لا سلطان على العقل إلا للعقل وحده، وهذا التيار انقاد للغرور العقلاني فافتعل معركة شرسة لا داعي لها بين العقل والنقل^(١).
- **الرابع:** تيار ما بعد الحداثة الذي يحاول التمدد على أنقاض الحداثة الغربية، ويدعو إلى تفكيك منظوماتها ومسلماتها الكبرى حول العقل والعلم والتقدم، وهو لا يقدم للإنسان سوى الفوضى والعدمية التي تصيبه بالشك العبثي.
- **الخامس:** تيار الوسطية الإسلامية الذي يقيم عقلانيته على كتاب الوحي والوجود، وعلى نور الشرع ونور العقل، هذه العقلانية المؤمنة التي نبعت من النقل القرآني وتبلورت في علم الكلام الإسلامي - علم التوحيد الذي كانت وظيفته إقامة البراهين العقلية على صدق الغيب.
- ولأن القرآن الكريم هو مصدر ومنبع العقلانية الإسلامية، فقد جاء ذكر العقل فيه في تسع وأربعين آية، كما تحدث عن مرادفاته:
- **القلب:** الذي هو لطيفة ربانية لها بالقلب الجسماني تعلق.. وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان وبها يعبر عن العقل. يقول تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِّمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾^(٢٧) ﴿٢٨﴾. وجاءت الآيات القرآنية للتعبير

١ . محمد عمارة مقام العقل في الإسلام، المصدر السابق، ص ١٢٣.

٢ . سورة ق : الآية ٣٧.

عن العقل بمصطلح القلب في ١٣٢ موضعاً، وهذا الجمع القرآني بين العقل والقلب إشارة إلى جمع الإسلام بين تقوى القلوب وعقل العقول.

- **اللب:** هو العقل وسمي بذلك لأنه يمثل جوهر الإنسان وحقيقته، وقد ورد مصطلح اللب في القرآن الكريم في ١٦ موضعاً.

- **النهى:** هو العقل سمي بذلك لأنه ينهى عن القبيح، وقد ورد مصطلح النهى في القرآن الكريم في آيتين^(١).

- **الفكر والتفكير:** أي التأمل وترتيب الأمور المعلومة لتؤدي إلى المجهولة، وتصرف القلب في معاني الأشياء لدرك المطلوب. وقد ورد التعبير بالفكر والتفكير عن العقل في القرآن الكريم في ١٨ موضعاً.

- **الفقه:** هو التوصيل إلى علم الغائب عن علم الشاهد، ولقد ورد في القرآن الكريم تعبيراً عن العقل والتعقل في عشرين موضعاً.

- **التدبر:** بمعنى التأمل والتعقل والنظر والتفكير في أدبار الأمور وعواقبها، وورد هذا المصطلح تعبيراً عن العقل والتعقل في القرآن الكريم في أربع آيات.

- **الاعتبار:** بمعنى الاستدلال بالشيء على الشيء، والتدبر والنظر والقياس، وقد ورد التعبير بهذا المصطلح العقل والتعقل في القرآن الكريم في سبع آيات.

- **الحكمة:** التي هي الصواب في غير نبوة، ومعرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، وكل ما يتحقق فيه الصواب من القول والعمل، وورد التعبير بالحكمة عن الصواب العقلاني بالقرآن الكريم في ١٩ آية.

فقد بلغت الآيات القرآنية التي تحدثت باللفظ عن العقل ومرادفاته ٢٦٧ آية. إضافة إلى مئات الأحاديث النبوية التي جاءت في فضل العقل، جعلنا ندرك المقام السامي والمتألق للعقل والعقلانية في الإسلام وفلسفته وحضارته^(٢).

١ . محمد عمارة مقام العقل في الإسلام، مصدر سابق، ص ١١.

٢ . محمد عمارة مقام العقل في الإسلام، مصدر سابق، ص ١٣.

المطلب الثاني: مكانة العقل في الفكر الإسلامي

يرى محمد عمارة أن الفلسفة اليونانية قد وضعت العقل والبراهين العقلية في قمة أدوات البحث والنظر والاستدلال، لكن هذه العقلانية اليونانية قد تبلورت في مناخ لم يكن فيه وحي سماوي فجاءت عقلانية منفصلة ومتحررة من مرجعية الوحي السماوي، الأمر الذي حرّمها من التوازن والموازنة بين الحكمة الإلهية والحكمة الإنسانية، ونفس الأمر عندما حكمت الكنيسة أوروبا سادت في لاهوتها مقولات مناهضة للعقل والعقلانية فدخلت أوروبا بهذا اللاهوت الكنسي المعادي للعقل إلى عصورها المظلمة من ثمة جاء رد فعل التنوير الغربي والحدّثة الغربية على المستوى نفسه، فتخلّفت إبان النهضة الأوروبية عقلانية لا دينية تؤلّهِ العقل وترفع شعار لا سلطان على العقل إلا العقل وحده، وهكذا عرفت الحضارة الغربية في طورها اليوناني عقلانية مجردة من الدين وفي طور نهضتنا الحديثة عقلانية معادية للدين، في هذا الوقت الذي دخلت فيه الحضارة الأوروبية عصورها الوسطى والمظلمة يقول محمد عمارة "هكذا كان المشهد العالمي فيما يتعلق بالعقل والعقلانية عندما ظهر الإسلام في القرن السابع للميلاد لاهوتياً كنسياً لا عقلياً... وهنا تألّقت العقلانية المؤمنة التي جاء بها الإسلام، فبددت بضربة من ضرباتها هذا الركّام اللاعقلاني(١)".

ويرى الأستاذ الدكتور محمد عمارة أن للعقل في القرآن مكانته الكبيرة حيث تحول على يدي الرسول والذين معه من الجيل الفريد الذي صنعه الرسول على عينه في مدرسة النبوة تحول إلى خلق وسجّية وأمة ودولة وثقافة ومدنية وحضارة - ولم يقف عند المواعظ والوصايا والصلوات في المحاريب... فإن العقلانية المؤمنة التي تبلورت في آيات القرآن الكريم وأساليبه في المحاور والاستدلال، سرعان ما تبلورت فلسفة إسلامية لها أعلامها ومدارسها وإبداعاتها منذ النصف الثاني من القرن الهجري الأول(٢).

١ . المصدر نفسه، ص ١٩.

٢ . محمد عمارة مقام العقل في الإسلام، مصدر سابق، ص ٢٠.

وعلى الرغم من تنوع تيارات الفكر الإسلامي إزاء سلطان العقل وجرعة العقلانية، فإن جميع هذه التيارات قد اتفقت على إعلاء شأن العقل وعلى نفي التعارض بين هدايا العقل وهدايات الدين، فالله سبحانه وتعالى هو الذي أنزل الكتاب والحكمة، وهو الذي أنزل الكتاب والميزان، لذلك تبلورت في السياق الحضاري الإسلامي عقلانية مؤمنة بلغت من القرآن، وأصبحت أداة للبرهنة العقلية على صدق هذا الدين. وأن العقل كما يرى محمد عمارة في القرآن الكريم والسنة النبوية هو مناط التكليف والاستدلال على الإيمان. يقول: "ولأن الإيمان بالإسلام هو تصديق قلبي يبلغ درجة اليقين، كان المبدأ الإسلامي المحكم (لا إكراه في الدين) (لكم دينكم ولي دين) (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)، كان هذا المبدأ الإسلامي يعني في الواقع والتطبيق: تحرير الفتوحات الإسلامية أرض الشرق من استعمار الروم والفرس وتحرير ضمائر شعوب الشرق من القهر الحضاري والديني والذي مارسه الروم والبيزنطيون الشرق لعشرة قرون وترك الناس أحراراً^(١). ولقد أثمرت هذه الفتوحات الإسلامية منذ الفتح دولة إسلامية وبعد قرن من الفتح لم يتجاوز عدد المسلمين فيها ٢٠% من السكان، وقد نتج عن هذه المعادلة دولة إسلامية ورعية تتدين وتتمذهب بمختلف الديانات والمذاهب، فقد شهدت البلاد الإسلامية أوسع نشاط في الحوار الفكري بين المسلمين وغير المسلمين من نصارى ويهود ومجوس وغيرهم من الطوائف، وفي خضم هذا الحوار الحرّ والواسع والعميق تبلورت العقلانية الإسلامية لأن العقل والمنطق كانا السلاح الأول والأفعل في عرض الإسلام والدفاع عن عقائده، وفي الردّ على مقالات المخالفين ومقولاتهم. فقد استخدم الفلاسفة الإسلاميون العقل والعقلانية في نشر الإسلام والرد على المخالفين. لقد كان للعقلانية الإسلامية مقاماً عالياً ومكاناً ملحوظاً ووضعاً متميزاً وممتازاً في تراث مذاهب الإسلام على امتداد تاريخ هذا التراث وعلى تنوع مذاهب أئمتته وأعلامه، ولقد ذكر محمد عمارة أمثلة وشهادات أئمة وعلماء أعلو من شأن ومقام العقل والعقلانية. ومن بين هؤلاء الشهادات ذكر الحسن البصري الذي أخرج تيار العقلانية الإسلامية من تحت عباءته ومن

١ . المصدر نفسه، ص ٢١-٢٠.

مجلس علمه، كما أنه استشهد الدكتور محمد عمارة بمدرسة المعتزلة أهل العدل والتوحيد، حيث انطلقت هذه المدرسة العقلية من الدين وجعلت مهمتها الأولى الدفاع عن الدين بالبراهين العقلية^(١). وبرز علماء كبار من المدارس الفقهية والكلامية ناقشوا قضية العقل ودوره كحجة لليقين ومن هؤلاء الإمام أبو الحسن الماوردي الذي يرى إن السبب المؤدى إلى معرفة الأصول الشرعية والعمل بها شيئان أحدهما علم الحس، وهو العقل لأن حجج العقل أصل المعرفة الأصول، إذ ليس تعرف الأصول إلا بحجج العقول، وثانيهما: معرفة لسان العرب، وهو معتبر في حجج السمع خاصة^(٢).

فإذا جئنا إلى حجة الإسلام أبي حامد الغزالي^(٣) الذي مثل ظاهرة فكرية، فإننا نجد له صياغات كثيرة وبديعة حول مقام العقل، ودور الوسطية الإسلامية في تميز العقلانية الإسلامية المؤمنة، تميزها عن الغلو النصوصي الذي يقف أصحابه عند الأثر، وعن الغلو العقلاني الذي يصطنع أهله التناقضات بين العقل والشرع. فقد شبه العقل بالبصر، وشبه الشرع بالضيء، فمن كان لديه عقل بلا شرع فهو يبصر لكنه في الظلام، ومن كان لديه شرع بلا عقل فهو أعمى يسير في الضياء، فإن للإسلام عقلانيته المؤمنة الجامعة بين العقل والشرع، وبين الحكمة والشرعية. أما الفيلسوف الفقيه الطبيب المتكلم أبو الوليد ابن رشد القائل في العقلانية الإسلامية المؤمنة: "إن الشرع دعا إلى إعتبار الموجودات بالعقل، وتطلب معرفتها به، فواجب أن نجعل نظرنا في الموجودات بالقياس العقلي"^(٤).

١ . محمد عمارة مقام العقل في الإسلام، مصدر سابق، ص ٢١-٢٧.

٢ . المصدر نفسه، ص ٣٤٠.

٣ . أبو حامد، محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، (٤٥٠ - ٥٠٥ هـ) حجة الإسلام: فيلسوف، متصوف، مولده ووفاته في طوس، نحو مئتي مصنف. من كتبه: إحياء علوم الدين وتهافت الفلاسفة والاقتصاد في الاعتقاد. انظر: نقلا عن: «الأعلام» للزركلي ٢٢/٧.

٤ . محمد عمارة : مقام العقل في الإسلام، مصدر سابق، ص ٣٥-٣٧.

وعلى هذا الطريق سار فيلسوف السلفية شيخ الإسلام ابن تيمية^(١) الذي إستوعب الفلسفة العالمية، وسعى إلى بلورة منطق إسلامي بديل للمنطق الأرسطي إنطلاقاً من إرتباط المنطق باللغة والعقيدة ومن ثمة حاجة المسلمين إلى منطق مرتبط بعقيدتهم، وبلغه القرآن الكريم، ثم أكد إستحالة تعارض براهين العقل الصريحة مع نصوص الدين الصحيحة، وقطع بإجماع جمهور علماء الإسلام على أن العقل سبيل للتحسين والتقبيح، فقال: "إن ما عرف بصريح العقل لا يتصور أن يعارضه منقول صحيح قط.. ووجدت ما يعلم بصريح العقل لم يخالفه قط.. فلا يصلح أن يكون دليلاً لو تجرد عن معارضة العقل الصريح، فكيف إذا خالفه سمع صريح المعقول؟ والقول كلما كان أفسد في الشرع كان أفسد في العقل، فالحق لا يتناقض^(٢)."

كما يرى الدكتور محمد عمارة أيضاً أنه عندما خرج المسلمون من حقبة التراجع الحضاري، وتبلورت مدرسة الإحياء والتجديد ثم البعث لمعالم هذه العقلانية الإسلامية المؤمنة من جديد، وكتب إمام هذه المدرسة الشيخ محمد عبده عن العلاقة العضوية بين الوحي القرآني والحكمة والفلسفة والعقل. فقال: "ولقد تأخى العقل والدين لأول مرة في كتاب مقدس، على لسان نبي مرسل، بتصريح لا يقبل التأويل. أول أساس وضع عليه الإسلام هو النظر العقلي، والنظر عنده هو وسيلة الإيمان الصحيح"^(٣).

١. ابن تَيْمِيَّةَ (٦٦١ - ٧٢٨ هـ = ١٢٦٣ - ١٣٢٨ م) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني الدمشقيّ الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين ابن تيمية: الإمام، شيخ الإسلام. ولد في حران وتحول به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر. وطلب إلى مصر من أجل فتوى أفتى بها، فقصدتها، فتعصب عليه جماعة من أهلها فسجن مدة، ونقل إلى الإسكندرية. ثم أطلق فسافر إلى دمشق سنة ٧١٢ هـ واعتقل بها سنة ٧٢٠ وأطلق، ثم أعيد، ومات معتقلاً بقلعة دمشق، فخرجت دمشق كلها في جنازته. كان كثير البحث في فنون الحكمة، داعية إصلاح في الدين. آية في التفسير والأصول، فصيح اللسان، قلمه ولسانه متقاربان. وناظر العلماء واستدل وبرع في العلم والتفسير. انظر: الأعلام للزركلي ١٤٤/١.

٢. المصدر نفسه، ص ٤٠.

٣. محمد عمارة مقام العقل في الإسلام، مصدر سابق، ص ٥٠.

لقد دعا القرآن الناس إلى النظر فيه بعقولهم، فهو معجزة عرضت على العقل، وعرفته القاضي فيها، وأطلقت له حق النظر في أنحائها، ونشر ما أنطوى في أثنائها، والإسلام لا يعتمد على شيء سوى الدليل العقلي والفكر الإنساني الذي يجري على نظامه الفطري، هكذا تألق العقل وتألفت العقلانية الإسلامية المؤمنة في المشروع النهضوي لليقظة الإسلامية الحديثة، وذلك دون تأليه للعقل يغنيه عن الوحي والشرع أو يفتعل التناقض بينهما، فلا قيمة للبصر بدون الضياء، فلم يعرف الإسلام تناقضاً بين العقل والنقل، ذلك لأن مقابل العقل في لغته العربية ليس النقل، وإنما هو الجنون.

المبحث الثالث: الإيمان بالتعددية

تمهيد: لقد اعترف الإسلام بالتعددية وكفل لها كل الحقوق وأصل لها المبادئ والأسس التي تؤدي إلى انضباطها، ويعد محمد عمارة من المفكرين العرب الذين تناولوا وتحدثوا عن هذه القضية الجوهرية. وفي هذا المبحث سنتطرق إلى مفهوم التعددية عنده، وكيف أن الإسلام اعترف بالتعددية وكفل لها حقوقها.

المطلب الأول: مفهوم التعددية

يعرف الدكتور محمد عمارة التعددية على أنها: "تنوع، مؤسس على (تميز وخصوصية) ولذلك فهي لا يمكن أن توجد وتتأني بل -ولا حتى تتصور- إلا في مقابلة وبالمقارنة مع (الوحدة والجامع) ولذلك لا يمكن إطلاقها على (التشردم) و (القطيعة) التي لا جامع الأحدهما، ولا على (التمزق) الذي انعدمت العلاقة بين وحداته وأيضاً لا يمكن إطلاق (التعددية) على (الواحدة) التي لا أجزاء لها، أو المقهورة أجزاؤها على التخلي عن المميزات والخصوصيات"^(١). هذا التعريف الذي قدمه محمد عمارة يفرق بين التعددية والواحدة التي لا أجزاء لها، وأن التعدد تنوع بخصائص معينة ينبع من وحدة جامعة. ويضرب محمد عمارة أمثلة على التعددية بأفراد العائلة فهي تعدد في إطار العائلة، والذكر والأنثى تعدد في إطار وحدة النفس الإنسانية، والشعوب والقبائل تعدد في جنس الإنسان، وبدون الوحدة الجامعة

١ . محمد عمارة التعددية الرؤية الإسلامية والتحديات الغربية د. (ط)، نهضة مصر، القاهرة، ١٩٩٠، ص ٣.

لا يتصور تنوع وخصوصية وتميز، ومن ثم تعددية والعكس صحيح ويضيف محمد عمارة أن للتعددية مستويات يحددها الجامع والرابط، مثلاً على المستوى العالمي هناك تعددية الحضارات المتميزة والقوميات المختلفة المؤسسة على تعدد الشرائع والمناهج والفلسفات واللغات والثقافات، وبينهما جميعاً جامع الإشتراك في الإنساني الذي لا تمايز فيه ولا إختلاف وعلى مستوى كل حضارة من الحضارات هناك تعددية في المذاهب ومدارس الفكر وفلسفاتها، وتيارات السياسة وتنظيماتها، وفي بعض الحضارات قد تكون تعددية في القوميات واللغات والأوطان، حيث تتمايز وحدات التعددية في الخصوصيات المتعددة مع إجتماعها كلها في رابط الحضارة الواحدة وجامعها^(١). والتعددية مثلها مثل باقي الظواهر والمذاهب الفكرية. يقول محمد عمارة لها (وسطها-عدل-متوازن، ولها طرفا (غلو) أحدهما (إفراط) والآخر (تفريط) و وسطها (العدل المتوازن) هو الذي يراعي العلاقة بين التمييز.. والتنوع والتعددية) ويبين (الجامع.. والرابط.. والوحدة) بينما يمثل التشرذم (غلو القطيعة والتنافر) الذي لا جامع له.. كما تمثل (الوحدة) المنكرة للخصوصية، (غلو القهر) المانع من تميز الفرقاء واختصاصها^(٢)، فالتعددية تميز لفرقاء يجمعهم جامع الإسلام، وتنوعاً لمذاهب وتيارات تظللها مرجعية التصور الإسلامي الجامع، وخصوصيات متعددة في إطار ثوابت الوحدة الإسلامية، الأمر الذي جعل هذه التعددية نمواً وتنمية للخصوصيات مع احتفاظ كل فرقائها وأطراف الخصوصيات، وأفراد التنوع بالروح الإسلامية والمزاج الإسلامي. وبهذا المنظار والمنهاج يكون طريق النظر الإسلامي إلى قضية التعددية فيراها قانون التنوع الإسلامي في إطار الوحدة الإسلامية.

١ . محمد عمارة: هذا هو الإسلام، الإسلام والتعددية، الإختلاف والتنوع في إطار الوحدة، ط ١، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة

٢٠٠٨، ص ٧-٨

٢ . محمد عمارة التعددية الرؤية الإسلامية والتحديات الغربية، المصدر السابق، ص ٤.

المطلب الثاني: ميادين التعددية ونماذجها

يؤكد الدكتور محمد عمارة على أن سائر أصناف الخلق والموجودات وكذلك سائر ميادين العمران البشري والفكر الإنساني قائم على الإزدواج والتعدد والتركب والإرتفاق سنة من سنن الله سبحانه وتعالى وآية من آياته في خلقه، لا تبديل لها ولا تحويل، ويستثني من ذلك الذات الإلهية (الحق.. واجب الوجود).

⑩ تعددية في القوميات والأجناس: هي تعددية في إطار جامع الإنسان، حيث إعتبرها

القرآن الكريم آية من آيات الله في الاجتماع الإنساني، فيقول: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتَلَفُ اللَّسَنَاتِ وَاللَّوْنِكُمْ إِنَّا فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ ٢٢﴾^(١)

⑩ تعددية في الشعوب والقبائل: هذه التعددية قائمة في إطار جوامع التعارف بين بني

الإنسان، وهي تعددية تثمر التمايز الذي يدعو القرآن إلى توظيفه في إقامة علاقات التعارف بين الفرقاء المتميزين يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ١٣﴾^(٢)

⑩ تعددية في الشرائع والمناهج والحضارات: يرى القرآن الكريم أن هذه التعددية هي

الأصل الدائم والقاعدة الأبدية والسنة الإلهية التي هي الحافز للتنافس في الخيرات والاستباق في الطيبات، والسبب في التدافع الذي يقوم ويرشد مسارات أُمم الحضارات على دروب التقدم والارتقاء^(٣).

⑩ ويضيف الدكتور محمد عمارة أن هذه التعددية هي المصدر والباعث على حيوية

الإبداع الذي لا سبيل إليه إذا غاب التمايز وطمست الخصوصية بين الحضارات.

١ . سورة الروم: الآية ٢٢ .

٢ . سورة الحجرات: الآية ١٣ .

٣ . محمد عمارة: التعددية الرؤية الإسلامية والتحديات الغربية، مصدر سابق، ص.٦٠ .

يقول الله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۚ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١٨﴾
 ﴿١٨﴾. حيث يرى عمارة أن المفسرون قد تحدثوا عن هذا الاختلاف وتلك التعددية
 في الشرائع والمناهج باعتبارها علة الخلق، فيقولون: إن المعنى (ولاختلاف
 خلقناكم) فكأنما التعددية هي علة الوجود، وهي أيضا الحافز على إمتحانات
 وابتلاءات واختبارات المنافسة والإستباق في ميادين الإبداع بين الفرقاء المتميزين في
 الشرائع والمناهج والحضارات (٢). وتحت جامع الدين الواحد وفي إطار تعددية
 الشرائع، جاء الحديث في القرآن الكريم عن نجاة أصحاب الشرائع المتعددة، حيث
 يرى الدكتور محمد عمارة أنهم جميعاً جمعتهم أصول الإيمان بالألوهية الواحدة
 واليوم الآخر، والعمل الصالح، يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا
 وَالصَّابِغُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا
 هُمْ يَحْزَنُونَ ۝١٩﴾ (٣). بل وتحت جامع النصرانية وأهل الكتاب أشار القرآن الكريم إلى
 تعددية يتميز فيها الدين {إذا سمعوا ما أنزل إلى رسول الله ترى أعينهم تفيض من
 الدمع مما عرفوا من الحق} عن الذين لا يزيدهم هذا الذي أنزل على الرسول إلا
 طغياناً وكفراً ﴿ * لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ
 أَشْرَكُوا ۚ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي ذَلِكَ
 بِأَنَّهُمْ مِنْهُمْ قَيْسِيْنَ وَرُهَبَانَا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝٨٢﴾ وإذا
 سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ
 الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ۝٨٣﴾ (٤). فأهل الكتاب فرقاء
 متعددون وليسوا سواء. وفي إطار وحدة الدين أيضا وتعددية الشرائع جاء القرآن

١ . سورة هود: الآية ١١٨

٢ . محمد عمارة: هذا هو الإسلام، الإسلام والتعددية، الإختلاف والتنوع في إطار الوحدة، مصدر سابق، ص ١٠.

٣ . سورة المائدة: الآية ٦٩.

٤ . سورة المائدة: الآية ٨٢-٨٣.

الكريم بتقرير هذه الحقيقة. يقول الله تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ (١)، في حين تتعدد شرائع الأنبياء ومناهج أمم الرسالات، في إطار جامع الدين الواحد (٢).

10 تعددية في رعية الدولة الإسلامية الأولى: فهي تعددية في إطار وحدة الأمة الوليدة، فالقبائل غدت لبنات متعددة، حيث تحدثت الصحيفة الدستور الأول للدولة الإسلامية الأولى عنها وعن أحلافها وحقوقها وواجباتها، في إطار وحدة الأمة والمهاجرون والأنصار جوامع فرعية، أشارت إليهم الصحيفة في إطار الجامع الإسلامي الواحد، وفي إطار الأمة الواحدة، وتحدثت أيضا عن التعددية الدينية بين جماعة المؤمنين وجماعة اليهود، ونظمت أطر وأفاق تعدديتها في نطاق جامع ووحدة الرعية والأمة بالمعنى السياسي، وعن هذه التعددية في إطار الوحدة نصت مواد الدستور وهذا ما جاء فيها: (أن المؤمنون والمسلمون من قريش وأهل يثرب، ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم أمة واحدة من دون الناس) و(أن يهود أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم) و(أن يهود أمة ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وأن على يهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم)، و(أن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة) و(أن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم) و(أنه من كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده، فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله) (٣).

10 ففي إطار جامع الأمة الواحدة والدولة الواحدة ذات المرجعية الواحدة، تعددت الانتماءات القبلية والدينية، ونظم الدستور علاقات فرقاء هذا الانتماء. ولألوان أخرى

١ . سورة الشورى: الآية ١٣ .

٢ . محمد عمارة التعددية الرؤية الإسلامية والتحديات الغربية، مصدر سابق، ص ٨.

٣ . محمد عمارة: هذا هو الإسلام، الإسلام والتعددية، الإختلاف والتنوع في إطار الوحدة، مصدر سابق، ص ١٢ .

غير التعددية الدينية ضم جامع الأمة واحتضنت وحدتها فمن الذين آمنوا من عاد إلى الكفر بعد الإيمان، لكن يقول محمد عمارة: "لأن سلاحه في الخروج على الإيمان الديني كان الكلمة وليس السيف فلقد وسعت الوحدة السياسية للأمة هذا اللون من الانشقاق الديني لأن أصحابه قد حافظوا على جامع الوحدة السياسية لرعية الأمة"^(١)، فهم قد شقوا جامع الوحدة الدينية مع الجماعة المؤمنة، لكنهم أبقوا على رابط وجامع الوحدة السياسية للأمة والرعية، وهذا ما أدى إلى اتساع إطار هذا الجامع -السياسي- لأهلها، على الرغم من الخروج والمفارقة لجامع الإسلام الدين لأن الجامع السياسي قد اتسع لأكثر من دين.

١٠ ولقد حافظ الرسول صلى الله عليه وسلم على وحدة الجامع السياسي حتى عندما كانت تظهر الفلتات التي تفضح المنافقين الذين ارتدوا عن الإسلام، بقلوبهم، مع إظهارهم الإنخراط في جماعة المؤمنين، ولأنهم قد حافظوا على وحدة الجامع السياسي لم يقاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بل وأنه نبه من قتلهم على خطأ فإنه قتل الأصحاب^(٢).

١٠ **تعددية في الفروع:** اتسع في إطار جامع أصول الدين التي لم يختلف عليها المسلمون للتعددية في الفروع ومنها سياسة الأمة ونظام الإمامة والخلافة في دولتها، فبعد أن اتفق المسلمون على أصل وجوب الدولة الخلافة الإمامة، وعدوها واجباً مدنياً اقتضته إقامة الواجبات الدينية، ذهبت التعددية بالفرق الإسلامية مذاهب شتى من حيث التعيين والشروط، بل وميزوا بين أصل الواجب وأصل الإمامة، وفي آفاق هذه الفروع حدثت بواكير الخلاف والتعدد، بل وكانت جل الخلافات التي بلورت فرق المسلمين وتياراتهم السياسية، وفي ميادينها وحدها كان تجريد السيوف، ولاتفاقهم على أنها من الفروع التي هي مواطن للاجتهاد اتفقوا أيضاً على أن معايير التقييم لخلافاتها والتعددية فيها هي الصواب والخطأ والنفع والضرر، وليست الإيمان

١ . محمد عمارة: التعددية الرؤية الإسلامية والتحديات الغربية، مصدر سابق، ص ٩-١٠.

٢ . محمد عمارة: هذا هو الإسلام، الإسلام والتعددية، الإختلاف والتنوع في إطار الوحدة، مصدر سابق، ص ١٣-١٤.

والكفر ، لأن الإيمان والكفر هما معيارا تقييم الافتراق والتعددية في الأصول دون الفروع. ويرى الغزالي أن النظر في الإمامة قسمان : قسم يتعلق بأصول القواعد، وقسم يتعلق بالفروع، ثم يمضي ليحدد معايير الافتراق والتعددية في الفروع فيرى أنه لا تكفير في الفروع إلا في مسألة واحدة، وهي أن ينكر أصلاً دينياً علم من الرسول صلى الله عليه وسلم بالتواتر^(١). لقد مثلت هذه التعددية أقدم وأطول ألوان التعددية في التاريخ الإسلامي وأكثرها حدة، وقد وسع جامع التصديق بما جاء به الرسول هذه التعددية السياسية.

١٠ تعددية في المذاهب الفقهية: هي تعددية عرفتتها الحضارة الإسلامية، ووسعتها وحدة الأمة في الأصول، وقد مثلت تعددية الاجتهادات في ميادين إصلاح المعاملات وفروع العبادات أيضاً، وكان الجامع الموحد لهذه التعددية الفقهية هو الشريعة الإلهية الواحدة، والتي وضع الفقهاء مذاهبهم في إطارها^(٢).

١٠ ويرى محمد عمارة: "أن الشريعة مثلت وحدة الطريق في الدين وما شرع الله لعباده من الأحكام التي جاء بها نبي ... وكل طريقة من فعل أو ترك مخصوص موضوعة بوضع إلهي ثابت من نبي من الأنبياء^(٣). أي أنها واحد جامع وثابت غير متغير، ووضع إلهي لا مدخل فيه للبشر فهي بلاغ من الله للناس بواسطة الرسول. أما مذاهب الفقه التي ترد فيها التعددية فإنها هي الاجتهادات الفقهية المحكومة بأحكام الشريعة الإلهية وفلسفتها في التشريع حيث يرى محمد عمارة أن الفقه وضع بشري محكوم بالوضع الإلهي، وهو العلم المستنبط بالرأي والاجتهاد الذي يحتاج فيه إلى النظر والتأمل. ولتمييز الفقه عن الشريعة فإنه لا يسمى الله فقيهاً كما لا يسمى الفقيه شارعاً.

١ . محمد عمارة التعددية، الرؤية الإسلامية والتحديات الغربية، مصدر سابق، ص ١٣-١٤.

٢ . محمد عمارة: هذا هو الإسلام الإسلام والتعددية، الاختلاف والتنوع في إطار الوحدة، مصدر سابق، ص ١٧.

٣ . محمد عمارة التعددية الرؤية الإسلامية والتحديات الغربية، مصدر سابق، ص ١٥.

١٠ **تعددية في التأويل:** عرف ابن رشد التأويل على أنه: "إخراج دلالة اللفظ من الدلالة

الحقيقية إلى الدلالة المجازية من غير أن يخل بعادة لسان العرب في التجوز، من تسمية الشيء بشبيهه، أو بسببه أو للاحقه، أو مقارنه، أو غير ذلك من الأشياء التي عدت في تعريف أصناف الكلام المجازي" (١).

١٠ ويؤكد عمارة أيضاً على أن الغزالي قد فصل مراتب الوجود التي تتصورها التأويلات المتعددة إلى خمس مراتب:

١٠ **الوجود الذاتي:** وهو الوجود الحقيقي الثابت خرج الحس والعقل، ولكن يأخذ الحس والعقل عنه صورة، فيسمى أخذه إدراكاً.

١٠ **الوجود الحسي:** الذي يمثل في القوة الباصرة من العين مما لا وجود له خارج العين، فيكون موجوداً في الحس، ويختص به الحاس، ولا يشاركه غيره.

١٠ **الوجود الخيالي:** الذي يخترعه الخيال لصور المحسوسات إذا غابت عن الحس، فهو موجود في الدماغ لا في الخارج.

١٠ **الوجود العقلي:** فيما له روح وحقيقة ومعنى.

١٠ **الوجود الشبهي:** هو ألا يكون نفس الشيء موجوداً لا بصورته ولا بحقيقته، لا في الخارج ولا في الحس ولا في الخيال ولا في العقل، ولكن يكون الموجود شيئاً آخر يشبهه في خاصة من خواصه وصفة من صفاته.

ويختم محمد عمارة حديثه عن التعددية وميادينها ونماذجها بقوله: هكذا إنفتحت سبل التعددية واتسعت آفاقها أمام تيارات الفكر الإسلامي في إطار وحدة وجامع التصديق بما جاء به الصادق عليه الصلاة والسلام. وهكذا ظلل الجامع الإسلامي الذي وحد الأمة والعقيدة والحضارة ودار الإسلام ظلل تعددية في اللغات والأقوام.. فازدهرت تعددية

الإجتهدات البشرية، في إطار جامع الثابت الذي تمثل في أصول الإيمان بالله الواحد، واليوم الآخر، وخبر الصادق عليه الصلاة والسلام" (١).

المبحث الرابع: المواكبة والتجديد

تمهيد: تعد قضية التجديد الاسلامي من القضايا المعقدة الشائكة وذات أهمية كبيرة لدى المفكرين الإسلاميين و شغلهم الشاغل، وتأتي هذه الأهمية مما تعانيه المجتمعات الإسلامية من تراجعات فكرية و ثقافية و انزلاقات حضارية و أزمات إقتصادية، مما دفع هؤلاء المفكرين في وضع الحلول و إيجاد المشاريع الفكرية الحضارية للنهوض بهذا الواقع. ويعد الدكتور محمد عمارة من أبرز هؤلاء المفكرين الذي عاش هذه الأزمات و تعايش معها مما جعله يبدع في مجال التجديد الفكري الاسلامي من خلال القيام بالعديد من الدراسات والمؤلفات والكتابات و المشاركات في المؤتمرات العلمية، و بهذا تعد قضية التجديد في الفكر الاسلامي من القضايا الجوهرية و مفصلاً مهماً في فكر الدكتور محمد عمارة، اذ من الملاحظ أنه لا يخلو مؤلف من مؤلفاته إلا و تناول التجديد بالبحث والدراسة و التقصي. إن المتأمل في تاريخ الفكر الاسلامي يجد أن هناك الكثير من المفاهيم الخاطئة و الشوائب و المعتقدات التي اقتحمته، لهذا نجد أن مهمة تجديد الخطاب الديني هي مواكبة قضايا العصر و فهم الدين فهما سليماً خالصاً من كل هذه الشوائب و البدع، فلهذا سنحاول في هذا المقال التطرق الى مفهوم تجديد الخطاب لغة واصطلاحاً، كما سنتعرف على علاقة هذا المفهوم بغيره من المفاهيم، ثم نتطرق إلى بيان مميزات المنهج التجديدي وملامح المشروع الحضاري لدي الدكتور محمد عمارة رحمه الله.

المطلب الأول: مفهوم التجديد لغة

⑩ إن مصطلح التجديد لغة يعني يصير الشيء جديداً، وجد الشيء بضم الدال اي صار جديداً^(٢). وعرفه أحمد بن محمد الفيومي المقرئ: هو خلاف القديم، و يقال وجد

١ . محمد عمارة: هذا هو الإسلام، الإسلام والتعددية، الاختلاف والتنوع في إطار الوحدة، مصدر سابق، ص ١٩-٢٠.
٢ . احمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ، المصباح المنير في غريب شرح الكبير، (لبنان: مكتبة لبنان، ١٩٨٧)، ص ٤٤.

فلان الامر واجده و استجده إذا أحدثه ^(١) . ويعني ايضا من جدد الشيء اذ صار جديداً، وإعادة الشيء بعد فترة ومنه تجديد الضوء ^(٢) و يعني التجديد وجود الشيء كان على حالة ما ثم طرأ عليه ما غيره و أبلاه، فإذا أعيد إلى حالته الأولى التي كان عليها قبل أن تصيبه البلى و التغيير كان ذلك تجديداً ونلاحظ كذلك قول جده فتجدد وأجده أي الثوب وجدده واستجده صيره او لبسه جديداً فتجدد وجديد نقيض البلى. إن التجديد في أصل معناه اللغوي يبعث في الذهن تصوراً تجمع فيه ثلاث معاني متصلة هي ^(٣):

١٠ أن الشيء المجدد قد كان في أول الأمر موجوداً او قائماً وللناس به عهداً.

١٠ أن هذا الشيء أتت عليه الأيام فأصابه البلى وصار قديماً.

١٠ أن هذا الشيء قد أعيد إلى مثل الحال التي كان عليها قبل أن يبلى.

المطلب الثاني: مفهوم التجديد إصطلاحاً

لقد تعددت مفاهيم المفكرين حول مصطلح التجديد فاختلف بذلك مناهجهم وأفكارهم، إذ كان منطلق هذا الاختلاف هو فهم مصطلح التجديد. يرى علي المؤمن التجديد بأنه "عملية تفاعل حيوي داخل فكر قائم لإعادة اكتشافه وفقاً للفهم الزمني الذي يعي حاجات العصر، أي أنه لا ينطلق من فراغ بل له قواعد ومنهج ومرجعية وثوابت وفي النتيجة يكون التجديد خطاباً نهضوياً يستهدف البنية الفكرية ليلبي جميع حاجات الإنسان المعاصر" ^(٤) . ويرى علي المؤمن أيضاً: " أن التجديد ضرورة ملحة بسبب التطور السريع والشامل لجميع جوانب الحياة ومتطلبات العصر، بالإضافة إلى ظهور التيارات الفكرية التي تهدف إلى التجديد في الفكر الاسلامي بشكل يتميز بالإفراط، فضلاً عن التفاعل مع الحضارات الاخرى والإحتكاك

١ . محمد رواس قلعة، معجم لغة الفقهاء، ط ٣، (بيروت: دار النفائس، ٢٠١٠)، ص ١٠٠.

٢ . محمد بسطامي سعيد، مفهوم تجديد الدين، ط ١، (الكويت: دار الدعوة، ١٩٨٤)، ص ١٥.

٣ . سيف الدين عبد الفتاح: التجديد، [www. arab philosophers.com](http://www.arabphilosophers.com)

٤ . علي المؤمن: الاسلام والتجديد رؤى في الفكر الاسلامي المعاصر، ط ١، بيروت دار الروضة، ٢٠٠٠)، ص ١٨.

الفكري التي لا يمكن للواقع الإسلامي أن يكون بمنأى عنهما^(١). ويمكن القول أن التجديد هو تجديد أمر الدين بعد ما أصابه من الزيادة والنقصان والمغالاة والتفريط، أو غياب وضعه عن العمل وضعف السلوكيات الاجتماعية والأخلاق وفتور الهمة والفاعلية والعزيمة، وتجديد الواقع البشري وتصحيح أخطائه وتقويم إعوجاجه والتعامل مع هذا الواقع في ضوء المرجعية الإسلامية^(٢). إن مهمة التجديد هي مهمة عملية لا نظرية وهي المساهمة في البناء النظري للواقع من خلال القضاء على الأفكار الثابتة والأحكام المسبقة التي لا يمكن أن تكون أساساً نظرياً لتغيير الواقع، وأن التجديد هو جزء من البناء النظري للواقع وجانب من السلوك وأن القصد بالتجديد: " هو تجديد النظر في الدين أو تجديد الفهم الديني، ذلك الفهم الذي أنتجه العقل الإنساني في علاقاته تاريخياً مع الدين فهما وتأويلاً، وليس المقصود تجديد الدين نفسه حذفاً أو إضافة أو تغييراً أو ما شابه"^(٣).

المطلب الثالث: مفاهيم مرتبطة بمقولة التجديد

مفهوم التجديد تلازمه مفاهيم أخرى يظهر هذا من خلال المعنى اللغوي و المعنى الاصطلاحي ومن هذه المفاهيم نجد:

١. **التغيير:** إذا كان التغيير "Change" في اللغة هو التحول والتبدل، ويعني عند الجرجاني: "إنتقال الشيء من حالة إلى حالة أخرى"^(٤). وعند التهانوي يعني: "كون الشيء بحال لم يكن له قبل ذلك"^(٥). فالتجديد إذن هو عملية تغيير يجربها الإنسان على الأشياء، فينشأ بها الجديد، وينتجه أو يبدل شيئاً ما من حالة إلى أخرى . فيصبح التغيير فعلاً ضروري للتجديد وحركة سابقة عليه بل يتضمنها . فالتغيير يُحدث التجديد ويشرف عليه ويظهر التجديد من خلاله.

١ . نفس المصدر السابق، ص ١٩ .

٢ . عمرو عبد الكريم، معرفة الوعي سؤال التجديد، www.alweai.govkw

٣ . حسن حنفي: التراث والتجديد موقفنا من التراث والقديم، ط ٤، (مصر لمؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٩٢)، ص ٥٦ .

٤ . جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج ٢، دار الكتب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢م، ص ٣١١ .

٥ . المرجع نفسه، ص ٢٥٩ .

٢. **التقدم:** ينتج التقدم عن التجديد والتقدم في معناه اللغوي هو: "السير إلى الأمام ومبارحة المكان، أو الوضعية في إتجاه الأمام في مقابل التراجع نحو الخلف، والتقدم من الشيء يعني التقرب منه"^(١). أي إن التقدم هو الانتقال من حالة إلى حالة أخرى أكثر إزدهاراً، و هو مطلوب عند أغلب الدول، نقول دولة تقدمت أي أحدثت التجديد وبالتالي فإن التقدم هو ضرب من ضروب التجديد.
٣. **التطور:** يرتبط مفهوم التطور بمفهوم التجديد، ولفظة التطور تدل على تحوّل الشيء من طور إلى طور، والطور في اللغة يعني الحال، وطور الشيء أي نقله من حالة إلى أخرى. ومعنى التطور لدى الفلاسفة متعدد، فهو التحوّل أو التبديل الموجه، أو الانتقال من البسيط إلى المركب أو العكس، أو الارتقاء من الأدنى إلى الأعلى أو العكس، أو من الخلف إلى الأمام أو العكس، وكلمة الارتقاء تتضمن بالضرورة معنى التبديل، لكن ليس في كل تبديل ارتقاء.
٤. **الإبداع:** من جهة أخرى لا يحصل التجديد لدى الإنسان في غياب قدرته على الإبداع "Creation"، فالإبداع شرط ضروري للتجديد، عليه يتوقف الفعل التجديدي أيّاً كان فكرياً أو مادياً، وكلمة إبداع في اللغة تدل على صناعة الشيء بإتقان، أما الإبداع فيعني الاختراع والإنشاء أي إختراع الشيء وإنشائه أي إحداث الشيء على غير مثال سابق وعند البلغاء: إشمال الكلام على عدة ضروب من البديع. فللإبداع عدة معاني عند الفلاسفة، فهو إنشاء شيء جديد من عناصر قديمة، أو إيجاد شيء من اللاشيء، مثلما هو الحال في الخلق الإلهي، أو إنشاء شيء لم يكن موجوداً، ويعرف بالصنع، والإبداع نوعان: إختراع وإكتشاف. فالإختراع هو إنشاء شيء جديد لم يكن موجوداً من عناصر قديمة، ويتعلق الأمر بإنشاء الأشياء المادية، وإنشاء الأفكار وتنظيم العمل وإيجاد أساليبه وإختراع وسائله، أما

١. المرجع نفسه، ص ٢٥٩.

الاكتشاف، فهو إطلاع الإنسان على الجديد المتقدم في الوجود مثل إكتشاف النار وإكتشاف المعادن^(١).

المطلب الرابع: ضرورة التجديد لمواكبة مستجدات الحياة

يقول الدكتور محمد عمارة حول ضرورة التجديد لمواكبة مستجدات الحياة: "إن التجديد في الفكر الإسلامي ليس مجرد أمر مشروع وجائز و مقبول، وليس مجرد حق من حقوق العقل المسلم على أهل الذكر والاختصاص من الإسلام، وإنما هو سنة وضرورة وقانون، و بدون التجديد الدائم والمستمر للفكر والفقه والخطاب الإسلامي، تحدث الفجوة بين الشريعة الإسلامية -التي هي وضع إلهي ثابت- وبين مقتضيات ومتطلبات الواقع المتغير والمتطور دائما وأبدا- الأمر الذي لو ساد الجمود والتقليد في الفكر والفقه والخطاب الإسلامي يفضي إلى انفلات الواقع المتطور من حاكمية الشريعة الثابتة، فيكون العجز عن أن تظل هذه الشريعة صالحة لكل زمان ومكان، فتغيب حجة الله على عباده، وهدايته لخلقه، بعد أن تمت الشرائع السماوية بشريعة الإسلام"^(٢). فكون هذه الشريعة الإسلامية هي خاتمة شرائع السماء إلى الإنسان، وصلاحياتها لكل زمان و مكان، مرهونان بالتجديد الدائم في الفكر والفقه والخطاب الإسلامي، لمواكبة مقتضيات ومتطلبات مستجدات الواقع المتطور دائما وأبدا، ولبقاء حجة الله على عباده قائمة إلى يوم الدين، ولهذه الحقيقة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يبعث الله لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها"^(٣). ولهذه الحقيقة، تبلور في التراث الإسلامي فن من فنون التأليف حول المجددون في الإسلام، كتب فيه القدماء وألف فيه المحدثون. بل لقد إتفق جمهور العلماء على أن التجديد لا يقف فقط عند الفقه-الذي هو علم الفروع- وخاصة في المعاملات- وبالدرجة الأولى في فقه الواقع المتطور، وفي التنزيل الأحكام على هذا الواقع المتطور، ومن ثم في الخطاب المتجددة، والمعبر عن هذا الفقه المتجدد. وإنما اتفقوا أيضا على أن هناك نوعا

١ . المرجع السابق، ص ٢٦٣.

٢ . محمد عمارة، الخطاب الديني بين التجديد الاسلامي و التبديد الأمريكي، الطبعة الثانية، سنة ٢٠٠٧، ١٤٢٨، ص ٧.

٣ . رواه أبو داود وغيره وصححه الحاكم.

متميزا من التجديد تحتاج إليه «الأصول»، ليس فقط أصول الفقه، وإنما حتى أصول الإيمان! ذلك أن البدع والخرافات، والزيادات والنواقص، قد تعدو على هذه الأصول، فتطمس حقائقها، وتحجب فعاليتها وهنا تحتاج هذه الأصول إلى التجديد الذي يزيل عنها ركام البدع والخرافات، لتعود إلى جوهرها الحقيقي، وفعاليتها الأولى وذلك مثل السيف، إذا علاه الصدأ، فشل فاعليته، فإن تجديده لا يعني تغيير، بل ولا تطويره، وإنما يعني إزالة الصدأ عنه ليعود إلى مضائه وفعاليتها الأصلية من جديد. فحتى في الأصول هناك هذا اللون من التجديد ولقد أشار إليه الحديث النبوي الشريف الذي خاطب به رسول الله صلى الله عليه و سلم الصحابة -والأمة - عند ما قال: "جددوا إيمانكم"، قيل: يا رسول الله، وكيف نجدد إيماننا؟ قال صلى الله عليه وسلم: (أكثرُوا من قول لا إله إلا الله). ففي شهادة التوحيد رفض لكل الطواغيت التي يعظمها الناس ويعبدونها من دون الله-من الشهوات إلى الأثرية في المال إلى الطغيان والاستبداد إلخ. فإحياء عقيدة التوحيد، التي هي ثورة تحرير للإنسان من قيود هذه الطواغيت، هو لون من التجديد المطلوب حتى لأصول الإيمان في الإسلام. هذا عن مبدأ التجديد للفكر والفقه والخطاب الديني للإسلام. من هنا نجد أن التجديد في رأي الدكتور محمد عمارة ليس مجرد أمر مقبول أو جائز فحسب وإنما هو قانون، وإذا لم يحدث هذا القانون ستحدث ثغرة بين الإسلام ومستجدات الواقع وبالتالي غياب حجة الله على عباده.

المطلب الخامس: مفهوم التجديد في فكر الدكتور محمد عمارة

لقد عرف محمد عمارة التجديد في أغلب كتبه و مؤلفاته، بحيث لا نقرأ مؤلف من مؤلفاته إلا وقد إحتوى عن تعريف مغاير لتعريف آخر للتجديد و سوف نقوم بإدراج هذه التعريفات المتنوعة بالدراسة و التحليل. إذ يعرف عمارة التجديد على أنه: "سنة من سنن الاجتماع الديني في النسق الفكري الإسلامي، دائمة الفعل عبر الزمان والمكان، لا تبديل و لا تحويل و أنه ثمرة للإبداع"^(١). و يستند في هذا التعريف على الحديث النبوي الشريف عن أبي هريرة عن النبي: "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر

١ . محمد عمارة، الابداع الحضاري و الخصوصية الحضارية ، (القاهرة: شركة نهضة مصر، ٢٠٠٣)، ص ٥.

دينها"^(١). و يتضح من هذا التعريف أن مفهوم التجديد يكون مستمر الفعل و على نسق واحد دون انقطاع و غير محدد بالزمان والمكان و يكون لديه دافعا أو حافزا على الإبداع و الإنتاج. و يعرف عمارة مفهوم التجديد بإستخدام مصطلح التنوير الإسلامي بالقول: "إن شئت فقل التنوير الإسلامي الذي ينير أهله بنور الاسلام و نور القرآن و نور الرسول محمد صلى الله عليه وسلم و نور الحكمة"^(٢). و يرى عمارة على مر تاريخ الاسلام و حضارته أن التجديد هو إحياء ديني، لأن التجديد هو: " آلية فكرية تزيل من ثوابت الدين و مبادئه و أركانه في العقيدة و الشريعة والقيم من الزيادة و النقصان و شوائب التطورات الغربية، فتعيد للمنابع نقاءها ليكون فعلها أفضل و عطاؤها أكثر و موردها أكثر صفاءاً"^(٣). و يعني التجديد في فكر الدكتور عمارة: " البعث و الإحياء لثوابت الدين و أصوله مع التطور في فقه الفروع و مواكبة مستجدات الواقع المعيشي و المحافظة على صلاح و صلاحية الثوابت والأصول الدينية لكل زمان و مكان"^(٤). و يمكن القول أن التجديد عند عمارة هو: إحياء و بعث الأصول الثابتة للدين مع مراعاة المحافظة عليها لمواكبة المستجدات والتطورات التي تحدث في العالم. و نلاحظ أيضا أن مفهوم التجديد دائما عند عمارة متصفاً بالإسلامي و يعلل ذاك بقوله: "أن المسار التاريخي للحضارة الإسلامية قد سبق و إن إعتزته مشكلات التخلف و اعترضه عوامل التراجع فلقد كان المسلمون على مر تاريخهم القديم يواجهون مشكلات التراجع و الموات الحضاري بحلول الإحياء و النهوض الإسلامي، فكان التجديد دائما و أبداً إسلامياً، و كانت الحلول دائما و أبداً إسلامية المرجعية و المنابع و الاصول"^(٥). ونرى أن هذا التمسك بمصطلح الإسلامي من ناحية التجديد و الحل لمشاكل المجتمع الإسلامي إن دل على شيء إنما يدل على إصرار تمسك محمد عمارة باصالة الفكر الإسلامي و الدفاع عنه. واستمر بهذا التمسك بالقول: "عمل المسلمون على مر

١ . سنن أبي داود ، كتاب الملاحم ، مصدر سبق ذكره.

٢ . محمد عمارة، الاسلام بين التنوير و التزوير، ط ٢، (القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٠)، ص ١٨٤.

٣ . نفس المصدر، ص ٢٢٣.

٤ . محمد عمارة، مستقبلنا بين التجديد والحداثة الغربية، ط ١، (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٣)، ص ٧.

٥ . محمد عمارة، هل الاسلام هو الحل لماذا وكيف، ط ٢، (القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٨)، ص ١١.

تاريخ الاسلام على تجديد خيوط الاتصال و توثيقها بالمنابع الجوهرية والنقية للإسلام و إزاحة الشوائب و العقبات و البدع من قنوات الإرتواء من تاريخ المنابع بضمان التواصل الحضاري و حتى يكون الاحياء دائماً و أبداً^(١). و يميز عمارة بين دعوات التجديد و التغيير الاسلامية على التوفيق ما بين الأصول و القواعد الكاملة في القرآن الكريم و السنة النبوية الصحيحة و ما أصابها عبر الزمن من بدع و خرافات و شوائب و بين مستجدات الواقع الجديد. و بهذا أصبحت هذه الدعوات إسلامية الحلول و سنة من سنن الله في المسيرة الحضارية للأمة الاسلامية، و في معالجة مشكلات التراجع الحضاري^(٢). يمكننا القول أن عمارة أكد على أن التجديد يجب أن يكون إسلامياً لأن هذه العلاقة الثنائية بين التجديد و الإسلام متأصلة تاريخياً من خلال النتاجات الفكرية للمسلمين عبر تاريخ الحضارة الاسلامية، بإيجاد الحلول الاسلامية لمشكلات التراجع الحضاري، و بالتالي أن الحل أولاً و آخراً هو الاسلام. و يرى عمارة ضرورة أن يكون التجديد الاسلامي تجديدًا ثنائياً مزدوجاً يشمل الدين الاسلامي ثم تجديد الدنيا باعتبارهما آيتان من آيات الله و يقول في ذلك: "كون الاسلام هو أساس النهضة و ادائها و حافظها فهو في هذا الميدان حافز يحمل النفوس على طلب السعادة من أبوابها، بصرف النظر عن لون هذه الابواب و مصادرها و عقائد مبدعيها و أجناس القومية و مواقعهم على خريطة الكوكب الذي نعيش فيه^(٣)". في إعتقادنا أن التجديد الاسلامي الذي يدعو له عمارة يتصف بكونه جالب السعادة لكل العالم وليس محصوراً على المسلمين و هو ما يتصف به الفكر الاسلامي كونه عالمياً و انسانياً ويحمل في طياته المساواة و العدل بين كل الناس.

المطلب السادس: أهمية التجديد الاسلامي

إن التجديد الإسلامي عند الدكتور محمد عمارة يتمتع بأهمية وضرورة للأمة الاسلامية وجاءت هذه الاهمية و الضرورة من كونه ينبع من الاسلام الحقيقي، فإن الهدف من دعوة

١ . محمد عمارة، الاسلام بين التنوير و التزوير، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢٦.

٢ . أنظر: محمد عمارة، هل الاسلام هو الحل لماذا وكيف، ط ٢، ص ١١.

٣ . محمد عمارة، الاستقلال الحضاري، ط ١، (القاهرة، شركة نهضة مصر، ٢٠٠٧)، ص ٩٣.

محمد عمارة إلى التجديد الاسلامي هو إزالة التمايزات و التناقضات بين التنوير الغربي و بين التجديد الاسلامي و هي: " دعوة لمختلف الافكار الموجودة في الساحة الفكرية العربية و الاسلامية و المتصارعة على مسألة هوية مشروع النهضة المنشودة و مكانة الإسلام في مرجعية المشروع النهضوي دعوتهم جميعاً إلى كلمة سواء تحمل عقل الأمة لمواجهة ما فرض و يفرض عليها من تحديات"^(١). يمكننا القول أن قصد محمد عمارة بالفرقاء في الحياة الفكرية للمجتمع الاسلامي أي أصحاب الأفكار العلمانية أو القومية أو الشيوعية الذين كانوا يحملون مشروعاً مغايراً للمشروع الفكري الاسلامي، و هنا يدعوهم عمارة إلى ترك الاختلافات الفكرية واصطفافهم حول الإسلام بأعتباره المشروع الفكري الوحيد الذي يحمل هم الإنسانية جمعاء ولا يظلم أحداً.

و يستمر بوصف التجديد من ناحية الأهمية و الضرورة بالقول: "يمثل التجديد الاسلامي مرتبة السنة و القانون بفعل خاتمة الرسالة الاسلامية و عالميتها بتجديد منابع و إزالة عنها طوارئ البدع التي تحد من فاعليتها في التوليد و الإبداع"^(٢). و يقول الدكتور محمد عمارة عن ضرورة التجديد: "إن التجديد في الفكر الاسلامي ليس مجرد أمر مشروع و جائز و مقبول، و ليس مجرد حق من حقوق العقل المسلم، و إنما هو سنة و ضرورة و قانون، اذ بدون التجديد الدائم والمستمر للفكر و الفقه و الخطاب الاسلامي سوف تحدث الفجوة بين الشريعة الاسلامية التي هي وضع ألهي ثابت و مستقر و بين مقتضيات و متطلبات الواقع المتغير والمتطور دائماً و ابدأً، الامر الذي لو ساد الجمود والتقليد في الفكر و الفقه و الخطاب الاسلامي يؤدي إلى انفلات الواقع المتطور"^(٣). يمكننا القول أن التجديد في فكر الدكتور محمد عمارة هو تجديد دائم ومستمر الفعل في الجوانب الفكرية للشريعة الاسلامية و بدون هذا التجديد سوف يكون هناك جمود و تقليد و عجز فكري، و يرى محمد عمارة

١. محمد عمارة بين التنوير والتزوير، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢٧.

٢. محمد عمارة، النموذج الثقافي، (القاهرة: شركة نهضة مصر، ١٩٩٨)، ص ٤٧.

٣. محمد عمارة، الخطاب الديني بين التجديد الديني و التبديد الأمريكي، (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٧)،

: "أن الشريعة الإسلامية هي خاتمة الشرائع الدينية و صلاحيتها لكل زمان و مكان، و هذه الصلاحية مرهونة بالتجديد الدائم في الفكر و الفقه و الخطاب الإسلامي لمواكبة مقتضيات و متطلبات و مستجدات الواقع المتطور"^(١).

المطلب السابع: مميزات المنهج التجديدي لدى الدكتور محمد عمارة

١. إن منهج التجديد يمثل وسط بين حداثة القطيعة المعرفية مع الموروث، و بين التقليد لكل موروث و بين المقدس الإلهي المتمثل بالكتاب و السنة النبوية و بين الفكر البشري الذي هو ثمرة الاجتهاد الفكري و التجارب الإنسانية^(٢).
٢. الميزة الثانية لهذا المنهج هو التمييز بين ثوابت الموروث و بين المتغيرات (المناهج) و ما أجمعت عليه الأمة و تلقيه بالقبول مغاير مثل مذهب لفرقة فكرية ما أو تجربة دولة و أعراف جماعة أو تقاليد ميزت إقليمياً من الأقاليم^(٣).
٣. يجعل منهج التجديد للمعرفة مصدرين هما كتاب الوحي المقروء و كتاب الكون المنظور بما فيها آيات الله في الأنفس و الآفاق^(٤).
٤. يمتاز التجديد بأنه تنوير إسلامي ليفجر في عقولنا و حياتنا الفكرية والعملية نور الاسلام و نور الحكمة الإنسانية معا لتسير ملكات الإنسان في نور الله فلا يعمي الجمود بصيرة العقل عن نور الله، و لا تحرم القطيعة الفكرية هذا العقل من هذا النور الإلهي^(٥).

يمكننا القول أن مميزات منهج التجديد الإسلامي تركز على وسطية الأصول الإسلامية للدين أي (الثوابت) و بين التجارب البشرية الفكرية (المتغيرات). و يركز أيضا على التوازن بين مصادر المعرفة: كتاب الله المقروء و كتاب الكون المنظور وبين العقل الإنساني و النور الإلهي و يؤكد على أن لا وجود للقطيعة المعرفية بين ما هو ديني و بين ما هو بشري و أن

١ . نفس المصدر: ص ٨.

٢ . محمد عمارة، الابداع الحضاري والخصوصية الحضارية، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢.

٣ . نفس المصدر، ص ٢٣.

٤ . محمد عمارة، الاسلام بين التنوير والتزوير، مصدر سبق ذكره، ص ١٨٥.

٥ . نفس المصدر، ص ٢٧٦.

التجديد يجب أن يكون ذو بعدين متكاملين هما: الدين الإسلامي والنتاج الإنساني المتمثل بالفكر لإنجاح عملية المواكبة والتجديد.

المطلب الثامن: ملامح المشروع التجديد الحضاري في فكر محمد عمارة

قدم الدكتور محمد عمارة مشروعاً حضارياً للتجديد الاسلامي و الذي يقوم على أسس هي^(١):

١. الحاجة إلى بعث فلسفي لتطوير العقلانية الإسلامية المؤمنة التي أبدعت قديماً في علوم أصول الفقه و أصول الدين.
 ٢. إبداع نظام الشورى الإسلامية لتحقيق الأمة اعلى مستويات المشاركة في العمل العام.
 ٣. الحاجة إلى صياغة نموذج متميز لعلاقة الدين بالدولة دون الدمج التام و لا الفصل التام.
 ٤. الحاجة إلى صياغة الاعلان الاسلامي لحقوق الانسان لتصبح هذا الحقوق فرائض الهية وتكاليف شرعية و تكون محكمة بحقوق الله تعالى.
 ٥. الحاجة إلى إبداع نظام للحكم قائم على نظرية الإستخلاف الإلهي للإنسان وقائماً على مبدأ سيادة الشرع و سلطة الأمة و نيابة الدولة عن الأمة دون أن يغيب الدين عن الأمة أو تحجب الأمة عن الدين.
 ٦. الحاجة إلى إبداع معالم نظام إجتماعي يحقق نظرية الإستخلاف في الثروات و الأموال من أجل تحقيق مبدأ تكامل الأمة دون المساس بالملكية الفردية الخاصة.
 ٧. الإهتمام بمجال الأداب والفنون لإحياء أهمية اللغة العربية لسان الإسلام الناطق.
 ٨. الحاجة إلى إبداع النموذج الاسلامي في التعامل و تحرير المرأة الذي يحقق لها المساواة في الانسانية و الكرامة و التكليف و الجزاء و المشاركة في سائر ميادين الامر بالمعروف والنهي عن المنكر و يسهم في تفجير طاقات المرأة دون أن يؤثر على أنوثتها.
- يرى الدكتور محمد عمارة ضرورة القيام بنهضة شاملة و جذرية للتخلص من التحديات التي يفرضها أعداء الأمة الاسلامية و يعقد أملاً كبيراً على الحركة الفكرية الحاجة إلى إبداع

١. محمد عمارة، الابداع الحضاري والخصوصية الحضارية، مصدر سبق ذكره، ص ٧٤-٧٣.

النموذج الاسلامي في التعامل و تحرير المرأة الذي يحقق لها المساواة في الانسانية و الكرامة و التكليف و الجزاء و المشاركة في سائر ميادين الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و يسهم في تفجير طاقات المرأة دون أن يؤثر على أنوثتها. و يرى الدكتور محمد عمارة ضرورة القيام بنهضة شاملة و جذرية للتخلص من التحديات التي يفرضها اعداء الامة الاسلامية ويعقد املا كبيرا على الحركة الفكرية الاسلامية و يحملها مهمة مشروع النهضة الحضاري والذي هو ثمرة عمل جماعي كبير^(١) و يقول عمارة في ذلك: "هي دعوة كل المؤمنين بالتميز الحضاري للأمة الاسلامية و المدركين لأهمية وضرورة استقلال امتنا حضاريا الى بلورة ملامح هذا المشروع الذي هو طوق النجاة لهذه الامة من مخاطر الجمود و التشوه المعرفي الذي تمارسه الحضارة الغربية مع حضارتنا"^(٢).

في إعتقادنا إن محمد عمارة يطرح مشروعا حضاريا إصلاحيا يهدف إلى تجديد كل مستويات الحياة الإنسانية من حيث الإقتصاد و السياسة والفكر والثقافة و حقوق الانسان و مكانة المرأة في المجتمع وتحقيق العدالة الإجتماعية وتفعيل مبدأ الشورى الإسلامية و الابتعاد عن الدولة العلمانية و الدولة الدينية و التوازن بينهما، و هذا ما تحتاجه الأمة الإسلامية في الوقت الحاضر لإيجاد حل لمشكلة الانحلال الحضاري و أزمة موقف الحضارة الاسلامية من الحضارة الغربية و إتخاذ موقف حازم تجاهها. يمتاز المشروع الحضاري الذي دعا إليه محمد عمارة بالوسطية الاسلامية من خلال^(٣):

١. الوسطية في النظرة للإنسان من خلال كونه خليفة الله في الأرض و ليس السيد المطلق لهذا الكون.

٢. الوسطية في موضوع الحرية من خلال التوازن بين الليبرالية المطلقة و بين الشمولية المطلقة و اختيار الافضل و هي الديمقراطية الاسلامية.

١ . محمد عمارة، الاستقلال الحضاري، مصدر سبق ذكره، ص ١٩٥.

٢ . نفس المصدر، ص ١٩٦.

٣ . نفس المصدر ص ١٩٧-١٩٨.

٣. و في الجانب الاقتصادي يرى عمارة أن ملكية الثروة القومية لله وحده و الأمة ككل مستقلة عن الله في الاحوال فلا مكان للحرية الاقتصادية و الملكية الفردية بمعناها المطلق في الفلسفة الليبرالية الغربية، و لا مكان لتجريد الإنسان الفرد من اي حق في التملك الذي يحفزه للتنمية و الإبداع لأن الملكية الحقيقية لله وأن الإنسان مكلف بالوظيفة الإجتماعية للمال.

٤. الوسطية في مجال السلطة و الدولة، أي أنها ليست سلطة دينية و لا علمانية، و انما الدولة في المشروع الحضاري هي إسلامية بمقاصدها الشرعية دون أن تكون دينية التي تحكم بالحق الالهي ولا تفرض العصمة و القداسة على البشر و تشريعاتهم بإسم الدين.

٥. المطالبة بالإصلاح الثقافي من خلال إعادة الثقافة الإسلامية إلى وسطية التوازن و الاعتدال من خلال إقامتها على قاعدتي عالم الغيب والشهادة و قاعدتي العقل و النقل^(١).

يمكننا القول أن الدكتور محمد عمارة قد وضع منهاجا لتحقيق التجديد في الفكر الاسلامي مدروسا و قائما على مبادئ الاسلام الحقيقية وأن أسس هذا المنهج هي الوسطية والعقلانية و التجديد و الاحياء.

يرى محمد عمارة أن مشروعه الحضاري التجديدي متميز إسلامياً و أن هذا التميز لا يعني القطيعة مع الحضارات الأخرى و في مقدمتها الحضارة الغربية و أنما يعني التميز ب^(٢):

⑩ الإنفتاح الحضاري و التفاعل الفكري و إستلهاهم المشترك الانساني العام في دائرة العلوم و المعارف.

⑩ الإحتفاظ و التمسك بسمات الخصوصية الحضارية الاسلامية مثل العقائد الفلسفة و الشرائع واللغات و الأداب والفنون و الإستفادة من الغرب في مجال التمدن العلمي و

١ . محمد عمارة، مقومات الأمن الإجتماعي في الاسلام، مصدر سبق ذكره، ص ٢٨.

٢ . محمد عمارة، من اعلام الاحياء الاسلامي، ط ١، (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٦)، ص ٣٩.

من ناحية الخبرات البشرية و التجارب العلمية في تطوير و ترقية الواقع المادي و خصوصياتها الثقافية و الحضارية.

في إعتقادنا أن المشروع الحضاري لمحمد عمارة مشروعاً متميزاً إسلامياً شكلاً ومضموناً و أن هذه الصفة الإسلامية لا تمنع من الانفتاح الحضاري و الفكري مع الحضارة الغربية و الاستفادة من تجاربها العلمية و الفكرية مع الإحتفاظ بالخصوصية الحضارية و الثقافة الإسلامية.

الباب الثاني: منهجية الدكتور محمد عمارة في تناول مشاكل

الدعوة

ويشتمل علي ثلاثة فصول:

الفصل الأول: في فقه الاختلاف والتعددية

ويشتمل علي خمسة مباحث:

المبحث الأول: حقيقة الخلاف الاختلاف

المبحث الثاني: طبيعة التفاوت في ساحة الدعوة

المبحث الثالث: التعددية والإختلاف من سنن الفطرة

المبحث الرابع: الاختلاف جعل إلهي و طبيعي في البشر

المبحث الخامس: دور الإجتهد في صياغة الاختلاف وصيانة الشريعة

الفصل الثاني: أهم المشاكل الداخلية في ساحة الدعوة

الفرع الأول: (مظاهر الخلل في الحركات الاسلامية المعاصرة)

المبحث الأول: الخلل في فهم التعددية وفي الايمان بجدواها

المبحث الثاني: الخلل في علاقة الذات بالآخر

المبحث الثالث: الخلل بين المحلية القطرية والعالمية الاسلامية

المبحث الرابع: الخلل في علاقة التاريخ بالعصر وعلاقة الموروث بالابداع

المبحث الخامس: الخلل في علاقة الحركة بالفكر

المبحث السادس: الخلل في علاقة التربية الروحية بالتربية السياسية

المبحث السابع: الخلل في علاقة الطاعة بالحرية

الفصل الثالث: أهم المشاكل الخارجية في ساحة الدعوة

المبحث الأول: الغزو الفكري الحضاري

المبحث الثاني: الالتباس المفهومي للمصطلحات

المبحث الثالث: العلمانية الملحدة

المبحث الرابع: استراتيجية التنصير

المبحث الخامس: التنوير والتزوير

الفصل الأول: في فقه الاختلاف والتعددية

المبحث الأول: حقيقة الخلاف الاختلاف

المطلب الأول: تعريف الاختلاف

الاختلاف لغة: مصدر اختلف^(١)، واختلف ضد اتفق^(٢)، وتخالف الأمران واختلفا لم يتفقا وكل ما لم يتساو فقد تخالف واختلف، والخلاف المضادة، وخالفه إلى الشيء: عصاه إليه أو قصده بعد ما نهاه عنه^(٣).

اصطلاحاً: قال الجرجاني^(٤) في تعريف الاختلاف بأنه: منازعة تجري بين المتعارضين لتحقيق حق أو لإبطال باطل^(٥).

وعرفه طه العلواني: بأن ينهج كل شخص طريقة مغايرة للآخر في حاله أو قوله^(٦).

المطلب الثاني: أنواع الاختلاف

الاختلاف الوارد في كتاب الله تعالى على نوعين^(٧) هما:

١- النوع الأول هو قسم يذم فيه سائر المختلفين مثل ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾^(٨)، فبين الله في هذه الآية أنه لو شاء لجعل الناس أمة واحدة على الدين الإسلامي، ولكن إقتضت حكمته أن لايزالوا

١. الموسوعة الفقهية، إصدار وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ هـ، ج ٢، ص ٢٩١.

٢. الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مادة (خلف)، مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ.

٣. أنظر: لسان العرب لابن منظور، مادة (خلف) ج ٥، ص ٣٢٠.

٤. علي بن محمد الحسيني الجرجاني، متكلم بارز و متصوف مشهور، ولد في جرجان سنة ٧٦٠ هـ وتوفي في سنة ٨١٩ هـ، أنظر كتاب التعريفات ص (١) و الأعلام لخير الدين الزركلي (٧/ ٥)، دار العلم للملايين، بيروت، ط (٧) ١٩٨٤ م.

٥. الجرجاني علي بن محمد، التعريفات، مكتبة لبنان، ١٩٧٨ م، ص (٥٦).

٦. العلواني طه جابر فياض، أدب الاختلاف، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ط (٣) ١٤٠٧ هـ، ص (٢١).

٧. ابن قيم الجوزية، إقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (١/١٢٩)، تحقيق د. علي بن محمد الدخي، دار العاصمة، ط (٢)، ٤٩٢ هـ.

٨. سورة هود: (١١٨).

مختلفين مخالفين للصراط المستقيم متبعين للسبل الموصلة إلى النار ﴿إِلَّا مِنْ رَحْمَةِ رَبِّكَ﴾^(١) فجعل أهل الرحمة مستثنين من الاختلاف^(٢).

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾^(٣) وقوله: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾^(٤)، وقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾^(٥).

والنبي ﷺ حين أخبر أن الأمة ستفترق قال فيما رواه أبو داود: «ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب إفترقوا على ثنتين وسبعين وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة، وهي الجماعة»^(٦).

فبين أن عامة المختلفين هالكون من الجانبين إلا فرقة واحدة وهم أهل السنة والجماعة^(٧) ^(٨). وهذا النوع من الاختلاف هو الذي وصف الله أهله بالبغي وهو الذي يوجب الفرقة

١. السعدي عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٢/٤٧٠)، دارالسلام، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٢. أنظر: إقتضاء الصراط المستقيم لابن قيم الجوزية (ج ١/ص ١٢٦).

٣. سورة آل عمران: (١٠٥).

٤. سورة المؤمنون: (٥٣).

٥. سورة البقرة: (١٧٦).

٦. أخرجه أبو داود في كتاب السنة باب شرح السنة حديث رقم (٤٥٩٧) وقد جزم الشيخ محمد ناصر الدين الألباني بصحة هذا الحديث واستقصى طرقة ونقل أقوال العلماء المصححين له مثل الحاكم و شيخ الإسلام ابن تيمية وغيرهم، وذلك في كتابه سلسلة الأحاديث الضعيفة.

٧. يُطلق مصطلح أهل السنّة والجماعة على الجماعة الذين تمسّكوا بسنّة النبيّ -عليه الصلاة والسلام- في المسائل العلمية العقديّة، والمسائل العملية الحكمية، فسبب تسميتهم أهل السنّة؛ لأنّهم تمسّكوا بالسنة، أمّا سبب تسميتهم بالجماعة؛ لاجتماعهم على تلك السنّة وعدم التفاتهم إلى ما سواها، وأهل السنّة والجماعة هم الطائفة المنصورة، والفرقة الناجية التي تحدث عنها النبيّ عليه الصلاة والسلام، فهي الفرقة المتمسكة بالكتاب والسنّة، السائرة على منهج النبيّ الكريم وصحابته الكرام دون انحراف عنها.

أنظر: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، "عقيدة أهل السنة والجماعة"، www.saaaid.net، تاريخ ٢٠١٩-١-٣٠. بتصرّف.

٨. أنظر: إقتضاء الصراط المستقيم لابن قيم الجوزية (ج ١/ص ١٢٧).

والاختلاف وفساد ذات البين ويوقع التحزب والتباين^(١). والاختلاف الذي يذم فيه سائر المختلفين ينقسم إلى قسمين^(٢) هما:

أ- إختلاف التنوع: وهو ما يكون كل واحد من القولين أو الفعلين حقا مشروعاً، ويدخل في ذلك بالنسبة لعمل الدعاة، مثل أن تكون للدعاة خطط يتبعوها في دعوتهم، فيتخذ بعضهم من الوسائل ما يراه مناسباً، مراعيًا ظروفه الخاصة وإمكاناته المتاحة والمرحلة التي تمر بها دعوته، آخذاً في إعتباره عدم مخالفة أمر من أمور الدين. فهذا إهتمام بالجانب العلمي وأدرك أهمية العلم وحاجة الصحوة إليه ووضع في إعتباره تخريج أعداد من طلبة العلم الذين لا تستغني الأمة عن علمهم وفتاواهم التي تبين لهم ما خفي عليهم من أمور دينهم، مع الأخذ بالاعتبار أن إختلاف التنوع قد يقع بين الدعاة الذين مجال عملهم واهتمامهم العلم والتعليم بسبب إختلاف فروع العلم وآخر إهتمام بالجانب التربوي وأولى إهتمامه بالدعوة إلى الأخلاق الفاضلة والقيم الرفيعة التي دعا إليها الإسلام ورغب فيها ورتب الأجر العظيم لمن تمسكها، فهذه أمثلة لإختلاف التنوع الذي يقع بين الدعاة والذي تشهد ساحة الدعوة أمثلة له في أزمنة مختلفة وأماكن متعددة وفي الأصل أن إختلاف التنوع لا يذم فيه أحد الطرفين اللذين عمل كل منهما مشروع له ما يؤيده من أدلة الشرع، إلا إذا بغى أحد الطرفين على الآخر وحاربه وشدد عليه حتى أفضى بهم الأمر إلى العداوة وفساد ذات البين.

ب- إختلاف التضاد: وهو القولان أو الرأيان المتنافيان اللذان لا يمكن الجمع بينهما مما يكون الحق فيه مع أحد المختلفين دون الآخر، لكن المخالف للحق لديه بعض الحق أو معه دليل يقتضي حقا ما، فيرد مخالفه كل ما مع خصمه من حق وباطل، فيكون هو مبطلا في البعض كما كان الأول مبطلا في الأصل^(٣). وساحة الدعوة تعج بمثل هذا النوع من الإختلاف الذي غالبا ما يؤدي إلى التنافر والتقاطع والبغي من فئة على أخرى، مثل ما عليه

١. أنظر: الصواعق المرسلة لابن قيم الجوزية (ج ٢/ص ٥١٤).

٢. أنظر: إقتضاء الصراط المستقيم (ج ١/ص ١٢٨).

٣. أنظر: إقتضاء الصراط المستقيم (ج ١/ص ١٣٠).

الحال بين الجماعات التي تقوم بالدعوة والتي لا تخلو منهاهجها في الغالب من التلبس ببعض البدع، أو الأخطاء المنهجية، لكنها مع ذلك قد يكون عندها بعض الجوانب الإيجابية كأن يكون لديها اهتمام بالجانب التربوي أو تميز في بذل الجهد والمال من أجل الدعوة لكن المطالع على واقع العلاقة بين هذه الجماعات يلحظ غمط بعضهم لبعض، وإنكار بعضهم لما عند الآخر من المحاسن، وغلبة الهوى على أفرادها في تقييمهم لمن خالف طريقتهم ولم يندرج في صفوفهم وفي هؤلاء وأمثالهم يقول الإمام ابن القيم^(١) رحمه الله: "والاختلاف المذموم كثيرا ما يكون مع كل فرقة من أهل بعض الحق فلا يقر له خصمه به بل يجحده إياه بغية ومنافسة، فيحمله ذلك على تسليط التأويل الباطل على النصوص التي مع خصمه وهذا شأن جميع المختلفين بخلاف أهل الحق^(٢)."

٢- والقسم الثاني وهو ما يحمد فيه إحدى الطائفتين وهم أهل الحق والإيمان، ويذم فيه أهل البغي والضلال، كما دل عليه قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٥١٣﴾^(٣)، فأخبر سبحانه وتعالى أنه هدى عباده المؤمنين لما اختلف فيه المختلفون. وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا وَلَكِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا

١. الإمام العلامة شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب المشهور بابن قيم الجوزية ولد سنة ٦٩١ هـ. كان واسع العلم عارفا بالحلال والحرام و مذاهب السلف، توفي بدمشق سنة ٥٧١ هـ. أنظر البداية والنهاية (ج ١٤، ص ٢٧٠-٢٧١) والأعلام (ج ٦/ص ٥٦).

٢. أنظر: مختصر الصواعق المرسلة للإمام ابن قيم رحمه الله (ج ٢/ص ٥١٥).

٣. سورة البقرة: (٢١٣).

يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ ﴿١﴾. فقولوه: ﴿ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر﴾ حمد لإحدى الطائفتين وهم المؤمنون، وذم الأخرى وهم الذين كفروا ﴿٢﴾ وكذلك قوله: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ أَخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ ﴿١٩﴾﴾ إلى قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٢﴾﴾ ﴿٣﴾. ذكر ابن كثير (٤) عند تفسيره هذه الآيات عدة أقوال السلف رحمهم الله تعالى في تعيين المختصمين المعنيين بقوله تعالى: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ أَخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾. فقال قتادة: (٥) "إختصم المسلمون وأهل الكتاب فقال أهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم فنحن أولى بالله منكم وقال المسلمون: كتابنا يقضي على الكتب كلها ونبينا خاتم الأنبياء فنحن أولى بالله منكم، فأفلق الله الإسلام على من ناوأه وأنزل ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ أَخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾. وفي رواية أخرى عن قتادة قال: "مصدق ومكذب. وفي رواية أخرى عن مجاهد (٦) وعطاء (٧)، أن المراد في هذه الآية: المؤمنون والكافرون (٨)".

والدعاة على قسمين، كما بينهما الله تعالى في كتابه وبينتهما سنة الرسول ﷺ: دعاة الحق والهدى وهم الذين يقفون أثر النبي ﷺ ويسيروا على خطاه الذين أثني الله تعالى عليهم

١. سورة البقرة: (٢٥٣).

٢. أنظر: إقتضاء الصراط المستقيم (١/١٣٣).

٣. سورة الحج، الآيات من (١٩-٢٠).

٤. ابن كثير (٧٠١ - ٧٧٤ هـ = ١٣٠٢ - ١٣٧٣ م) إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو بن درع القرشي البصري ثم الدمشقي، أبو الفداء، عماد الدين: حافظ مؤرخ فقيه. ولد في قرية من أعمال بصرى الشام، وانتقل مع أخ له إلى دمشق سنة ٧٠٦ هـ ورحل في طلب العلم. وتوفي بدمشق. تناقل الناس تصانيفه في حياته. انظر: الأعلام للزركلي ج ١/ص ٣٢٠.

٥. قتادة بن دعامة السدوسي ولد سنة (٦٠) هـ، كان من أوعية العلم ومن يضرب به المثل في قوة الحفظ. قال الإمام أحمد: أحفظ أهل البصرة، أنظر سير أعلام النبلاء (ج ٤/ص ٤٤٩-٤٥٧) والأعلام للزركلي (ج ٥/ص ٢٨٧).

٦. مجاهد بن جبير أبو الحجاج المالكي تابعي ولد سنة (٢١) هـ، أخذ التفسير عن ابن عباس، قال الذهبي: شيخ المفسرين والقراء، توفي سنة (١٠٤) هـ. أنظر سير أعلام النبلاء (ج ٤/ص ٤٤٩-٤٥٧) والأعلام للزركلي (ج ٥/ص ٢٨٧).

٧. عطاء بن أسلم بن صفوان تابعي من أعلام التابعين ولد سنة (٢٧) هـ، ولد باليمن ونشأ بمكة فكان مفتي أهلها ومحدثهم، توفي سنة (١١٤) هـ. أنظر الأعلام للزركلي (ج ٤/ص ٢٣٥).

٣. أنظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير رحمه الله (ج ٣/ص ٢١٢)، الناشر: دار طيبة سنة النشر: ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

بقوله: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٣٣)، وقوله: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٣٨)، وقوله: ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١٠٤)، وأثنى عليهم النبي ﷺ وبين مالهم من الأجر، فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً» (٤).

أما القسم الآخر فهم دعاة الكفر والإلحاد والبدعة، الذين يخالفون دعوة الرسول ﷺ ويصدون عن الحق، الذين وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴾ (٤٥)، وقوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِطُّ أَعْمَالُهُمْ ﴾ (٣٢) (٦).

وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من دعاة الضلال الذين ربما يتظاهرون بأنهم على الحق حتى يلتبس أمرهم على من يجهل حالهم، ففي صحيح البخاري عن حذيفة بن اليمان (٧) أنه قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت يارسول الله : إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «نعم» قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: «نعم وفيه دخن» قلت: وما دخنه؟ قال: «قوم يهدون بغير هدي تعرف منهم وتنكر» قلت: فهل بعد ذلك الخير من

١. سورة فصلت: (٣٣).

٢. سورة يوسف: (١٠٨).

٣. سورة آل عمران: (١٠٤).

٤. رواه مسلم، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، رقم الحديث (٢٦٧٤).

٥. سورة الأعراف: (٤٥).

٦. سورة محمد: (٣٣).

٧. حذيفة بن اليمان العيسي، شهد أحد والخندق وله بالخندق ذكر حسن، روى عن النبي ﷺ الكثير، توفي بالمداين سنة

٣٦هـ، أنظر سير أعلام النبلاء (ج ٢/ص ٣٦٢-٣٦٢-٣٦٦) والإصابة (ج ٢/ص ٤٤-٤٥).

شر؟ قال: «نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها» قلت: يا رسول الله صفهم لنا؟ قال: «هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا» قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: «تلتزم جماعة المسلمين وإمامهم» قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: «فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك»^(١) فقد وصف النبي ﷺ هؤلاء الدعاة بأنهم دعاة على أبواب جهنم باعتبار ما يؤول إليه حالهم، وقوله: هم من جلدتنا أي من قومنا ومن أهل لساننا وملتنا^(٢) وإذا كان هذا حال من هم من جنسنا ويتكلمون بلساننا وظاهر أمرهم أنهم على ديننا فما بالك بمن يصرح بأنه مخالف لما عليه أهل السنة والجماعة ويعلن عداوتهم ومخالفة سبيلهم، كالرافضة والمذاهب الهدامة الوافدة من علمانية أو ديمقراطية وماشاكلها. نعوذ بالله!

المطلب الثالث: حكم الاختلاف

تبين مما سبق أن الاختلاف له أنواع وأحوال، ولذا فإن الحكم يختلف بحسب حال المختلفين والأمر الذي اختلفوا فيه. فالقسم الأول من الاختلاف وهو الذي يذم فيه سائر المختلفين، فهؤلاء قال الله فيهم: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۖ إِلَّا مَن رَّجِمَ رَبُّكَ ۖ﴾^(٣)، ونهانا عن التشبه بهم فقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝﴾^(٤) وبين حالهم فقال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ۝﴾^(٥) فجعل المختلفين كلهم في شقاق بعيد.^(٦) وهذا القسم المختلف أفراد في الأمر الذي بعث الله النبيين ليحكموا فيه بين المختلفين، قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ

١. رواه البخاري، كتاب الفتن، باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة، حديث رقم (٧٠٨٤).

٢. أنظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري (٤٠/١٣).

٣. سورة هود: (١١٨).

٤. سورة آل عمران: (١٠٥).

٥. سورة البقرة: ١٧٦.

٦. أنظر: الصواعق المرسلّة، (ج ٢/ص ٥١٤).

وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١١٩﴾ ﴿١﴾ وأصل هذا الاختلاف في التوحيد والتوجه للواحد الحق سبحانه، فالناس لم يختلفوا في أن لهم مدير يديرهم، إلا أنهم اختلفوا في تعيينه على آراء مختلفة إلى أن بعث الله النبيين مبينين لأنهم حق ما اختلفوا فيه من باطله، فأقر بذلك من أقر به وهم الداخلون تحت مقتضى قوله: ﴿إِلَّا مِنْ رَحِمِ رَبِّكَ﴾ وأنكر من أنكر، فصار إلى مقتضى قوله: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿١١٩﴾ ﴿٢﴾، وإنما دخل الأولون تحت وصف الرحمة لأنهم خرجوا عن وصف الاختلاف إلى وصف الوفاق والألفة، وهو قوله: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ ﴿٣﴾ وقال الربيع بن أنس^(٤) في قوله تعالى: ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿١١٩﴾ ﴿٥﴾ أي عند الاختلاف أنهم كانوا على ما جاءت به الرسل قبل الاختلاف أقاموا على الإخلاص لله عز وجل وحده، وعبادته لا شريك له، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأقاموا على الأمر الأول الذي كان قبل الاختلاف واعتزلوا الاختلاف.^(٦)

وقد لا يصل الاختلاف المذموم بأصحابه إلى الكفر ولكنه يدخلهم في سلك المبتدعة، وذلك حين يقع الاتفاق في أصل الدين، والاختلاف في بعض قواعده الكلية وهو المؤدي

١. سورة البقرة: (٢١٣).

٢. سورة هود. (١٩).

٣. سورة آل عمران: (١٠٣).

٤. الربيع بن أنس بن زياد البكري الخراساني، سمع أنس بن مالك وأبا العالية الرياحي وأكثر عنه، كان عالم مرو في زمانه، توفي سنة ١٣٩ هـ. أنظر: سير أعلام النبلاء (ج ٦/ص ١٦٩-١٧٠).

٥. سورة البقرة: (٢١٣).

٦. ابن كثير إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، طبع داركتب العلمية، ٢٠١٢ م، (ج ١/ص ٢٥٠).

إلى التفرق شيعاً^(١)، ويكون هؤلاء المختلفون من أهل القبلة المتوعدون بالنار كما ورد في الحديث عن معاوية بن أبي سفيان أنه قال: ألا إن رسول الله ﷺ قام فينا فقال: «ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين، ثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، وهي الجماعة»^(٢). قال الإمام الخطابي^(٣): قوله: «ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة» فيه دلالة على أن هذه الفرق كلها غير خارجة من الدين، إذ قد جعلهم النبي من أمته^(٤). وهذا القسم الذي يذم فيه سائر المختلفين تقدم أنه ينقسم إلى قسمين:

أ- إختلاف التنوع وهو محمود في الأصل، كأن يكون للأمر طريقان مشروعان ورجل أو قوم سلكوا هذه الطريق وآخرون سلكوا الأخرى وكلا منهما حسن في الدين^(٥). والتنوع يكون في الوجوب تارة وفي الاستحباب أخرى، مثل أن يجب على قوم الجهاد وعلى قوم الزكاة وعلى قوم تعليم العلم ويكون في الفروض الأعيان وفي فروض الكفايات، وكل تنوع في الوجوب يقع مثله في المستحب، ويزداد المستحب بأن كل شخص إنما يستحب له من الأعمال ما قدر عليه ويفعله ويتنفع به^(٦). قال الدكتور محمد عمارة: "واختلاف التنوع محمود بين الدعاة إذا قام كل منهم بالأمر المشروع الذي يحسنه، ونظر إلى غيره ممن يقومون بعمل مغاير لعمله على أنهم يكملون جوانب في الدعوة عجز هو عن القيام بها، ويسدون ثغرة شغل عن

١. الشاطبي إبراهيم بن موسي بن محمد، **الاعتصام**، دار ابن عفان السعودية، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، ص (٣٩٥).

٢. رواه أبو داود في كتاب السنة باب (شرح السنة) ورقم الحديث (٤٥٩٦) والإمام أحمد في المسند رقم (١٠٢٤).

٣. الإمام الحافظ اللغوي حمد بن محمد بن إبراهيم، أبو سليمان الخطابي، ولد سنة ٣١٩ هـ، ويقال إنه من سلالة زيد بن الخطاب كان إماماً في الفقه والحديث واللغة، توفي سنة ٣٨٨ هـ. من تصانيفه: (معالم السنن) و (غريب الحديث) و (شرح الأسماء الحسني).

٤. أنظر: **معالم السنن لأبي سليمان الخطابي** (ج ٤، ص ٧)، حاشية مختصر سنن أبي داود للحافظ المنذري، تحقيق أحمد شاكر وحمد حامد الغف، ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م دار المعرفة.

٥. أنظر: **إقتضاء الصراط المستقيم** ج (١/ص ١٣٠).

٦. ابوالعباس أحمد عبدالحليم ابن تيمية الحراني **مجموع فتاوى**، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الرابعة ١٤٠٨ هـ، (ص ١١٨-١١٩).

سدها، وكل منهم يقدر للآخر عمله ويسدي له النصح إن رأى في عمله خلة، فيكون لأخيه كالمرأة التي يرى فيها عيوبه. لكن الأمر يختلف حين يرى كل واحد من المختلفين أن الحق معه وحده، وأنه لابد للجميع أن يلتزموا بما ألزم به نفسه^(١). وهذا النوع من الاختلاف كل واحد من المختلفين مصيب بلا تردد لكن الذم والإثم واقع على من بغي على الآخر فيه، وقد دل القرآن على حمد كل واحدة من الطائفتين في مثل ذلك، إذا لم يحصل بغي كما في قوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾^(٢)، وقد كانوا يختلفوا في قطع الأشجار، فقطع قوم وترك آخرون، وكما في قوله تعالى: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾^(٣)، فخص سليمان بالفهم، وأثنى عليهما بالعلم والحكم^(٤).

ب- إختلاف التضاد وهو القسم الثاني من أقسام الاختلاف المذموم وتبين أن هذا النوع من الاختلاف يكون الحق فيه مع فئة دون أخرى، لكن من خالف الحق معه أما بالنسبة للمخالف الذي معه الحق فإنه لا يخلو من حالين هما:

١- بيان الحق الذي يجب اتباعه والأخذ به حيث كان ومع من كان ولو كان مع من يبغضه ويعاديه، ورد الباطل مع من كان ولو كان مع من يحبه ويواليه دون بغي أو هوى، ففعل هذا واجب وهو مثاب عليه، وإن كان فيه بيان خطأ من أخطأ من العلماء والأمراء^(٥).

١. عمارة، محمد، الاسلام والتعددية الاختلاف والتنوع في إطار الوحدة، الطبعة الأولى، مكتبة الشروق الدولية، ١٤٢٩ هـ -

٢٠٠٨ م، ص ٢٨.

٢. سورة الحشر: (٥).

٣. سورة الأنبياء: (٧٨-٧٩).

٤. أنظر: اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية، طبع إشبيلية ١٤٠١ هـ، (ج ١/ص ١٣١-١٣٢).

٥. أنظر: الفتاوى للشيخ الاسلام ابن تيمية (ج ١٩/ص ١٢٣) والصواعق المرسله لابن القيم (ج ٢/ص ٥١٦).

٢- معاداة المخالف والرد عليه وبيان ما تلبس به من الباطل، مع عدم الإقرار بما معه من الحق، بغيا وهوى، فهو مصيب فيما بين من الحق، مخطئ فيما رد منه، آثم على قدر بغيه وما اتبعه من هواه. أما المخالف الذي جانب الحق أو بعضه فإنه لا يخلو من حالين هما:

١- من أخطأ الحق مع اجتهاده في الوصول إليه، فاسم الدم مرفوع عنه وهو محمود في اجتهاده معفو عن خطئه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية، وقد كان النبي ﷺ يقول في الحديث الصحيح في خطبة يوم الجمعة: «خير الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة»^(١) ولم يقل وكل ضلالة في النار، بل يضل عن الحق من قصد الحق وقد اجتهد في طلبه فعجز عنه، فلا يعاقب، وقد يفعل ما أمر به فيكون له أجر على اجتهاده، وخطؤه الذي ضل فيه عن حقيقة الأمر مغفور له، وإذا اتقى الرجل ربه ما استطاع دخل في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾^(٢).

٢- من خالف الحق وأمله عن قصد وعلم واتباع للهوى، فهذا الصنف له نصيب من قول النبي ﷺ فيما رواه مسلم في صحيحه عن حذيفة، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا فأَيُّ قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلوبين، على أبيض مثل الصفا، فلا تضره فتنة مادامت السموات والأرض، والآخر أسود مرباد»^(٣) كالكوز مجخيا لا يعرف معروفة ولا ينكر منكرا، إلا ما أشربه من هواه»^(٤). وقد حذر الله تعالى من اتباع الهوى وبين أنه يؤدي بصاحبه إلى العذاب الشديد فقال تعالى: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ

١. رواه مسلم، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، ورقم الحديث (٨٩٧).

٢. سورة البقرة: (٢٨٦).

٣. أي: ما كان لونه مغبرا بلون الرماد. أنظر: معجم المعاني.

٤. رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا، ورقم الحديث (١٤٤).

اللَّهُ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَمَّا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٦٦﴾. (١) وذلك لأن صاحب الهوى يعميه هواه ويصمه فلا يستحضر ما لله ورسوله في ذلك، ولا يطلبه ولا يرضى لرضا الله ورسوله ولا يغضب لغضب الله ورسوله، بل يرضى إذا حصل ما يغضب له هواه، ويكون مع ذلك معه شبهة دين أن الذي يرضى له ويغضب له أنه السنة، وهو الحق والدين (٢).

٢- أما القسم الثاني من الاختلاف والذي تبين أنه ينقسم إلى ممدوح ومذموم، وأن الممدوح هم أهل الإيمان والحق الذين خالفوا أهل الضلال والزيغ، فهؤلاء قد فعلوا ما يجب عليهم مما دلت عليه الآيات والأحاديث وهم الذين تبيض وجوههم يوم القيامة حين تسود وجوه أهل الضلال والزيغ قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١٥) يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ (٣) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ يعني يوم القيامة حين تبيض وجوه أهل السنة والجماعة، وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة، قاله ابن عباس رضي الله عنهما (٤).

المطلب الرابع: الفرق بين الخلاف والاختلاف

فرق ابن الهمام (٥) بين الخلاف والاختلاف، فزعم أن لفظ الاختلاف يستعمل في القول الذي بني على دليل، أما الخلاف فإنه يطلق على القول المرجوح في مقابلة الراجح (١)، أما

١. سورة ص: (٢٦).

٢. ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، (ج ٥/ص ٢٥٦) تحقيق

د. محمد رشاد سالم، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ط (١) ١٤٠٦ هـ.

٣. سورة آل عمران: (١٠٥-١٠٧).

٤. ابن كثير إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم (ج ١/ص ٣٩٠)، الناشر: دار طيبة ١٤٢٠ هـ.

٥. محمد بن عبد الواحد كمال الدين، المعروف بابن الهمام، إمام من علماء الحنفية، عارف بأصول الديانات والتفسير والفرائض والفقه، ولد باكنديرية وتوفي بالقاهرة سنة ٨٩١ هـ وغيرهما. انظر الأعلام (ج ٢/ص ٢٥٥).

عطية محمد سالم فزعم أن استعمال يختلف يكون في حالة المغايرة في الفهم الواقع من تفاوت وجهات النظر، أما خالف فيستعمل في حالة العصيان الواقع عن قصد^(٢)، وفي كلام بعض العلماء عدم اعتبار هذا التفريق فما يعبر عنه في موضع بالاختلاف يعبر عنه في موضع آخر بالخلاف^(٣).

والذي يظهر بعد تأمل نصوص الكتاب والسنة أن الكلمة يتحدد معناها بحسب سياق الكلام الذي ترد فيه، فقد ترد كلمة يختلف في سياق يبين منها النهي عن الاختلاف عموماً دون تحديد لفئة معها دليل يؤيدها فيما اختلفت فيه مع الفئة الأخرى، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(٤)، ومثل قول النبي فيما رواه البخاري عن عبد الله بن مسعود قال: سمعت رجلاً قرأ آية سمعت النبي يقرأ خلافها فأخذت بيده فانطلقت به إلى النبي صلى الله عليه وسلم وذكرت ذلك له، فعرفت في وجهه الكراهية، وقال: «كلاكما محسن، ولا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا»^(٥). وقد يكون هذا الحديث دليلاً صريحاً في عدم التفريق بين اللفظين حيث إن الاختلاف وقع بين قارئين قراءة كل منهما صحيحة تلقاها من النبي عليه الصلاة والسلام. وكذلك لفظ (خالف) لا يقتصر إستعماله على من كان خلافه ناتجاً عن عصيان واقع عن قصد بل يشمل أعم من ذلك كما لو خالف معتمداً على دليل، فلا يذم

١. أنظر: شرح فتح القدير لمحمد بن عبد الواحد المعروف بابن الهمام، (٩ / ٣٩٦) وحاشية ابن عابدين (٨ / ٣٢١)، الطبعة (١) دار الكتب العلمية، بيروت.

٢. عطية محمد سالم، موقف الأمة من اختلاف الأئمة، ص (١٦)، مكتبة دار التراث، ط (١) ١٤١٠ هـ.

٣. أنظر: مثلاً في كلام الشاطبي في الموافقات حيث يقول في السبب الرابع من أسباب نقل الخلاف و ما قبله وما بعده: " أن يتوارد الخلاف على محل واحد، كإختلافهم في أن المفهوم له عموم أولاً، وذلك أنهم قالوا لا يختلف القائلون بالمفهوم أنه عام فيما سوى

المنطوق به، والذين نفوا العموم أرادوا أنه لا يثبت بالمنطوق به، وهو ما لا يختلفون فيه أيضاً". الموافقات في أصول الشريعة لأبي إسحاق الشاطبي (ج ٤/ص ١٥٧) ط (١)، دار الكتب العلمية بيروت.

٤. سورة آل عمران: (١٠٥).

٥. صحيح البخاري، كتاب الخصومات، باب ما يذكر في الأشخاص والخصومة بين المسلم واليهود، رقم الحديث (٢١٠).

فاعله أو يمدح إلا بمعرفة أسباب الاختلاف ودوافعه، ولعل المراد يتضح بإيراد بعض النصوص لشرعية مثل قوله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١). أي يخالفون أمر الرسول وهو سبيله ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته، ويتركون العمل بمقتضاه. وكذلك ما رواه البخاري عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «جعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري» (٢).

فالمخالف هنا مذموم لأنه قد خالف الحق والدليل. وقد يكون الخلاف محموداً مأموراً به إذا كان خلافاً لأهل الكفر والمعاصي والبدع، فعن عمرو بن ميمون «قال: "قال عمر به" إن المشركين كانوا لا يفيضون من جمع حتى تشرق الشمس على ثبير فخالفهم النبي صلى الله عليه وسلم فأفاض قبل أن تطلع الشمس» (٣). وعن ابن عمر عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خالفوا المشركين وفروا للحي وأحفوا الشوارب» (٤).

تبين ما تقدم أن الخلاف والاختلاف من حيث اللفظ هو كما قال الشيخ صالح بن حميد: "ليس بينهما فارق يعول عليه ويستعملهما العلماء في مدوناتهم بمعنى واحد، وإن تكلف بعضهم في التفريق بينهما، وقصاري الأمر ألا مشاحة في الاصطلاح" (٥). وقد أوردت لفظ (إختلف) و (خالف) في سياقات متعددة تبين منها أن اللفظ يتحدد معناه باعتبار السياق الذي ورد فيه، ورأيت الاكتفاء بإيراد بعض النصوص لأن فيها ما يكفي للاستدلال في هذه المسألة.

١. سورة النور: (٦٣).

٢. رواه البخاري واللفظ له، كتاب الجهاد والسير، رقم الحديث (٨٨) ورواه الإمام أحمد مسنداً (٥١/٢).

٣. رواه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب أيام الجاهلية، رقم الحديث (٣٨٣٨).

٤. رواه البخاري، كتاب اللباس، باب قص الشارب، رقم الحديث (١٨٩٢).

٥. ابن حميد صالح بن عبد الله، أدب الخلاف، ص (٩)، مكتبة الضياء ١٤١١ هـ.

المبحث الثاني: طبيعة التفاوت في ساحة الدعوة

إن الاختلاف بين الناس حقيقة فطرية، وإرادة ربانية، واختلاف الفكر ظاهرة إنسانية راسخة، مما دعا بعض المفكرين إلى القول: بأن ثمة بصمة فكرية لكل إنسان لا يكاد يشبهها بصمة فكرية أخرى لدى إنسان آخر^(١). وعندما نتأمل لكثير من ظواهر الكون نلاحظ فيها التنوع والاختلاف، و هذا التنوع ليس جميلا في كل الأحيان، فثمة اختلاف ينفر منه الحس ويتعكر من منظره الخاطر فهو ليس جميلا بإطلاق ولا قبيحا باطلاق، لكنه سنة موجودة في الحياة والإنسان بوصفه جزءا من خلق الله تعالى تجري عليه هذه السنة، فالأب وابنه والأخ وأخوه بالرغم من الصفات المشتركة بينهم إلا أن هناك أمور يختلفون فيها، حُلُقِيَّةٌ أو حُلُقِيَّةٌ، وتأمل قول الله تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَخَلَقَ السِّنِّكَمُ وَالْوَنِّكَمُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَلِّمِينَ﴾^(٢) وإذا كان الاختلاف بين الناس في الألوان والألسنة يظهر للعيان، فإن اختلاف المدارك والأفهام لا يكاد يخفى أيضا، خصوصا في المسائل التي تقبل النظر ويجول فيها الفكر في أمور الدين والدنيا، يقول الإمام الشاطبي: فإن الله تعالى حكم حكمته أن تكون فروع هذه الملة قابلة للأنظار ومجالا للظنون، وقد ثبت عند النظر أن النظريات لا يمكن الاتفاق فيها عادة، فالظنيات قابلة في إمكان الاختلاف، لكن في الفروع دون الأصول في الجزئيات دون الكليات، فلذلك لا يضر هذا الاختلاف^(٣). ولما كان من سنة الله سبحانه في خلقه تفاوت الناس في أفهامهم وتفكيرهم واهتماماتهم، والدعاة إلى الله تعالى ممن تجري عليهم هذه السنة، لذا فقد كان لهم نصيب من هذا التفاوت، بالرغم من اهتمامهم بحماية الدين وحفظه والدفاع عنه، إلا أن القناعات المتفاوتة في أنجح السبل في تبليغ دين الله والتمكين له في الأرض، والسبل الكفيلة في الوصول إلى الأهداف المرجوة، إضافة إلى الاختلاف في بعض المسائل العلمية. فمن قائل بوجوب الاختصار على تصحيح العقيدة، ومن قائل بضرورة نقل الناس من بيئة الغفلة والمعاصي والمبالغة في الاهتمام

١. أنظر: فقه الخلاف مدخل الي وحدة العمل الاسلامي، للأستاذ جمال سلطان، الطبعة الأولى مركز الدراسات الاسلامية،

بريطانيا ١٤١٣هـ، ص(١٤-١٥).

٢. سورة الروم: (٢٢).

٣. الشاطبي أبو إسحاق ابراهيم بن موسي، الاعتصام، الطبعة الثانية، دارالكتب العلمية ١٤١٢هـ، ص (٣٩٣).

في أمور الدنيا إلى جو العبادة ومن قائل بأن بداية الإصلاح تكون في الوصول إلى الحكم وتولي مقاليد الأمور، ومن قائل بضرورة شمول الدعوة لكل نواحي الحياة دون الاقتصار على بعض الجوانب، بما في ذلك نصح الحكام وتصحيح الولاء والبراء ومواجهة المؤامرات التي تحاك ضد الإسلام، وتحديد الموقف بصراحة وجلاء من أعداء الدين على اختلاف نحلهم^(١) إضافة إلى الاختلاف حول الأشخاص، أو الجماعات، أو المناهج الدعوية. علما بأنه ليس بمنجاة من هذا الاختلاف من يفترض فيهم الاتفاق ممن يجمعهم الانتماء إلى جماعة أو منهج وإذا كان التعرف على الاختلاف القائم بين الجماعات من الممكن الإحاطة بكثير من جوانبه، وذلك بالوقوف على المبادئ والمناهج -العملية والنظرية- المتعلقة لكل جماعة، فإن الاختلاف بين الأفراد يصعب الإحاطة به لتعدد جوانبه و كثرة وقوعه، بل ربما وقع بين أفراد الجماعة الواحدة والمنهج الواحد.

المبحث الثالث: التعددية والاختلاف من سنن الفطرة

الإسلام: دين الفطرة، أى جبلة المعرفة بالله وطبيعة الإيمان به سبحانه وتعالى، وكل إنسان يولد على الفطرة، أى على براءة المخلقة الأولى، مجبولا ومطبوعا على الإيمان الفطرى بخالق صانع هو الله. في الإسلام تبلغ التعددية المؤسسة على طبع وسجية التنوع والاختلاف -مبلغ الفطرة التي فطر الله الناس عليها. قد تكبت أو تقهر، لكنها سنة من سنن الله لا تبدل لها ولا تحويل.

ولأن هذا هو شأن الاختلاف، ومكان التعددية، ومقام التنوع في الرؤية الإسلامية، كان القرآن الكريم كتاب العقيدة والشرعية ومنظومة القيم وفلسفة التنظيم والتدبير للعمران، هو المصدر الأول لالتماس موقف الإسلام من التعددية والاختلاف. فنحن -بإزاء هذه القضية- لسنا حبال فكرة حديثة أو طارئة ابتدعتها أو استمرناها، وإنما بإزاء مبدأ إسلامي، أخبرنا القرآن أنه جعل الهى، وسنة أزلية وأبدية قد فطر الله عليها جميع المخلوقات. فلم ولن يكون الناس

١. أنظر: العمل الجماعي محاسنه و جوانب النقص فيه، للشيخ عبد الوهاب الديلمي، الناشر للطباعة والنشر الطبعة الثانية ٤١٣ هـ، ص (١٥-١٦).

نمطا واحدا أو قالبا فرداً، وإنما كانوا ولا يزالون مختلفين و ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾ (١).

قال الدكتور محمد عمارة في كتابه: الاسلام والتعددية الاختلاف والتنوع في إطار الوحدة: "إذا كانت الإنسانية والبشرية قد بدأت بأدم وحواء أمة واحدة، في الدين والشرعة، فإن تحول هذه الأمة الواحدة إلى أمم قد اقتضى التعددية في شرائع الرسل بتعدد أم الرسالات، فكانت سنة التعددية منذ فجر تاريخ الإنسان" (٢). قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٣).

فإذا كانت البداية - بداية البشرية - بالأمة الواحدة أى الملة المتحدة في العقائد وأصول الشرائع (٤) {وَكَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً} فلقد تلت تلك البداية مرحلة تعدد الرسالات والرسل والأنبياء بتعدد الأم وتوالى الأجيال -دينهم واحد، وشرائعهم متعددة، والكتب متعددة- فكانت التعددية في الشرائع بإطار وحدة الدين، وذلك ليحكم الله -من خلال الكتب المتعددة بالشرائع المتعددة- بين الأمم المتعددة، فيما اختلفت فيه هذه الأمة. والاختلاف هنا طبيعي، وغير مذموم و {فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ} فهو اختلاف في الشرائع. وفاء العطف في (فبعث) تجعل هذه المرحلة -مرحلة التعددية تالية لمرحلة الأمة -الملة الواحدة. أما الاختلاف الآخر في داخل الأمة الواحدة، المخاطبة بالشرعة الخاتمة، وبعد مجيء كتابها بالبينات فهو مغاير للاختلاف المحمود والطبيعي؛ لأنه اختلاف في الشريعة الواحدة

١. هود: ١١٨، ١١٩.

٢. عمارة، محمد، الاسلام والتعددية الاختلاف والتنوع في إطار الوحدة، الطبعة الأولى، مكتبة الشروق الدولية، ١٤٢٩ هـ -

٢٠٠٨ م، ص ٢٤.

٣. البقرة: ٢١٣.

٤. الإمام محمد عبده (الأعمال الكاملة)، دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة. طبعة القاهرة، سنة ١٩٩٣ م، ج ٤ ص ٢٥١.

الخاتمة، وليس اختلاف شرائع أمم الرسالات المتعددة في إطار وحدة الدين، ولذلك عطف بالواو الدالة على المغايرة للاختلاف الأول ﴿ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۚ ﴾ (١). فاختلاف الشرائع هو تنوع طبيعي في إطار جامع الدين الواحد، أما الاختلاف في أصول الاعتقاد الديني أو أصول الشريعة الواحدة فإنه تشرذم القطيعة والخلاف الذي لا جامع لأقطابه وفرقاته. ولأن هذه هي حقيقة الموقف القرآني من التعددية عندما تكون تنوعا في إطار الوحدة وهو الموقف الذي رآها سنة إلهية فطر الله الناس عليها، عندما جعلهم متعددين في الخلق والفكر والعمل، حتى لكأنما كل إنسان هو بصمة مميزة في إطار جنس الإنسان. لهذه الحقيقة القرآنية كان اجتماع المفسرين عليها من كل المذاهب وعلى مر القرون. فالقدماء قد جعلوا هذا الاختلاف والتنوع علة في خلق الله للناس، فقالوا: "و للاختلاف خلقهم" (٢). والمحدثون زادوا هذه الحقيقة تأكيدا وتفصيلا، فصاحب (المنار) الشيخ محمد رشيد رضا (١٢٨٢ - ١٣٥٤ هـ / ١٨٦٥ - ١٩٣٥ م) يقول: "والذي دل عليه الكلام من مشيئته تعالى في الناس: خلقهم مستعدين للاختلاف والتفرق في علومهم ومعارفهم وآرائهم وشعورهم، وما يتبع ذلك من إراداتهم واختيارهم في أعمالهم، ومن ذلك الدين والإيمان والطاعة والعصيان، فالاختلاف طبيعي في البشر، وفيه من الفوائد والمنافع العلمية والعملية - ما لا تظهر مزايا نوعهم بدونه - وقد شرع الله لهم الدين لتكميل فطرتهم، والحكم بينهم فيما اختلفوا فيه بكتاب الله الذي لا مجال فيه للاختلاف" (٣).

١. البقرة : ٢١٣

٢. (تفسير المنار)، طبعة دار المعرفة بيروت ج ١٢، ص ١٩ - ٢٢. ولقد كان الفضل في جمع كثير من آراء المفسرين حول هذه السنة، للأستاذة زينب عطية محمد انظر كتابها (أصول العلوم الإنسانية من القرآن الكريم)، طبعة القاهرة، سنة ١٤١٦ هـ، سنة ١٩٩٥، ج ١، ص ٢٢٤، ٢٢٧، ٢٣٥.

٣. (الميزان في تفسير القرآن) ج ١١ ص ٦٠ طبعة بيروت سنة ١٣٩٣ هـ / سنة ١٩٧٢ م.

المبحث الرابع: التعددية والاختلاف جعل إلهي وطبيعي في البشر

التعددية والاختلاف طبيعي في البشر. خلقوا مستعدين له و مجبولين عليه، و ميادينه متسعة ومتعددة باتساع وتعدد ميادين الحياة -المادية منها والفكرية على السواء^(١)- وبعبارة حجة الإسلام الغزالي: "وكيف يجتمعون على الإصغاء -لرأى واحد- وقد حكم عليهم في الأزل بأنهم لا يزالون مختلفين.. إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم"^(٢). فالتعددية والاختلاف جعل إلهي وليس مجرد مباح أو حق من حقوق الإنسان. وإذا كان التنوع -كذلك الكثرة- من دواعي ومقتضيات الاختلاف، فإن جامع الإنسانية هو رابطة الائتلاف، "إذ ليس يجوز أن يكون الناس مختلفين في ظاهرهم ولا يختلفون في باطنهم وليس يجوز في الحكمة أن يكثروا ولا يختلفوا، وليس يجوز أيضا أن يضم الجنس والنوع ولا يأتلفوا"^(٣). فالتنوع والاختلاف الطبيعي والمحمود -لا يكون في الأصول الجامعة. فإذا حدث الخلاف في الأصول الجامعة كان تنازعا وليس تنوعا، وغدا خلافا في الدين، أى فى الوضع الإلهي الثابت. فلا بد من جامع للتنوع، ومرجع للاختلاف، ومشارك بين المتميزين، حتى تكون التعددية وسطا عدلا متوازنا بين قطبي غلو الإفراط والتفريط التشرذم والقطيعة التي لا جامع لفرقائها والواحدة القاهرة للتمايز والمنكرة للتنوع والاختلاف. ذلك أن الناس في أصل جبلتهم وبدء خلقتهم قد اختلفوا مجتمعين واجتمعوا مفترقين واختلفوا مؤتلفين، والتلفوا مختلفين"^(٤).

المبحث الخامس: دور الاجتهاد في صياغة الاختلاف وصيانة الشريعة

الاجتهاد فريضة إسلامية دائمة؛ لأنه أداة استنباط الأحكام الشرعية الجزئية من مصادر الوحي الإلهي والبلاغ القرآني والبيان النبوي لهذا البلاغ، وعليه يتوقف بقاء الشريعة الإسلامية خاتمة وخالدة ومستجيبة أحكامها لمستجدات الزمان والمكان والمصالح والعادات والأعراف. فهو بعبارة السيوطي (٨٤٩-٩١١هـ / ١٤٤٥ - ١٥٠٥م) فرض من فروض الكفايات في كل

١. عمارة، محمد، الاسلام التعددية الاختلاف، ص ٣١، الطبعة الأولى، مكتبة الشروق الدولية، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

٢. (القسطاس المستقيم) ص ٦١، ضمن مجموعة القصور العوالي من رسائل الإمام الغزالي، طبعة القاهرة، مكتبة الجندي بدون تاريخ.

٣. أبو حيان التوحيدى (الإمتاع والمؤانسة) ج ٣، ص ٩٩، تحقيق: أحمد أمين أحمد الزين طبعة القاهرة سنة ١٩٩٤ م.

٤. (ابو حيان التوحيدى، المقاييسات، ص ٨٣، تحقيق: محمد توفيق حسين، طبعة دار الأدب، بيروت سنة، ١٩٨٩ م.

عصر، وواجب على أهل كل زمان أن يقوم به طائفة من كل قطر"^(١). فإن فريضة الاجتهاد هذه لا تتأتى إلا مع التعددية والاختلاف في الاجتهادات.

إن الإسلام لم يعرف البابوية المعصومة التي تحصر فهم الشريعة وفقه الكتاب و تشريع الأحكام فى فرد واحد دون بقية القادرين على الاجتهاد. لم يعرف الإسلام _بل أنكر_ وجود ولى أمر الاجتهاد.. وإنما جعل الاجتهاد فريضة كفائية اجتماعية على أولى الأمر (العلماء)

القادرين على هذا الاجتهاد الذي لا بد معه من التعددية في الاجتهادات. قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلَمْ يَكُنْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ غَيْرُ اللَّهِ لَوْ جَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ۖ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْحَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ۖ ﴾^(٢). وتعدد المجتهدين لا بد وأن يثمر تعدد وتنوع واختلاف الاجتهادات، التي يمكن أن تتبلور في مذاهب ومدارس وتيارات. ومنذ العصر النبوى وفى ظل توالى نزول الوحي، ووجود المعصوم _عليه الصلاة والسلام _ كان الرسول هو أول الداعين والحافزين لصحابته -الفقهاء والقضاة- على الاجتهاد وتنمية ملكاتهم في استنباط الأحكام، فهو القائل: "من اجتهد برأيه فأصاب فله أجران، ومن أخطأ فله أجر واحد"^(٣). أما الاختلاف المشروع -الذى لا يمثل فرقة في الدين وإنما هو تعددية الاجتهادات في أحكام الدين_ قال الامام الشاطبي: "فلقد وجدنا أصحاب رسول الله من بعده قد اختلفوا في أحكام الدين، ولم يفترقوا، ولم يصيروا شيعا؛ لأنهم لم يفارقوا الدين وإنما اختلفوا فيما أذن لهم من اجتهاد الرأى والاستنباط من الكتاب والسنة، فيما لم يجدوا فيه نصا، واختلفت فى ذلك أقوالهم، فصاروا محمودين لأنهم اجتهدوا فيما أمروا به، وكانوا مع هذا أهل مودة وتناصح، أخوة الإسلام فيما بينهم قائمة"^(٤). التعددية والاختلاف والتنوع فى إطار الجامع

١. السيوطي، الرد على من أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض، طبعة بيروت، سنة ١٤٠٣ هـ / سنة ١٩٨٣ م، ص ٩٧-١١٦.

٢. النساء : ٨٢، ٨٢.

٣. رواه البخاري والنسائي وابن ماجه والإمام أحمد.

٤. الشاطبي، الموافقات، ج ٤، ص ١٢١ - ١٢٤.

الموحد هو الطبيعي، بل والضروري لتلبية حاجات الواقع المتنوع والمتغير، والعادات والأعراف والمصالح المتميزة، إلى الملائم من أحكام الدين. وإذا كان ذلك جائزاً في أحكام الدين وفقه الفروع فإنه جائز -من باب أولى- في السياسات التي يتم بها تدبير شئون الاجتماع وال عمران^(١). فالتعددية والاختلاف والتنوع لا تمثل افتراقاً في الدين، طالما ظلت تحت جامع الإسلام، المتمثل في أصوله الثابتة التي هي وضع إلهي، معلوم بالفطرة والضرورة، سواء أكانت هذه التعددية في فروع الأحكام الدينية، من فقه الفروع، أم كانت من السياسات. فما علم من الدين بالضرورة فأجمعت عليه الأمة، لا مجال فيه للاختلاف. وذلك من مثل ما ضرب الامام الشافعي رحمه الله به المثل على ذلك، فقال: «لست أقول ولا أحد من أهل العلم: هذا مجتمع عليه، إلا لما لا تلقى عالماً أبداً إلا قاله لك، وحكاه عمن قبله، كالظهر أربع، وكتحريم الخمر، وما أشبه هذا»^(٢). أما ما عدا ذلك من أحكام الدين، وفروع الفقه، وسياسات العمران، فإن التعددية والاختلاف بين الاجتهادات في ميادينها قد استقر الإسلام على اعتبارها سنة فطرية من سنن الله في الفكر الإنساني، لا تبديل لها ولا تحويل، "حتى لقد غدا هذا الاختلاف فنا من فنون العلم الإسلامي، قصده العلماء بالتأليف والتصنيف"^(٣).

١. عمارة، محمد، الإسلام والتعددية والاختلاف والتنوع في إطار الوحدة، الطبعة الأولى، مكتبة الشروق الدولية، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، ص ٣٥.

٢. الامام الشافعي، الرسالة، ص ٥٣٤.

٣. انظر كتاب: في فن الاختلاف، د. جمال الدين عطية (التنظير الفقهي)، - طبعة القاهرة سنة ١٤٠٧ هـ / سنة

١٩٨٧ م، ١٣٦ - ١٤١ .

الفصل الثاني: أهم المشاكل الداخلية في ساحة الدعوة

تمهيد: إن الدكتور محمد عمارة رحمه الله وإن لم يكن في يوم من الأيام قد انتسب إلى عضوية تنظيم من تنظيمات الحركات الإسلامية، إلا أنه ليس غريباً عن أن يكتب في هذا الموضوع وعلى الأقل من خلال الزاوية والجزئية التي اختار أن يفرد لها هذه الصفحات. فبحكم التكوين الفكري الموروث الذي اتخذه سبيلاً للتعلم وللعلم: الدراسة في الأزهر ودار العلوم، وبحكم التخصص الأكاديمي في العلوم الإسلامية والتفرغ لقضايا الفكر الإسلامي، كان الاهتمام بالحركات الإسلامية شاغلاً أصيلاً من شواغل كاتب هذه الصفحات. حتى في حقبة من تاريخه السياسي والفكري كان فيها رافضاً لطريق هذه الحركات، فبحكم العلائق، وبحكم هذا الرفض أيضاً، كانت هذه الحركات في بؤرة الاهتمامات. ولقد زادت هذه الاهتمامات، فبلغت مستوى المتابعة للكثير من أدبيات الحركات الإسلامية، ومواقفها، وأنشطتها، وللمد والجزر اللذين تناوبا على العديد من فصائلها. ثم زادت هذه الاهتمامات في الربع قرن الأخير. وذلك منذ أن استخلص كاتب هذه الصفحات عقله ووجدانه وإسهاماته الفكرية لقضية البعث الإسلامي، جندياً من جنود الفكر الذين يجتهدون لتجديد دنيا المسلمين بتجديد الفكر الإسلامي ولقد تجسدت حصيلة هذه الزيادة من الاهتمام بفكر وأنشطة الحركات الإسلامية المعاصرة في عديد من الكتب والفصول والدراسات التي قدمها الكاتب إلى المكتبة الإسلامية. يقول الدكتور محمد عمارة نفسه: "فبعد دراسة الأصول التاريخية والجذور التراثية في كتاب (تيارات الفكر الإسلامي) كانت الدراسة لـ (تيارات اليقظة الإسلامية الحديثة). ثم جاءت الدراسات التي أنجزتها عن الشيخ حسن البنا (١٣٢٤ - ١٣٦٨ هـ ١٩٠٦ - ١٩٤٩ م) وجماعة الإخوان المسلمين. وعن أبي الأعلى المودودي (١٣٢١ - ١٣٩٩ هـ ١٩٠٣ - ١٩٧٩ م) والجماعة الإسلامية، وعن سيد قطب (١٣٢٤ - ١٣٨٦ هـ ١٩٠٦ - ١٩٦٦ م) وتيار الرفض والغضب الإسلامي، عن جماعة الجهاد والفريضة الغائبة وبعد إنجاز هذه الأعمال الفكرية زادت اهتماماتي بأدبيات فصائل تيار الرفض والغضب الإسلامي، فبدأت أجمع هذه الأدبيات، على أمل أن يفرد لفكر هذا

التيار عملاً يفيد بدراسته دراسة موضوعية، إن شاء الله" (١). إذن، فكاتب هذه الصفحات وإن لم يكن عضواً في أي تنظيم من تنظيمات الحركات الإسلامية المعاصرة، إلا أنه يرجو أن تكون لديه مؤهلات الحديث في هذا الموضوع. وإضافة إلى ما تقدم، يؤكد الدكتور محمد عمارة رحمه الله ويقول: "إن الاهتمام بفكر ونشاط الحركات الإسلامية المعاصرة، ليس لمجرد الدراسة التي تستهدف أن تصدر في كتاب أو عدد من الكتب والأبحاث. وإنما هي اهتمامات مجاهد سلاحه الفكر بإخوة المعركة الواحدة ورفاق الخندق النضالي الواحد الذي نجاهد جميعاً لبعث هذه الأمة وانتزاع استقلالها السليب وتحقيق نهضتها بالإسلام. فهو ليس اهتمام الأكاديمية-الحرفية، وإنما هو اهتمام العضو الذي يمتلك، بالفكر، أعلى مستويات الحساسية، بسائر أعضاء الجسد. جسد الطلائع التي تقف على أرض معسكر البعث الإسلامي الجديد. فهذه الحركات الإسلامية المعاصرة، ليست مجرد «مادة» للدراسة وإنما هي: الأمل الإسلامي، المرشح والمؤهّل لقيادة النهضة الإسلامية المنشودة لهذه الأمة، والتي نأمل أن تحقق لها الاستقلال الحقيقي والتقدم الحقيقي والقوة العادلة لتعود هذه الأمة، ثانية إلى صدارة الدنيا وإمام العالم، تسهم إسهامها الطبيعي والمتميز في ترشيد مسيرة البشرية جمعاء" (٢). وهي المالكة الوحيدة للشوكة الفكرية، أي للفكر القادر وحده ودون سواه، على تحريك جماهير الأمة، وحشدتها لتنتمي إلى الذات، ولتدفع العدوان عن هذه الذات ولتحقيق المشروع الحضاري الذي تتحقق به وتزدهر هذه الذات (ذات الأمة الإسلامية)، إنها المالكة لهذه الشوكة الفكرية، ولوقوفها، إجمالاً على أرض الهوية الحضارية الإسلامية. ومن ثم فإنها المالكة لزمام حركة وتحريك الجماهير الإسلامية، مادة وأداة التغيير. وصاحبة المصلحة الأولى في التغيير الإسلامي المنشود.. ولذلك كان وسيظل الانعطاف الجماهيري الكبير وتعاطفها المتنامي نحو هذه الحركات. وهذه الحركات الإسلامية هي الناهضة بالفريضة الإسلامية الكفائية، والمحقة للواجب الشرعي الاجتماعي فريضة وواجب الأمر بالمعروف

١. عمارة، محمد، ... وآخرون، (مظاهر الخلل في الحركات الإسلامية المعاصرة)، الحركة الإسلامية رؤية مستقبلية أوراق في النقد الذاتي، الكويت، مكتبة آفاق، ٢٠١٢م، ص ٣٢٠.

٢. المرجع السابق: ص ٣٢٩.

والنهي عن المنكر، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر على تبعات ومشاق طريق الحق أي أنها الطلائع الإسلامية، التي تنهض بهذه الفريضة، نيابة عن العامة والجمهور مستعينة بهؤلاء العامة وهذا الجمهور. وهذه الحركات الإسلامية هي الوعاء التنظيمي الذي يستوعب الطاقات الإسلامية النشطة والفاعلة فيوظفها في المكان المناسب والنافع منقذا لها من التردّي في أوعية تيارات العلمانية والتغريب والاستلاب الحضاري والمروق والإلحاد والانحلال واللامبالاة. إنها العاصم لشباب الأمة -مادة المستقبل وعدته- من التواكلية والانحلال، ومن السقوط في المستنقعات التي تمد التنظيمات العلمانية بالمدد الجديد والدم الجديد. "إنها نحن، ونحن منها، وبها، ومعها. نقف معا وجميعا في ذات الساحة وبذات المعسكر، ونجاهد متكاتفين من ذات الخندق. حتى وإن اختلفنا وخالفنا بعض فصائل هذه الحركات الإسلامية المعاصرة في بعض من الرؤى وعدد من السبل والبدائل والتصورات" ^(١). هذا عن علاقة كاتب هذه الصفحات بالحركات الإسلامية والمعاصرة وعن مكانه منها، ومكانتها لديه. ولذلك فإن النقد الذي تجتهد هذه الصفحات لتلمس بعضا من جوانبه، هو جزء من أداء كاتب هذه الصفحات لفريضة النصح والتناصح الإسلامية.. تلك الفريضة الكفائية، الواجب الشرعي الاجتماعي، الذي افترضه الله علينا تجاه هذه الحركات. وهي تتعين على أهل الاختصاص والإمكانات، استهدافاً لتقويم المسيرة، وترشيد المسعى، ضمانا لبلوغ الأهداف، فالدين النصيحة، لله ولرسوله، ولأمة المسلمين وعامتهم. وهذه الحركات الإسلامية المعاصرة هي في موقع «الإمامة» السياسية والاجتماعية والفكرية _شعبيا وجماهيريا- بالنسبة لأمة الإسلام وعامة المسلمين.

ولأن هذا هو حال كاتب هذه الانتقادات لبعض من فصائل الحركات الإسلامية المعاصرة، كان معيار هذا النقد الذي يحتكم إلى مقاييسه وضوابطه، هو معيار المنهج الإسلامي، وخصيصة النظرة الإسلامية: الوسطية الإسلامية الجامعة، التي هي: عدل بين ظلمين وحق بين باطلين واعتدال بين طرفين، وتوازن وموازنة بيني الخلل والاختلال، ويضمنان النظرة

١. عمارة، محمد. الحركات الإسلامية رؤية نقدية، الطبعة الأولى، القاهرة، دار نهضة مصر، ١٩٩٨م، ص ٧.

الشاملة التي تبرأ من انحياز وتطرف وانغلاق النظرة الوحيدة الجانب التي ترى في الظاهرة إلا أحد قطبيها والتي تعجز عن الجمع والتأليف بين عناصر الحق ومكوناته دونها ميل أو هوى أو انحراف. وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۖ ﴾^(١) وصدق رسوله الكريم إذ يقول: «الوسط: العدل، جعلناكم أمة وسطا»^(٢). فمواطن «الخلل» التي تتلمسها وتنتقدها هذه السطور، هي المواطن التي غابت فيها عن الحركات الإسلامية المعاصرة موازين الوسطية الإسلامية الجامعة، سواء أكان ذلك في الفكر أو الممارسة لدى هذه الحركات. أما مواطن الخلل هذه فإننا نتخير منها نماذج على سبيل المثال^(٣).

المبحث الأول: الخلل في فهم التعددية والإيمان بجدواها

إن الكثير من الحركات الإسلامية المعاصرة ولا نبالغ إذا قلنا أكثريتها، إنها تقف من مبدأ التعددية، سواء في الرؤى الفكرية أو في الأوعية التنظيمية والتنظيمات الحركية موقف الرفض العدائي، أو الريبة الشديدة، أو الشك في شرعيتها، أو في ضرورتها وجدواها. وهذا الرفض لهذه التعددية، ليس نابعا من مجرد الرغبة في الانفراد بالفعل وبالقرار وبالجماهير في الساحة الإسلامية -وهي رغبة مفهومة ومقبولة- وإنما هو رفض تابع من خلل جعل هذه الحركات لا تميز بين الأصول والمبادئ والقواعد الإسلامية التي لا يجوز فيها الاختلاف، والتي هي الخطرها وكليتها وثباتها، الضامنة لوحدة الأمة، في العقيدة والشريعة والروح الحضارية. الخلل في التمييز بين هذه الأصول الجامعة، وبين الفروع والجزئيات والسبل والوسائل المتعلقة بالمتغيرات -والمتمغيرات الدنيوية علي وجه الخصوص- وهي التي لا تضر فيها تعددية الرؤى والمناهج، وتعددية الدعوات والتنظيمات. بل ربما تكون هذه

١. سورة البقرة: الآية ١٤٣

٢. الشيباني، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ٥٠ جزء، الطبعة الأولى، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، عادل مرشد وآخرون، بيروت، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١م. رواه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، مسند المكثرين من الصحابة، ج ١٧، ص ٣٧٢، رقم الحديث: ١١٢٧١، وقال شعيب الأرناؤوط وآخرون: إسناده صحيح، رجاله ثقات.

٣. عمارة، محمد. في التنوير الإسلامي، الطبعة الأولى، القاهرة، دار نهضة مصر، ١٩٩٧م، ص ١١.

التعددية، في هذا النطاق، مصدرًا للثراء الفكري، ودافعًا على تحريك العقل نحو الاجتهاد والإبداع، ومنبها على الأخطاء والانحرافات ومرايا يرى فيها الجميع العيوب والأمراض، فيسرعون إلى علاجها والخلاص من مضاعفاتها^(١).

لقد سن لنا تاريخ الفكر الإسلامي، منذ الصدر الأول، سنة حسنة، عصر أهدى فيها بمنهج الإسلامية الجامعة، وذلك عندما علمنا أنه لا اجتهاد في الأصول والمبادئ والقواعد التي بني عليها الإسلام، اللهم إلا الاجتهاد في الفهم والتعقيد وإلحاق الفروع بالأصول. فهذه هي مساحة وإطار وحدة الأمة، التي يمتنع فيها الاختلاف، ومن ثم فتمنع التعددية.. أما في الفروع التي تقام ابنيته على هذه القواعد، فهنا يصح، بل ويجب الاجتهاد. فإن هذه السنة الإسلامية هي بعينها الإعلان الإسلامي عن شرعية ومشروعية التعددية الإسلامية في هذه المساحات من الفكر وتطبيقاته، وفي الأدوات اللازمة لذلك، ومنها التنظيمات^(٢).

تلك هي سنة الإسلام التي شرعت وقننت لمبدأ التعددية في الفكر الإسلامي وفي الممارسات الإسلامية منذ صدر الإسلام، والتي بناء عليها، وتطبيقا لمنهجها كانت تيارات الاجتهادات الإسلامية مصدرًا لثراء الفكر الإسلامي على عهد الازدهار الحضاري الذي سبق عصر التراجع والجمود. وغية هذه السنة الإسلامية الحسنة، والتميزة، عن وعي أغلب الحركات الإسلامية المعاصرة، هي في تقديري المصدر الأول في هذا الخلل» الذي جعلها ويجعلها تتخذ من التعددية ذلك الموقف المتراوح ما بين التحريم والعداء والرفض والارتباب والنفور. وإذا كانت الرؤية الصحيحة والواعية -نسبيا- لهذه القضية، قد عصمت بعضا من الحركات الإسلامية المعاصرة من هذا العداء للتعددية - كما هو الحال في السودان وتونس مثلا - فإن الإخوان المسلمين، بمصر تجربة في «التعايش» مع «الجمعية الشرعية»، وهي وإن لم تنبع من الإيمان بالتعددية على النحو الذي نتحدث عنه، إلا أنها تستحق الدراسة، كنموذج لأفق يرى اتساع العمل الإسلامي لتعددية في الحركات التي تركز كل منها على ميدان لا يكون موطن التركيز لدى الأخرى. إنها نماذج إيجابية، لكنها تظل جزئية، كما تظل

١. عمارة، محمد. الحركات الإسلامية رؤية نقدية، المرجع السابق، ص ٩.

٢. انظر: عمارة، محمد. في التنوير الإسلامي، المرجع السابق، ص ١٠.

الاستثناء الذي يؤكد سيادة قاعدة «الخلل» الذي أصاب ويصيب موقف الحركات الإسلامية المعاصرة في هذا المقام، مقام «التعددية» في الرؤى وفي التنظيم .. وحظه من الإسلامية، ومن الضرورة في واقع العصر الذي نعيش فيه ^(١).

المبحث الثاني: الخلل في علاقة الذات بالآخر

لو أن الواقع في ديار الإسلام قد ظل إسلاميا خالصا، يسود فيه منهج النبوة، على النحو الذي حدث في الصدر الأول للإسلام، لما دعت الدواعي إلى قيام الحركات الإسلامية، لكن هذا التمني هو مما تأباه سنن الله في تطور المجتمعات، كل المجتمعات. وفي حال الواقع الإسلامي، فالفتوحات الجديدة قد ادخلت إلى الأمة والدولة والفكر «آخر» شاب نقاء المنبع الإسلامي بشوائب منها ما كان نافعا ومنها ما كان ضارا فأصاب التصورات الإسلامية والواقع الإسلامي بتشوهات أو غبش تفاوتت إثاره في الخطر والتأثير.

ولقد تزامن مع هذا الوافد الذي أتت به الفتوحات وموارث أمم البلاد المفتوحة، ثمرات القرون التي تتوالى، والتي تأتي في صورة بدع ومستحدثات نظراً على العقائد والشرائع، إن بالزيادة أو الانتقاص أو التحريف والتشويه. فلما جاء الحين الذي تراكت فيه هذه الآثار - وغيرها- فدخلت بعصر الازدهار للحضارة الإسلامية منعطف التراجع والجمود والفقر في الإبداع تصادف إن كانت السيادة على «الدولة» في ذلك المنعطف للعسكر الترك المماليك، فساء في حضارتنا لعدة قرون ما تواجهه الحركات الإسلامية الحديثة والمعاصرة من تحدي: «التخلف الموروث». ثم حدث أن عاجلت الغزوة الاستعمارية الغربية الحديثة بواكير يقظة الاجتهاد الإسلامي التي نهضت لتخليص الأزمة ^(٢). هذا التخلف من الموروث.. عاجلت الغزوة الاستعمارية بواكير يقظة الاجتهاد الإسلامي فأجهضتها، ثم أضافت إلى شوائب التخلف الموروث «شوائب «التغريب»، التي رعتها سلطات الاحتلال ومؤسساته الفكرية والتعليمية والإعلامية. فأضيف إلى تحدي التخلف الموروث تحدي الاستلاب الحضاري الذي يمسح وينسخ ويشوه الهوية الإسلامية لفكر الأمة ولواقعها.

١. عمارة، محمد. الحركات الإسلامية رؤية نقدية، المرجع السابق، ص ١١.

٢. انظر: عمارة، محمد. في التنوير الإسلامي، المرجع السابق، ص ١٢.

فكانت «البلوى» التي استنفرت حداثتها، عندما أوشكت على العموم، ضمير الأمة وعقلها، ووجدانها، فردت عليها ذلك الرد الإيجابي الذي تمثل في الحركات الإسلامية التي عرفتها ديار الإسلام منذ جمال الدين الأفغاني و(العروة الوثقى) وحتى الحركات التي نعينها بالحديث في هذه الصفحات. إذن .. فالحركات الإسلامية المعاصرة لا تنفرد وحدها بالعيش والحركة في واقع ديار الإسلام. وإنما معها «آخر» يزاحمها في الفكر والواقع الذي تعيش فيه. وهنا نلمح خلافاً في علاقة هذه الحركات الإسلامية بهذا «الآخر»^(١). وعلى سبيل المثال: فإن هيمنة النموذج الحضاري الغربي على مؤسسات الفكر والتعليم والإعلام في بلاد الإسلام قد صنع من أبناء هذه الأمة تياراً متغرباً، يتبنى مذاهب الغرب الوضعية، ويدعو إلى علمانيته.. وهذا «الآخر - العلماني ليس كل من فيه عميلاً يسعى إلى إلحاق ديار الإسلام بالمركز الغربي ويعادي نهضة الأمة وقوتها واستقلالها .. فإلى جانب قلة . من العملاء وإلى جانب قلة من العلمانيين الثوريين، الذين تطمح علمانيتهم إلى نقض الدين والتدين، وليس فقط إلى فصل الدين عن الدولة- والخلاف مع هؤلاء هو خلاف في الأصول وليس خلافاً في الفروع، إلى جانب هذه القلة من «العملاء ومن الزنادقة وأعداء الدين والتدين هناك - ي صفوف الآخر العلماني- كثرة سلكت سبيل التغرب والعلمانية لأسباب كثيرة، منها طبيعة النشأة والتكوين الفكري. ومنها رجحان كفة الخيار الغربي عندما قارنوه بصورة «الخيار الإسلامي» على النحو الذي كان سائداً في عصر التراجع والجمود - ولقد حسبوه هو الإسلام، وظنوا أنه الخيار الإسلامي الوحيد ومنها ذلك الاجتهاد الخاطي الذي اعتقد أصحابه أن استعارة النموذج الغربي، هو السلاح لمواجهة الغرب، ولاستخلاص الوطن والأمة من استعمارهم. وهذا القطاع من العلمانيين المسلمين هو الذي نقول إن علاقة الحركات الإسلامية المعاصرة به يسودها خلل كبير وأكد^(٢) إن الأغلبية الساحقة من الحركات الإسلامية قد أسقطت هذا القطاع من العلمانيين من حساب الإمكانيات التي عليها أن تتعامل معها وأن تجتذبها إلى صفوفها أو على الأقل الانتقال بهم من صفوف الأعداء» إلى

١. عمارة، محمد. الحركات الإسلامية رؤية نقدية، المرجع السابق، ص ١٣.

٢. عمارة، محمد. في التنوير الإسلامي، المرجع السابق، ص ١٤.

صفوف الأصدقاء - المتفهمين أو المحايدين! لقد وقفت أغلب الحركات الإسلامية من هؤلاء العلمانيين القابضين على أغلب وسائل التأثير والتوجيه في الواقع الإسلامي -موقف الجهل بدوافعهم إلى العلمانية، والتجاهل للإضافات الهامة التي يمكن أن يضيفوها إلى المشروع الإسلامي أن هم فهموا حقيقته، فكان الانصراف عن الجهد المطلوب لاكتشاف نقاط الاتفاق، وتنميتها محاصرة وتقليصا لنقاط الخلاف مع هذا الآخر-العلماني»^(١). كذلك يسود هذا الخلل في علاقة الذات -الفكرية لدى الحركات الإسلامية ب الذات الفكرية للآخرين. فعلاقة الأغلبية الساحقة من الحركات الإسلامية بنظريات الآخرين ومناهجهم في البحث والتفكير، يسودها خلل الجهل أو التجاهل، أو هما معا!. الأمر الذي يقف بهذه الحركات عند إطار وحدود النقيض» و رد الفعل للحركات العلمانية ونظرياتها ومناهجها على نحو يتسم بالعموم والإطلاق، تجهل ما يعلمون، وتعلم ما يجهلون، الأمر الذي يكرس ويؤيد هذا الانقسام الذي فرض على عقل الأمة وطاقاتها، والذي يجعل بأسها شديدا بين أبنائها، كما يهدد طاقاتها بالتبدد عندما يقف الفريقان عند وضع شد الحبل هذا، دون غالب أو مغلوب؟!^(٢).

والأمر الذي لا شك فيه هو وجوب خروج الحركات الإسلامية من وضع رد الفعل للحركات العلمانية إلى وضع «البديل»، الذي لا يقنع بالجهل والتجاهل لما لدى الآخر، وإنما يسعى جاهدا لامتلاك «الوعي» بما لدى الآخر، سواء منه ما يدخل في إطار النافع» الذي يستلهم، أو «الضار» الذي يُعين الإدراك له علي فعالية التحصن من الوقوع في حباله، وعلى جدوى النقد له، ولننقذ من آثاره الآخرين. كذلك تشهد علاقة الحركات الإسلامية بالآخر، الخارج عن عضوية تنظيماتها خلاا متفاوت الدرجات لدى هذه الحركات. فمنها المغالي الذي يرى في جماعته كل جماعة المسلمين ومنها المعتدل الذي يرى جماعته جماعة من المسلمين، لكنه ينظر بالتجاهل أو الإهمال إلى كل من هو خارج دائرة التنظيم.

١. عمارة، محمد. الحركات الإسلامية رؤية نقدية، المرجع السابق، ص ١٥.

٢. عمارة، محمد، ... وآخرون، (مظاهر الخلل في الحركات الإسلامية المعاصرة)، الحركة الإسلامية رؤية مستقبلية أوراق في النقد الذاتي، المرجع السابق، ص ٣٣٦.

المبحث الثالث: الخلل في العلاقة بين المحلية القطرية والعالمية الإسلامية

إن الكثير من التصورات الفكر لدى الكثير من الحركات الإسلامية المعاصرة قد خلطت بين وحدة الإسلام الدين، كوضع إلهي في العقيدة والشريعة، لم ولن يعرف التعددية في الأصول والقواعد والمبادئ والأركان. خلطت بين هذا الإسلام الواحد ، وبين تصورات الفكر الإسلامي، التي من الممكن، بل ومن الواجب الطبيعي أن تعدد المكونات والمنطلقات التي تسهم -مع الإسلام الواحد- في صياغتها وتحديد معالمها.

فإلى جانب وحدة الإسلام، التي تثمر وحدة الفكر الإسلامي في العقيدة وفي الشريعة هناك الفكر الإسلامي الذي يدخل الواقع الإسلامي عاملاً من عوامل إفرازه وتحديد معالمه، وهو الفكر الذي تتميز تصورات به بتميز الواقع في ديار الإسلام، عبر الزمان والمكان. لكن الخلل الذي أصاب ويصيب تصورات كثير من الحركات الإسلامية للعلاقة بين هذين المستويين من مستويات النسق الفكري الإسلامي، قد جعلت وتجعل الكثير من هذه الحركات في الفكر» تنحو نحو «تجريد نظري، يتصور -تبعاً لوحدة دين الإسلام- عالم الإسلام وواقع دياره نسقاً واحداً منسقاً لا يعرف الفوارق في مستويات التطور ولا اختلاف في الأعراف والعادات والمذاهب والتصورات. أما في الممارسة والتطبيق فإن هذه الحركات تستغرق - إلى حد الغرق - في «المحلية»، التي تجعلها منكفئة على واقعها المحلي دون سواه، حتى لتقف بأغلب اهتماماتها عند خصوصيات الإقليم الضيق الذي تعيش فيه، إلى عالمنا المتشابك صورة القبائل التي لا ترى أبعد من عالم مضارب الخيام التي تعيش فيها؟! (١)

وإذا كانت الحركات الإسلامية -وهي كذلك- «طلائع أمة»، وليست طلائع طبقة، وإذا كانت هذه الأمة تعيش في وطن يمتد من «غانه» إلى «فرغانه»، مشتملاً على تمايزات في الواقع والمواريث ومستويات التطور والمصالح والاهتمامات والطموحات والمشكلات والأعراف والعادات وطرائق العيش وأسبابه، بل والمناخات.. إلخ. فمن الطبيعي أن تكون هناك أهمية لعلاقة تبرا من الخلل، وتقيم بين ما هو (واحد) وما هو متعدد في النسق الفكري

١. عمارة، محمد. في التنوير الإسلامي، المرجع السابق، ص ١٧.

للإسلام والمسلمين. وبذلك تتزامن «المحلية» والعالمية - المليية - الإسلامية، دونما خلل أو إهمال لأي منهما لحساب الآخر أو على حسابه، كما هو حادث الآن عند الكثير من هذه الحركات (١).

المبحث الرابع: الخلل في علاقة التاريخ بالعصر وعلاقة الموروث بالإبداع

كثير من الحركات الإسلامية المعاصرة تسيطر على نظرتها إلى التطور التاريخي فكرة التراجع التاريخي، ونظرة التدني والهبوط الخط بيان التطور والتقدم عبر هذا التاريخ. وبعض الباحثين يقف في تعليل هذه النظرة الخاطئة إلى خط سير التقدم التاريخ لدى هذه الحركات عند التفسير الذي تقدمه هذه الحركات للحديث النبوي الشريف الذي قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم: "خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ" (٢). ورغم صدق هذا التعليل، إلا أن هذا السبب ليس الوحيد في تكوين نظرة هذه الحركات التي تؤمن بتراجع التقدم والخيرية عبر التاريخ وبمرور قرونه. فمع خطأ هذه الحركات في تفسير معنى هذا الحديث الشريف، تقف وتتزامن أسباب أخرى منها المقارنة التي تجريها هذه الحركات بين حالة وبين حالها في عصر صدر الإسلام، وهي مقارنة توهم بصدق هذه الأمة والنظرة التي تؤمن بتراجع الخيرية والتقدم بمرور الزمن وتقدم التاريخ. وفي اعتقادي أن مراجعة هذه النظرة، لكشف الأخطاء القائمة في أسبابها ومنطقاتها، هو الكفيل بتصحيح الخلل السائد في فكر الكثير من الحركات الإسلامية، التي تعيش في الماضي دون الحاضر، أو أكثر منه، والتي تستفتي «الأموات» في كل شئون الأحياء مهمة التمييز في القضايا الفكرية بين «الثابت وبين المتغيرات، والتي تقدر (الموروث على النحو الذي يقلل إلى حد الإزدراء، من شأن الإبداع) بل والذي يخلط بين البدعة في الدين، وبين الإبداع في الحضارة، فيرفضهما معا ! إن هذه المراجعة ضرورية لتصحيح هذا الخلل الملحوظ والسائد لدى قطاعات كبيرة في كثير من هذه

١. عمارة، محمد. الحركات الإسلامية رؤية نقدية، المرجع السابق، ص ١٨.

٢. البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه، أجزاء، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الطبعة الأولى، بيروت، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ، رواه عن عمران بن حصين رضي الله عنهما، كتاب: الشهادات، باب: لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد، رقم الحديث (٢٥٠٨) ج ٢، ص ٩٣٨.

الحركات. فبالنسبة لتدني المستوى الحضاري للأمة الإسلامية اليوم عن نظيرة في عصر ازدهارها الحضاري وهو أمر غير منكور - فإنه تدني قد نبع وارتبط بتخلف شروط النهضة والازدهار الحضاري، أي أنه عارض يزول بزوال أسباب التخلف، وليس قدرًا تاريخيًا ولا حتمية) من حتميات توالي القرون. أما عن الحديث النبوي الذي يقطع بأن خير أجيال الأمة هو جيل الرسول، عليه الصلاة والسلام.. فهذه الحقيقة التي تحدث عنها هذا الحديث، تحتاج إلى عرض وإلى تفسير، قد يفضيان بنا إلى فهم آخر غير الذي فهمته منه هذه الحركات المؤمنة بتراجع الخيرية والتقدم بمرور التاريخ. وفي اعتقادي أن هذا الحديث النبوي يستأثر بالخيرية «المطلقة» لجيل الرسول، عليه الصلاة والسلام. وإنما هو يتحدث عن خيرية التأسيس لقواعد النموذج الإسلامي.. وهي خيرية للثوابت والقواعد، لا تنفي خيرية الفروع والأبنية التي يقيمها الخلف على هذه القواعد والأسس، مع بقاء خيرية الأسس متميزة، باعتبارها هي التي تمنح الفروع والأبنية التي يقيمها الخلف على هذه القواعد والأسس، مع بقاء خيرية الأسس متميزة، باعتبارها هي التي تمنح الفروع والمستجدات الروح والصبغة التي ميزت الأسس، فكأنما خيرية الجديد - وهي غير منفية - مستمدة من خيرية الأسس. ويشهد لهذا التفسير الذي تقدمه لهذا الحديث النبوي، ما نراه من شهادات أخرى تزييه وتدعمه، عندما تقول إن النظرة التقدمية» لخط سير التقدم عبر التاريخ - وليست النظرة التراجعية» - هي المعبرة عن حقيقة موقف الإسلام في هذا المقام^(١).

فنظرة الإسلام إلى خط سير التطور الإنساني، منذ آدم إلى محمد - وعبر رسالات الرسل ونبوات الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام، تؤكد النظرة المتقدمة والمتصاعدة لخط سير الخيرية والتقدم عبر التاريخ، فالإنسانية قد بلغت برسالة محمد سن الرشد، بعد أن كانت خرافا ضالة في فترات سبقت ذلك التاريخ وموقف الإسلام المتميز من أدلة «العقل» و«الكون» شاهد على هذا الارتقاء الإنساني بمرور التاريخ، بل إن ختم الرسالات السماوية برسالة المصطفى والاعتماد في التجديد الديني وتطوير القانون الإسلامي على الاجتهاد

١. عمارة، محمد. في التنوير الإسلامي، المرجع السابق، ص ٢٢.

الإنساني هو أصدق الأدلة على أن هذه النظرة هي النظرة الإسلامية الحقة في هذا الموضوع. ثم إن الأبنية الحضارية التي تزدهر به أمة الإسلام، وإن قامت على الأسس التي شهدها عصر البعثة إلا أنها قد جاء تالية لجيل الرسول علي الصلاة والسلام .. فعلوم الدين والدنيا، التي مثلت جماع إبداع الإنسان المسلم، متأثرا بالوحي ومسترشداً بمنهج النبوة، قد تبلورت جميعها بعد عصر صدر الإسلام. وكذلك الحال في الفتوحات الإسلامية التي نهض بها المسلمون. ومع تحقيق وتجسيد عالمية الإسلام ودعوته بنشر الإسلام في مشارف الأرض ومغاربها. كل ذلك خير وخيرية ارتباطا بتقدم وبتوالي قرون التاريخ، وأيضا أليس رسول الله صلى الله عليه وسلم هو القائل -أيضا- في معرض الحديث عن تلقي فكرة النبوة: "رب مُبْلَغ أَوْعَى من سامع" ^(١) وهو حديث لا يحصر الخيرية في الصحابة والشهود.

وأخيرا، فمن الحركات الإسلامية ينكر أن حال الصحوة الإسلامية اليوم خير منه في عقد الخمسينيات من هذا القرن العشرين؟.. وأن وضعها منذ ثلاثينيات هذا القرن هو خير منه يوم عموم بلوى الاحتواء الاستعماري وسيادة العلمانية والتغريب حتى لدى الأحزاب التي تقدمت لمقاومة الاستعمار في الحقبة التي شهدت زوال رمز الخلافة سنة ١٩٢٤م؟! إذن، فالخيرية التي تحدث عنها الحديث النبوي هي خيرية الجيل المؤسس، خيرية القواعد والأسس والسوابق الدستورية، وفضلها لا ينكر حتى على الجديد الذي يرفعه الخلف فوق ما صنع الجيل المؤسس من قواعد وأركان. كما أن خيرية الجديد بل، وتعاضلها لا تناقض بينها وبين خيرية الأساس والمؤسسين، وإلا فمن الذي ينكر علو مقام الخير فيهما أنجز عمر بن عبد العزيز من العدل الاجتماعي -وهو قد أنجزه بعد أن ساد الظلم والجور وعمت الأثرة- علو مقام الخير في هذا الإنجاز على نظيره في عهد الراشد الثاني العادل عمر بن الخطاب والذي كان عدله إستمرار لعدل النبي والصديق، وفي مناخ مواتي، يعين عليه الصحابة الأبرار؟! إن التعارض غير قائم. وكل خير يقدر بقدره، بصرف النظر عن الظرف التاريخي الذي أنجز فيه.

١. المرجع السابق نفسه، رواه بلفظ: "فَإِنَّ الشَّاهِدَ عَسَى أَنْ يَبْلُغَ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ مِنْهُ" عن عبد الرحمن بن أبي بكرة، عن أبيه رضي الله عنهما، كتاب: العلم، باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم: (رب مبلغ أوعى من سامع)، رقم الحديث (٦٧) ج ١، ص ٣٧.

ومن ثم فإن جهداً فكرياً يجب أن يبذل من قبل الكثير من الحركات الإسلامية المعاصرة لتصحيح هذا الخلل السائد في نظرتها إلى علاقة خط بيان التقدم بمرور الزمن وتوالي قرون التاريخ، وهو الخلل الذي جعلها ويجعلها تعيش في الماضي، مديرة ظهرها، في أحيان كثيرة، للعصر، وتحكم الأموات في الأحياء، وتميل بالكفة لحساب الموروث على حساب الإبداع.

المبحث الخامس: الخلل في علاقة الحركة بالفكر

الحركات الإسلامية المعاصرة هي في جملتها، إنها تمثل فصائل الصورة المعاصرة الحركة وتيار ودعوة الإحياء واليقظة والتجديد، التي عرفها الشرق الإسلامي منذ دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب^(١) والتي خطت خطوات نوعية في الوعي والتأثير والعموم والعقلانية) منذ تيار الجامعة الإسلامية الذي قاده الرائد جمال الدين الأفغاني^(٢) ولذلك ، فلقد تراوحت وتفاوتت مواقف هذه الحركات من الفكر المجدد والعقلانية المجتهدة، فمال بعضها إلى نصوصية الوهابية، وزادت لدى بعضها جرعة العقلانية على نحو مما كان عليه الأمر في تيار جمال الدين ولقد لعبت البيئة، حضراً أو بادية والموروث المذهبي، طبيعة التحديات بعملها في تحديد موقع الحركة من النصوصية ومن العقلانية إلى حد كبير^(٣). لكننا نلاحظ -ضمن مظاهر الخلل الذي تعاني منه أغلب هذه الحركات المعاصرة- تزايد جمود النصوصيين، وتدني جرعة العقلانية لدى العقلانيين، وخاصة في العقود الأخيرة من هذا القرن العشرين. وفي اعتقادي أن عوامل عديدة تقف أمام ميل ظاهر الفكر-العقلاني إلى الذبول في هذه الحركات بوجه عام، فالعقلانية قد تألقت في حركة الإحياء الإسلامي يوم أن كانت حركة

١. محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (١١١٥ - ١٢٠٦ هـ = ١٧٠٣ - ١٧٩٢ م): زعيم النهضة الدينية الإصلاحية الحديثة في جزيرة العرب. وله مصنفات أكثرها رسائل مطبوعة، منها (كتاب التوحيد) ورسالة (كشف الشبهات) و (تفسير الفاتحة) و (أصول الإيمان) و. انظر: الأعلام للزركلي ج٦/ص ٢٥٧.

٢. محمد بن صفدر الحسيني، جمال الدين الأفغاني (١٨٣٨ - ١٨٩٧ م): فيلسوف الإسلام في عصره، وأحد الرجال الأفاضل الذين قامت على سواعدهم نهضة الشرق الحاضرة. ولد في أسعد آباد بأفغانستان ونشأ بكابل. وتلقى العلوم العقلية والنقلية، سافر إلى كثير من البلاد، كان عارفاً بكثير من اللغات، واسع الاطلاع على العلوم القديمة والحديثة، كريم الأخلاق كبير العقل، له من الكتب: تاريخ الأفغان، ورسالة الرد على الدهريين. انظر: الأعلام للزركلي ج٦/ص ١٦٨.

٣. عمارة، محمد. الحركات الإسلامية رؤية نقدية، المرجع السابق، ص ٢٤.

صفوة ونخبة على عهد جمال الدين الأفغاني. فلما استدعت ضرورات مواجهة التغريب والعلمانية والاستلاب الحضاري استنفار الجماهير والعامّة لتتخرط في موكب الداعين إلى شمول الإسلام للدولة والواقع وسائر مناحي الحياة، وذلك منذ مرحلة الشيخ حسن البنا^(١) وجماعة الإخوان المسلمين، هبطت هذه العقلانية في هذه الحركة للتناسب مع مستوى العامة والجماهير كذلك، كان في اشتداد خطر التغريب والاستلاب الحضاري، وفي تبني الأحزاب القومية للنموذج الحضاري الغربي تعاضماً للخطر على الهوية الإسلامية استدعى من هذه الحركات الإسلامية أن تقدم سبل وسائل الجمع والتأليف، على أسباب الجدل والافتراق فكان الحلول الوسط، والصياغات الفضفاضة، التي يتجنب أصحابها، عادة التفكير العقلاني الذي يثير، بجرأته الكثير من المشكلات كما كان لتزايد التفسخ الاجتماعي والأخلاقي والتشوه المعرفي، والتي حدثت بفعل هيمنة النموذج الغربي على قطاعات واسعة من مصادر ومراكز التوجيه الفكري والثقافي والتعليمي والإعلامي، كان لتزايد هذا التفسخ دور الفعل الذي جعل بعض هذه الحركات الإسلامية تنفر من كل ما له شبه أو صلة بالحضارة الغربية - والتي تعلّى من مقام العقل إلى حد المغالاة- فلم تميز هذه الحركات بين العقلانية الإسلامية، التي وعت «النقل» بالعقل، كما حكمت العقل بالنقل في المواطن والعوالم التي لا تستقل بإدراكها العقول، لم تميز بين هذه العقلانية الإسلامية وبين عقلانية الغرب، المتحررة من ضوابط النقل الديني، منذ جاهليتها اليونانية وحتى نهضتها الأوروبية في العصر الحديث. فكان أن نفرت، إلى حد كبير، من العقل والعقلانية بإطلاق وتعميم^(٢).

ولقد انعكس هذا الموقف من العقل والعقلانية والذي تراوح بين الإهمال أو النفور أو العداء أو التحجيم انعكس في صور كثيرة، يهمنا أن نشير هنا إلى انعكاسها في صورة تقلص مساحة الفكر، إذا ما قيس بالحركة والنشاط العملي وصغر حجم الجهد المبذول في

١. الشيخ حسن بن أحمد بن عبد الرحمن البنا (١٣٢٤ - ١٣٦٨ هـ = ١٩٠٦ - ١٩٤٩ م): مؤسس جمعية (الإخوان المسلمين) بمصر، وصاحب دعوتهم، ومنظم جماعتهم. وكان خطيباً فياضاً، ينحو منحى الوعظ والإرشاد، في خطبه، وتدور آيات القرآن الكريم على لسانه، منظّماً، يعمل في هدوء وبيني في اطمئنان. له مذكرات نشرت بعد وفاته باسم (مذكرات الدعوة والداعية). انظر: الأعلام للزركلي ج ٢/ص ١٨٤.

٢. عمارة، محمد. في التنوير الإسلامي، المرجع السابق، ص ٢٦.

الاجتهاد والتجديد إذا مقيس بحجم الجهد المبذول في المواعظ ذات الأساليب الشعرية والخطابية. وتوارى مؤسسات الفكر وأعلامه، من كثير من هذه الحركات، لحساب الدعاة والحركتين. بل وضيق الكثير من الأوعية التنظيمية للكثير من هذه الحركات بجرأة الفكر وريادات المفكرين المجددين، حتى لقد رأينا، في العقود الأخيرة، أن كوكبة من المفكرية المجددين المجتهدين لم يستطيعوا أن تثبت أقدامهم في هذا الميدان فيثبتوا وجودهم فيه إلا بعد أن تخلصوا من قيود رقابة الأوعية التنظيمية لهذه الحركات؟! ولقد زاد من وضوح هذا الخلل، وضاعف من تأثيراته عجز الكثير من هذه الحركات، حتى الآن، عن إقامة العلاقات والخيوط التي تصنع وتقنن للتمايز بين مؤسسات الفكر وأعلامه وبين تنظيمات الحركة وجهودها، على النحو الذي يتيح لأهل الفكر المناخ المهيء لجرأة التجديد والإبداع، كما يتيح لأهل الحركة إمكانات الاستفادة الكاملة من ثمرات هذا التجديد والإبداع. نعم لقد وازنت بعض الحركات الإسلامية بين الحركة وبين الفكر فبرثت من هذا الخلل. لكنني أخشى أن يكون سبب نجاحها هذا هو تصادف أن زمام قيادتها قد كان بيد مفكر مبدع ومجدد، أكثر من أن يكون السبب هو الاهتمام إلى القواعد المنظمة للعلاقة الصحية بين الحركة وأهلها وبين الفكر وصناعه!. لذلك أراه خلا قائما يستدعي بذل الجهد لعلاج ولاقتلاع الآثار القتالة التي يفرخها بقاؤه في هذه الحركات^(١).

المبحث السادس: الخلل في علاقة التربية الروحية بالتربية السياسية

لأن هذه الحركات الإسلامية المعاصرة تؤمن بشمولية الإسلام لكل مناحي حياة الإنسان في البدء والمسيرة والمصير. ولأنها تدرك أن النهضة التي تتغاها إنها تحتاج إلى إعادة صياغة هذا الإنسان صياغة إسلامية تنقذه من التشوه المعرفي والسلوكي اللذين أصاباه تحت هيمنة التغريب. كانت تلك السنة الحسنة التي استنتها هذه الحركات عندما اهتمت بالتربية الروحية لهذا الإنسان. فهذه التربية الروحية تصاغ الكتاب المعدة الإعداد المناسب لما أمام أصحابها من معارك ومشكلات وتحديات.

١. عمارة، محمد، ... وآخرون، (مظاهر الخلل في الحركات الإسلامية المعاصرة)، الحركة الإسلامية رؤية مستقبلية أوراق في النقد الذاتي، المرجع السابق، ص ٣٤٣.

يقول الدكتور: "الكنني أعتقد أن قصورًا وتقصيرًا قد حدثا في «التربية السياسية» لأغلب كوادري هذه الحركات، إما بدعوى تأجيل ذلك لحين الحاجة إليه يوم أن تكون الدولة والسلطة قاب قوسين أو أدنى من قبضة هذه الحركات وإما بسبب فقر هذه الحركات في الفكر وقلة بضاعتها من صناعته وصناعة. وإما لانغلاق هذه الحركات عن الفكر السياسي ونظرياته وخبراته لدى العلمانية والعلمانيين وهو مزدهر وغني في هذا الميدان وإما لهذه الأسباب مجتمعة مع غيرها مما قد يكون أقل أهمية منها"^(١). لكن ثمرة هذا الخلل في علاقة التربية الروحية بالتربية السياسية قد ظهرت للعيان، فقعدت بكثير من كوادري هذه الحركات عن بلوغ مؤهلات وإمكانات البراعة في السياسة وميادينها. وإذا كان طراز الساسة والسياسة المجردين من قيم الدين وضوابطه الأخلاقية، هو مما لا يرضاه الإسلام، ولا يصح أن يوجد في الحركات الإسلامية. فإن صورة التدين الذي يفقد صاحبه الكياسة والمهارة والحدق والدهاء، هي الصورة غريبة عن التدين المطلوب لكوادري الحركات الإسلامية. فالتدين الذي لا تصاحبه تربية سياسة وحقق النظريات ومعرفة تياراتها ودروبها وفنونها، قد يثمر غفلة، إن ناسبت بعض طيبي القلب فإنها لا تناسب الذين يتحملون مسئوليات مصائر الأمم في هذه الميادين وقديما حذت كل تيارات الفكر السنية إمامة وخلافة المفضول دينيا إذا كان أفضل في ححق شئون الدنيا وأبرع في الإمكانيات التي تعينه على أداء رسالة الخلافة والإمامة، وأقدر على مواجهة ما يفرضه عصره على أمتة من تحديات. إن رهبان الليل في الحركات الإسلامية، لا بد وأن يكونوا _بحق_ فرسان النهار، وأن يكونوا الساسة المهرة أيضًا!^(٢). وإذا كان طراز السياسة الميكيفيلية - كما عرفته وارتضته الحضارة الغربية - طراز السياسة هي فن الممكن من الواقع، بصرف النظر عن الصلاح الديني والأخلاقيات الدينية - إذا كان هذا الطراز مرفوضًا إسلاميا. فإن تعريف الإمام ابن قيم الجوزية (٦٩١ - ٧٥١ هـ - ١٢٩٢ - ١٣٥٠ م) للسياسة الإسلامية باعتبارها الأعمال التي يكون الناس معها أقرب إلى الصلاح وأبعد عن

١. عمارة، محمد. الحركات الإسلامية رؤية نقدية، الطبعة الأولى، القاهرة، دار نهضة مصر، ١٩٩٨ م، ص ٧٤.

٢. المرجع السابق نفسه، ص ٣٤٥.

الفساد^(١) هو تعريف يتطلب في الساسة أن يجمعوا إلى فقه الواقع، والدربة على فنون القيادة، والخبرة بالتعامل مع التطورات والفرقاء الآخرين، أن يجمعوا إلى ذلك - بالتربية الروحية - أخلاقيات الإسلام.

والذين يدرسون حركة الإحياء الإسلامي، كما تمثلت في مدرسة الجامعة الإسلامية» وجمعية العروة الوثقى، يرون كيف تخلق أعلامها بخلق الإسلام، حتى لقد استعانوا بلون من أساليب الصوفية وقدر من مجاهداتهم في تهذيب النفوس .. والذي يتأملون الفكر السياسي في مقالات جريدة «العروة الوثقى»، التي عبرت عن فكر هذا التيار يرون ذلك المستوى الراقي والعميق والحصيف في فهم السياسة والدراية بمسالكها ومنعرجاتها ودروبها، محلية كانت تلك السياسة أم دولية، في تلك الحقبة التي تعقدت فيها شئون تلك السياسة بتزايد مطامع المد الاستعماري الغربي وتعدد أطرافه، وتنامي التناقضات والمصادمات والمؤامرات بين هذه الأطراف. إنه نموذج يستحق الدراسة من الحركات الإسلامية المعاصرة، لترى وتحدد السبل الكافلة لصناعة رجل السياسة المسلم، ذلك الذي لا يكون التدين لديه مساو أو مفضيا الطبية الغفلة .. ولا تكون السياسة لديه ميكيفيلية مجردة من أخلاقيات الإسلام .. وحتى نتجاوز ذلك الانقسام البائس والشاذ الذي أشار إليه أبو العلاء المعري عندما قال: الناس صنفان: ذو عقل بلا دين، وآخر: دين لا عقل له!^(٢).

المبحث السابع: الخلل في علاقة الطاعة بالحرية

إن الكثير من الحركات الإسلامية المعاصرة قد بالغت في ترويض أعضائها على طاعة القيادات، أكثر مما دربتهم على محاسبة ونقد وتقويم هذه القيادات. وليس يكفي أن يقال إنها طاعة في غير معصية، ذلك أن الخلل في علاقة «الطاعة» بـ «الحرية»، على النحو الذي لا ينمي في الأعضاء ملكات النقد والفحص وشجاعة الاعتراض عند توفر دواعيه. إن

١. ابن القيم، محمد بن أبي بكر الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، ٤ أجزاء، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩١م، ج ٤، ص ٢٨٣.

٢. الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي. معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ٧ أجزاء، الطبعة الأولى، المحقق: إحسان عباس، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣م، ج ١، ص ٣٣٧.

هذا النمط في تربية أعضاء هذه الحركات هو بالقطع، معصية من معاصي التربية في هذه الحركات، لأنها تثمر - ولقد أثمرت - وحدانية الرأي، رأي المرشد والأمير والإمام، بل وأثمرت العديد من ألوان التفكك والقصور والتشردم التي أصابت العديد من هذه الحركات عندما غاب المرشد فغاب عنها الرشد، لافتقارها إلى قيادات مدربة وحكيمة وحصيفة في صفوفها التي تقف وراء المرشد والأمير والإمام - الصفوف الثانية والمتوسطة والقاعدية. إن هذا الخلل الذي أصاب ويصيب الكثير من الحركات الإسلامية المعاصرة هو آفة شرعية قديمة جعلت العامة تعلق كل الآمال وتضع كل الأحمال على عاتق القطب والوتد، الذي يصبح هو المفكر الأوحده والزعيم الملهم والقائد الوحيد^(١) و ليس غير تراث الإسلام في الشورى، وتراث المدرسة النبوية في تربية الرجال وصناعة القادة منبعاً إسلامياً تستلهمه الحركات الإسلامية لعلاج هذا الخلل، وللبراء من هذا المرض الفتاك. لقد كان المعصوم صلوات الله وسلامه عليه أكثر الناس مشاورة لأصحابه وأول الناس التزاماً بالشورى، بل إنه هو القائل لأبي بكر وعمر: "لَوْ اجْتَمَعْتُمَا فِي مَشُورَةٍ مَا خَالَفْتُكُمَا"^(٢) وهو الذي سن لأئمة سنة الشورى في كل شئون الدولة وولايتها، حتى وإن كانت قيادتها بيد المعصوم، وذلك عندما قال: «لَوْ كُنْتُ مُؤَمَّرًا أَحَدًا دُونَ مَشُورَةِ الْمُؤْمِنِينَ، لَأَمَرْتُ ابْنَ أُمِّ عَبْدِ اللَّهِ (يعني عبد الله بن مسعود)»^(٣). إن تراث الإسلام وتراث مدرسة النبوة في صناعة الرجال وتدريب القادة، معين لا ينضب، وهو الكافل بمعالجة هذا الخلل القاتل والمتفشي في الحركات الإسلامية المعاصرة^(٤).

١. عمارة، محمد. الحركات الإسلامية رؤية نقدية، المرجع السابق، ص ٣١.

٢. الشيباني، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، المرجع السابق، مسند الشاميين، ج ٢٩، ص ٥١٨، رقم الحديث ١٧٩٩٥، وقال الشيخ شعيب أرنؤوط وآخرون: إسناده ضعيف.

٣. المرجع السابق نفسه، مسند الخلفاء الراشدين، ج ٢، ص ١٠، رقم الحديث ٥٦٦، وقال الشيخ شعيب أرنؤوط وآخرون: حسن لغيره.

٤. عمارة، محمد، ... وآخرون، (مظاهر الخلل في الحركات الإسلامية المعاصرة)، الحركة الإسلامية رؤية مستقبلية أوراق في النقد الذاتي، المرجع السابق، ص ٣٤٨.

أما أن تظل هذه الحركات تروض أعضائها على الطاعة دون الحرية، بدعوى أن بيعة هؤلاء الأعضاء للمرشد والأمير والإمام إنما تقتضي ذلك، انطلاقاً من حديث الرسول، الذي يقول فيه: "من أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني"^(١). أو من حديثه الذي يقول فيه: من رأى من أميره شيئاً يكرهه، فليصبر، فإنه من فارق الجماعة شبراً، فمات، فميتته جاهلية"^(٢). أما أن تظل هذه الحركات تقتل في أعضائها ملكات الحرية والنقد والإبداع والقيادة، استناداً إلى مثل هذه الأحاديث، فإنه هو الآخر، لون من الخلل في تنزيل النصوص في غير منازلها. فالاستبدال بمثل هذه الأحاديث على طاعة أمراء الحركات الإسلامية أو أمراء الدول الإسلامية هو قسر للنصوص على أن تشهد فيما لم تنشأ للشهادة عليه وفيه، فأمراء الرسول، الذين طلب منهم هذه الطاعة، كانوا هم أمراء الجند وقادة الحرب والقتال، وغير متصوّر عندما يحتدم القتال ويحمي وطيسه أن تخضع أوامر أمراء القتال للشورى، والأخذ بالرد وعد أصوات المطيعين والمعترضين؟! هؤلاء هم الأمراء الذين ألحت الأحاديث على طاعتهم حتى وإن رأينا منهم كجنود ما نكره. وتلك هي مواطن هذه الطاعة التي وجبت لهؤلاء الأمراء. أما أمراء قادة الدول والتنظيمات، فإن سنة الإسلام وسنة نبيه في الشورى وتربية القيادات هي المنبع والأسوة لمن شاء الورود والاقتداء. إن هذا الخلل الذي يغلب الطاعة على الحرية، قد غدا، في الحركات الإسلامية المعاصرة، السبل إلى فقرها الشديد في القيادات المشاركة لأمرائها ومرشديها، والمؤهلة لملء الفراغ الناشئ عن غيبة هؤلاء الأمراء والمرشدين.. كما غدا السبيل الذي يدفع رافضيه والمتمردين عليه إلى الانشقاق على هذه الحركات. الأمر الذي أشاع ظاهرة الانقسام والتشردم في كثير من هذه الحركات^(٣).

١. مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول

الله صلى الله عليه وسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي ٥ أجزاء، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٥٥م، كتاب:

الإمامة، باب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية، رقم الحديث (١٨٣٥) ج ٣ ص ١٤٦٥.

٢. البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه، المرجع السابق، رواه ابن عباس رضي الله عنهما، كتاب: الفتن، باب: لا يشهد على شهادة جور إذا شهد، رقم الحديث (٦٦٤٦) ج ٦، ص ٢٥٨٨.

٣. عمارة، محمد. في التنوير الإسلامي، المرجع السابق، ص ٣٣

الملخص: تلك بعض من أهم مظاهر الخلل في الحركات الإسلامية المعاصرة، أشار الشيخ إلى معالمها ونبه على آثارها وفاء - كما أسلفت - لفريضة النصح والتناصح التي فرضها الله سبحانه وتعالى على المؤمنين، فريضة «كفائية - اجتماعية، تبلغ في الأهمية والتأكيد المستوى الذي يعلو على فروض العين «العين الفردية». ذلك أن تخلف فرض العين إنما يقع إثمه على ذات الفرد دون سواه، أما تخلف الفرض -الكفائي- الاجتماعي، فإن إثمه واقع على الأمة جمعاء وهذه الفروض الكفائية إنها تتعين على أهل الاختصاص حتى تؤدي وتؤدي ما لها من ثمرات. فإذا أسهمت هذه الصفحات في الوفاء بشيء من ذلك، وإذا أسهمت في ترشيد مستقبل الحركات الإسلامية المعاصرة، ورفعت من كفاءة أدائها، كان ذلك فضلا نحمد الله على التوفيق فيه. لقد علمنا رسول الله، أن من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم ولما كان خلاص هذه الأمة من التحديات التي تمسك بخناقها -تخلفا موروثا كانت هذه التحديات أو استلابا حضاريا وافدا- إن خلاصها ونهضتها معلقة آماله على رشاد الحركات الإسلامية المعاصرة، وذلك حتى لا تصاب فصائلها بإحباط جديد، كما حدث لسابقين سبقوهم على ذات الطريق. من هذا المنطلق ولهذه الغاية وبهذه الروح كانت الإشارات التي قدمتها إلى هذه المظاهر لمواطن الخلل في عدد من هذه الحركات الإسلامية المعاصرة.

الفصل الثالث: أهم المشاكل الخارجية في ساحة الدعوة

المبحث الأول: الغزو الفكري الحضاري

المطلب الأول: الغزو الفكري والإلحاق الثقافي

لقد أدرك أعداء هذا الدين السمح الكريم في وقت مبكر، بأن الهيمنة العسكرية على البلاد الإسلامية لا تكفي لأنها لا تضمن تأييد التبعية والإلحاق أما ما يضمن لهم هذا الهدف، فهو التغيير الناعم، أي تغيير العقول والأفكار وإعادة تشكيلها وفق إرادة الغالب أو المهيمن بنموذجه الحضاري وعطاءه العلمي والمدني، وقد سلكت تلك الدوائر عدة مسالك كي يؤدي الغزو الفكري والإلحاق الثقافي ثماره المرجوة والمرغوبة لديهم، أبرزها^(١):

١ _ **توجيه وسائل الإعلام:** لم يكن تأثير وسائل الإعلام ليخفى على تلك الدوائر الحريصة على إضعاف الروح المعنوية للمسلمين، لذلك عملوا على ضرورة أن تكون وسائل الإعلام أداة فعالة لتشويه صورة الإسلام والمسلمين، والإساءة إلى معتقداتنا وشعائرتنا ومناسكنا التعبدية، ونشر الشبهات والأباطيل والمغالطات حول نبي الإسلام وحقائق الوحي وتعاليم الشريعة الإسلامية، ولم يسلم من ذلك أعلام الإسلام وتاريخ المسلمين ومنجزاتهم العلمية والحضارية. ولا شك أن كل متابع لوسائل الإعلام الغربية، يلحظ تلك المواد والبرامج الموجهة لتشويه صورة الإسلام والمسلمين والإساءة إلى معتقداتنا وشعائرتنا وأعلامنا وتاريخنا.. وكثيراً ما يتم توظيف المسرحيات والمسلسلات والأفلام، التي تدعو إلى الفجور والانحلال، والبعد عن الحياة المستقيمة، والتهكم المباشر بأحكام الإسلام وتعاليمه. لاسيما فيما يتعلق بأحكام المرأة والعلاقة بين الجنسين، والحريات الشخصية.. إلخ... وقد عقدت شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت)، وكذلك الفضائيات وغيرها من وسائل الاتصال المعاصرة، هذا التوجه بشكل ملحوظ لا يخفى على أي أحد من الناس.

٢ _ **توجيه الدراسات الاستشرافية:** إلى جانب توجيه وسائل الإعلام ووسائل الاتصال الحديثة، تحرص الدوائر والمؤسسات المعنية بإضعاف المسلمين معنويًا بواسطة وسائل التغيير الناعم، على الاستفادة من الدراسات الاستشرافية وتوجيهها هيا الأخرى، لخدمة هذا

١. عمارة، محمد، الأصولية بين الغرب والإسلام، ط١، ١٤١٨هـ — ١٩٩٨م، دارالشروق، ص ١٢.

الغرض، وهي تدرك أن دراسات وأبحاث المستشرقين قد تؤثر في النخبة المثقفة، التي قد يكون لها شأن وحضور في صناعة القرار داخل بلدانها وضمن محيطها الاجتماعي والأكاديمي وغيره. والاستشراق كما هو معلوم هو دراسة بعض المتخصصين الغربيين لعلوم الشرق وتاريخه وأديانه ولغاته والتقاليد السائدة في أقطاره، لاسيما أقطار العالم الإسلامي، لأغراض وأهداف متباينة، قد يأتي في طليعتها تشويه صورة الإسلام، والتشكيك في عقائده ومبادئه وتعاليمه. ولخدمة هذا الهدف قدم المستشرقون آلاف البحوث والدراسات والأطالس والموسوعات ونحوها من الأوعية المعرفية، وكان من أشهر أعمالهم (دائرة المعارف الإسلامية) التي صدرت في البداية بثلاث لغات واسعة الانتشار هي الانجليزية والفرنسية والألمانية، ثم ترجمت بعد ذلك إلى لغات أخرى كثيرة منها اللغة العربية، وقد اشترك في تأليفها أكثر من أربعمئة باحث مستشرق، وقد احتوت على أكثر من ثلاثة آلاف مادة، وهي معلومات عن الإسلام وعن شعوب الشرق وحضاراته مع العلم أنه غلب على مواد هذه الموسوعة الضخمة، الترويج للشبهات والمطاعن حول القرآن الكريم والعقيدة الإسلامية، والشرعية الإسلامية، وتاريخ المسلمين وأعلامهم ومنجزاتهم في العلم والحضارة.

المطلب الثاني: أنواع الغلبة للأمم

من أنواع الغلبة التي يمكن أن تتعرض لها الأمم نوعان: أحدهما: الغلبة المادية والسياسية والآخر: الغلبة المعنوية و الخلقية. أما الغلبة من النوع الأول فهي أن تصبح أمة من شدة الصولة والبأس بإعتبار القوى المادية بحيث لا تستطيع الأمم الأخرى أن تحتفظ بإستقلالها السياسي إزاءها فتستبد هذه بجميع وسائل الثروة عند تلك الأمم وتسيطر على تدبير شؤونها كاملة أو إلى حد.

أما النوع الثاني من الغلبة فهو أن تتقدم أمة من حيث قواها الفكرية والعلمية تقدما يجعل سائر الأمم تؤمن بأفكارها فتغلب نظرياتها على الأذهان، وتستولي معتقداتها على المشاعر وتنطبع بطابعها العقليات، فتكون الحضارة حضارتها والعلوم علومها وهذا النوع من الغلبة أخطر بكثير من النوع الأول، كما أنهما غير مرتبطين ببعض فقد يوجد أحدهما دون الآخر^(١). وتأثر كثير من المسلمين في هذا العصر بالنوع الثاني من الغلبة حقيقة لا شك

١. أنظر: نحن والحضارة الغربية، ص(٧) للأستاذ أبي الاعلي المودودي، مؤسسة الرسالة ١٤٠٣هـ.

فيها، حيث أشرب كثير منهم مفاهيم مستوردة من معين الحضارة الغربية، فتعلقوا بها ودافعوا عنها ودعوا إليها غيرهم، ووقع ذلك ليس بمستغرب وقد أخبر النبي ﷺ أن أمته ستأخذ مأخذ القرون قبلها ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها شبرا بشبر وذراعا بذراع فقليل: يا رسول الله كفارس والروم؟ فقال: ومن الناس إلا أولئك؟»^(١) قال الحافظ ابن حجر^(٢): قال ابن بطلال^(٣): أعلم ﷺ أن أمته ستتبع المحدثات من الأمور والبدع والأهواء كما وقع للأمم من قبلهم، وقد أندر في أحاديث كثيرة بأن الآخر شر، والساعة لا تقوم إلا على شرار الناس. قال ابن حجر: قلت: وقد وقع معظم ما أندر به ﷺ وسيقع بقية ذلك^(٤)، وإخبار النبي ﷺ بوقوع ذلك في أمته متضمن التحذير منه لينجو من هذه المشابهة من شاء الله له السلامة، ولا شك أن المشابهة التي أخبر عنها النبي هي فيما يكون من أمور الدين الذي لا تجوز المشابهة فيه، لأن المنتسب لدين الإسلام لا يملك حق الاختيار في قبول بعض ما جاء به النبي ﷺ و رد بعضه، بل يتعين على كل مسلم أن يخضع خضوعا تاما وينقاد لكل ما جاء عن النبي، يقول تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُخَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(٥) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى يحكم الرسول ﷺ في جميع الأمور، فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطنا وظاهرا ولهذا قال: ﴿ثم

١. رواه البخاري واللفظ له، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، رقم الحديث (٧٣١٩).

٢. ابن حجر العسقلاني (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ = ١٣٧٢ - ١٤٤٩ م) أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حجر: من أئمة العلم والتاريخ. أصله من عسقلان (بفلسطين) ومولده ووفاته بالقاهرة. ولع بالأدب والشعر ثم أقبل على الحديث، ورحل إلى اليمن والحجاز وغيرهما لسماع الشيوخ، وعلت له شهرة فقصده الناس للأخذ عنه وأصبح حافظ الإسلام في عصره، قال السخاوي: (انتشرت مصنفاته في حياته وتهادتها الملوك وكتبها الأكابر) وكان فصيح اللسان، راوية للشعر، عارفا بأيام المتقدمين وأخبار المتأخرين، صبيح الوجه. وولي قضاء مصر مرات ثم اعتزل. أما تصانيفه فكثيرة جليلة. انظر: الأعلام للزركلي ج ١/ص ١٧٨.

٣. ابن بطلال (٤٤٩ - ٥٠٠ هـ = ١٠٥٧ م) علي بن خلف بن عبد الملك بن بطلال، أبو الحسن: عالم بالحديث، من أهل قرطبة. من شراح البخاري انظر: الأعلام للزركلي ج ٤/ص ٢٨٥.

٤. أنظر: فتح الباري للحافظ ابن حجر (ج ١٣/ص ٣١٤).

٥. سورة النساء: (٦٥).

لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت وسلموا تسليماً ﴿١﴾ أي إذا حكموك يطيعونك في بواطنهم فلا يجدون في أنفسهم حرجا مما حكمت وينقادون له في الظاهر والباطن فيسلمون لذلك تسليماً كلياً من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة^(١). ويقول تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾^(٢)، قال ابن كثير: مهما أمركم به فافعلوه ومهما نهاكم عنه فانتهوا فإنه إنما هي أمر بخير وإنما ينهى عن شر^(٣). ولما كان هذا الدين كاملاً من جميع الجوانب لا خير إلا رغب فيه ولا شر إلا في عنه فإن المسلمين ليسوا بحاجة إلى أن يتطفلوا على غيرهم من الأمم ويستوردوا شيئاً من مبادئهم لأن دينهم كامل، والكامل لا يحتاج إلى زيادة، يقول تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٤). وقد يتبادر سؤال إلى الذهن وهو: هل معنى ذلك أن يصد الباب أمام كل ما يأتي من الغرب أو الشرق؟ أم أن المسألة مسألة إختيار وتحديد لما يقبل وما يرد؟

ليس من الإنصاف القول: بأن كل ما تحويه الحضارة الغربية مرفوض، لأن هذه الحضارة قد اشتملت على نواح إيجابية، رفضها يعتبر جمود في الفكر، وذلك أن العقل الغربي قد حطم أغلال التقليد وانطلق في ميادين العلم التجريبي فقطع شوطاً هائلاً في هذا المضمار، جعل العالم الإسلامي عالمة عليه في كثير من احتياجاته إن المرفوض من هذه الحضارة هو ما يتعارض مع العقيدة الإسلامية ومنهج الإسلام الشامل للحياة. يقول الأستاذ محمد قطب^(٥) وهو يذكر واقع الأمة الإسلامية في فترة القوة العسكرية والمعنوية، وكيف كان تصرفها أمام حضارة أعدائها التي احتاجت إلى أن تقتبس منها ما هي بحاجة إليه وكيف أنها أحسنت

١. أنظر: التفسير القرآن العظيم لابن كثير (ج ١/ص ١٢٥).

٢. سورة الحشر: (٧).

٣. أنظر: تفسير القرآن العظيم (ج ٤/ص ٦٣٦).

٤. سورة المائدة: (٣).

٥. محمد قطب بن إبراهيم حسين شاذلي (١٩١٩-٢٠١٤م)، مفكر إسلامي وأستاذ جامعي مصري ألف عشرات الكتب في مجال الفكر الإسلامي، وعاش مع شقيقه ورفيق دربه سيد قطب مخاض تجربة فكرية اتسمت بوضوح الرؤية وقوة الحجة وصرامة المواقف. هاجر إلى السعودية وعمل مدرسا بجامعة أم القرى في مكة المكرمة، وظل هناك حتى رحل إلى العالم الآخر.

الاختيار ولم يوجد من بين أبنائها من يتصور فضلا عن أن يدعو إلى مقولة: إن الحضارة وحدة متكاملة لا تؤخذ إلا بشكل كامل، فيقول: لقد احتاجت الأمة من قبل إلى تنظيمات إدارية وأشكال من أشكال الحضارة المادية، لم تكن في رصيدها السابق من قبل، وكانت محتاجة إليها لتنظيم الدولة على مستوى الكفاءة اللازم لدولة متنامية القوة فأخذت تلك التنظيمات وتلك الأشكال من فارس وبيزنطة ولم تجد في نفسها حرجا من ذلك، ولكن تم ذلك على قاعدتين مهمتين^(١):

١- أن الأمة لم تشعر بالصغار والانكسار وهي تأخذ ماهي محتاجة إليه، بل كانت تحس بالإستعلاء الناشئ من الإيمان.

٢- أن الأمة لم تأخذ إلا ما كانت بحاجة إليه، من التنظيمات والأشكال المادية من الحضارة، ولم تأخذ معها قط المبادئ والنظم التي كانت لاصقة بها عند الذين أخذت عنهم، فقد كانت تلك المبادئ والنظم قائمة على عقائد وتصورات جاهلية لا تصلح للمسلمين، وليس المسلمون بحاجة إليها. والمسلم لا يأخذ من البضاعة الحضارية إلا ما يكون محتاجا إليه من الأمور التنظيمية أو الأشكال المادية التي لا تفرض بذاتها منهجا للتصور ولا منهجا للسلوك يخالف عقيدة المسلم ومنهجه الرباني للحياة، أما النظم السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية، وأما القيم والمبادئ فهي الدين الذي يتلقاه المسلم من ربه ولا يتلقاه من مصدر سواه^(٢). أما حركة الأخذ الثانية التي يجني المسلمون ثمارها الآن والتي جرت في ظل الخواء الروحي والتخلف العقدي، فقد اشارت الحواجز ولم يفرق كثير من المسلمين بين ما ينبغي أخذه وما يجب تركه.^(٣) وبعد فشل الأعداء في غزواتهم العسكرية، تواصلت جهودهم لغزو الأمية فكريا فأتت جهودهم ثمارها ووجدت أفكارهم طريقها إلى عقول كثير من أبناء الأمة، ووجد من بين أبناء الأمة فئات سعت إلى تبني هذه الأفكار والترويج لها، فكان منهم من خدع بأفكار مما يتصل بالتربية ومناهج التعليم، ومنهم من تأثر بأفكار تتصل بالأخلاق والعادات والتقاليد، ومنهم من خدع بنتائج أفكار المستشرقين فيما يتصل بالتاريخ الإسلامي

١. عمارة، محمد، الأصولية بين الغرب والاسلام، ط ١، ١٤١٨هـ — ١٩٩٨ م، دارالشروق، ص ٢٣.

٢. أنظر: واقعا المعاصر، لمحمد قطب، مكتبة دارالسلام، ط (٣) ١٤١٠ هـ، ص (٣٤١-٣٤٢).

٣. المرجع السابق: ص (٣٦-٣٦٢)، بتصرف.

وسير أعلام الأمة، إلى غير ذلك من الأفكار. ومما يبعث على الأمل أن هذا التأثير لم يكن شاملاً، فقد وجد من أبناء الأمة من تصدى له وبين خطره على عقيدة الأمة و قيمها وشخصيتها و قد يتبادر هنا سؤال: ما علاقة الدعاة بهذا الموضوع؟ وهل يوجد من بينهم من هو متأثر لهذا الغزو؟!

إن الإجابة على هذا السؤال هي إن الأفكار المنحرفة قد تجد طريقها إلى العقول فتلوثها، وذلك لنقص في العلم، أو قلة في الفقه، أو اشتباه في الحق، والعقول تتفاوت في القدرة على رد الأفكار المنحرفة حسب ما أودع فيها من معرفة الحق. والدعاة ليسوا على درجة واحدة في العلم بحيث تتساري عندهم القدرة على رد أي انحراف فكري، فلا يمتنع عقلاً أن يوجد من بينهم من ناله شيء من آثار هذا الغزو فظهر ذلك في ثنايا كلامه أو فيما خطته يده ولا يقصد من ذلك تصنيف من هذا حاله من الدعاة، في عداد دعاة الغزو الفكري المنسلخين من دين الأمة وقيمها ومبادئها، لكن الثوب الأبيض يبدو فيه الدنس واضحاً جلياً.

المبحث الثاني: الالتباس المفهومي للمصطلحات

تمهيد: أهمية تحرير المصطلحات

إن قضية المصطلح ودراسته من أهم القضايا العلمية وأدق المسائل المعرفية؛ فيها تثبت المعاني وتحدد المقاصد وتظهر الدلالات، فأى خلل في تأسيس مصطلح ما للدلالة على معنى معين، قد يؤدي إلى معان مضطربة بعيدة عن مقصد المستخدم، لا سيما إذا كان المصطلح يتعلق بالدين والعقيدة، ففهم أي مصطلح من المصطلحات التي تناولها القرآن الكريم سواء المتعلقة بالعقيدة أو الحضارة أو السياسة يلزمه بالضرورة الوقوف على معاني تلك المصطلحات في اللغة والقرآن الكريم وفي الثقافة الإنسانية سواء خارج المجتمع الإسلامي أو داخله على امتداد تاريخه، فالمجتمع الإسلامي مكون اجتماعي وسياسي استفاد من المجتمعات الأخرى وتأثر بما في جوانب عديدة، وانتابه جراء ذلك عديد من التساؤلات وحاول العثور على إجاباتها في الكتاب الكريم، انطلاقاً من الإيمان بأن القرآن الكريم كتاب الوحي الإلهي المقروء فيه ذكر كل شيء، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ

تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهْدَى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ومع استيعاب أن الاختلاف في المضامين والمفاهيم - رغم اتحاد المصطلح أمر شائع في العديد من المصطلحات التي يتداولها العرب والمسلمون ويتداولها الغرب مع تباين مضامينها في كل حضارة، مما يحدث استعمالها دون الانتباه إلى المضامين العامة والخاصة لدى أهل كل حضارة وأهل كل مذهب أو عقيدة كثيرا من اللبس والخلط في حياتنا الثقافية والسياسية والإعلامية المعاصرة وقد أبدع محمد عمارة في ذلك المجال كثيرا فتنوع العديد في محاولة لتقديمها للقارئ المنصف والباحث عن الحق دون تأثر بطرف من أطراف النزاع في تلك من المصطلحات. ودائما ما يؤكد محمد عمارة أن أغلب حواراتنا هي ضحايا بئسة للفوضى الشائعة في مضامين المصطلحات؛ لذا علينا أن نبدأ بتحرير مضامين تلك المصطلحات التي نستخدمها في طرح أفكارنا وأحيانا تحاكم بها أطراف الحوار، ولا بد من تحديد مفاهيمها ليفهم كل منا الآخر ولتحدد مناطق الاتفاق ومناطق التمايز؛ لأن ذلك مهمة أساسية لتنظيم أي حوار موضوعي حادٍ يساعد في مقاومة الاستقطاب الناتج . عن الاختلافات الجذرية في الرؤية بين الغرب والشرق من ناحية وبين الإسلاميين والعلمانيين من ناحية أخرى(٢). وذلك لا شك مدخل مهم لضبط حدود أي حوار داخل الأمة الإسلامية بين فصائلها المتعددة وعلى المستوى الخارجي في الحوار بينها وبين الأمم الأخرى.

ولهذا كان قاموس المصطلحات في أي فن من الفنون أو علم من العلوم مهما جدا، وأداة شديدة التأثير في تكوين الفكر والمذهب والرؤية والهوية، وتكوين الاتجاه الحضاري لمن يستخدمه وصبغه بفلسفة واضعيه؛ فالقاموس أحد وسائل توجيه العقل لا سيما في ميدان العلوم الإنسانية. ولن تتمكن الأمة من فهم التراث الإسلامي بواسطة القاموس ذي المنطلقات والمفاهيم الغربية؛ لأن في ذلك عزلا للعقل المسلم عن تراثه الحضاري في المجالات المختلفة، فطوق النجاة لهذه الأمة هو في إدراكها حقيقة هويتها الحضارية وتفاعلها مع

١. النحل: ٨٩

٢. محمد عمارة، الأصولية بين الغرب والإسلام القاهرة، مصر : دار الشروق د.ت ٥ محمد عمارة، قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية (القاهرة، مصر : دار الشروق (١٩٩٣). محمد عمارة، إزالة الشبهات عن معاني المصطلحات (القاهرة، مصر: دارالسلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ٢٠٠٩)، ص ٤٩. محمد عمارة، معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام القاهرة، مصر: نهضة مصر للطباعة والنشر، ٢٠٠٤، ص ٢٢.

الآخرين^(١). ويبدأ ذلك من فهمها للمصطلحات التي تنتشر على السنة المنظرين وفي كتاباتهم، وهذه دعوة إيجابية من محمد عمارة للبدء الصحيح لأي حوار كذلك للفهم الصحيح المدارات أي موضوع تناقش فيه؛ كي لا يكون مجرد حوار طرشان. فالله عز وجل قد خلق الناس شعوبا وقبائل ودعاها إلى التعارف والعمل على عمران الأرض وتطوير الحياة؛ ولتحقيق ذلك لا بد من تعايش الأمم والشعوب ثقافة وحضارة، ومع ما وضع الله فيهم من: تعدد اللغات واختلاف الألسنة، كان وجود المصطلحات في الحوار بينهم يحتاج إلى ضبط معانيها المتداولة في المناقشات وتحديدها، حيث إن لهذه المصطلحات في كل لغة من اللغات مضامين ومفاهيم ومعاني مختلفة ومتميزة عن نظائرها في اللغات الأخرى. فالمصطلحات شائعة بين الجميع لكن تمام فهمها يُغوزه تحديد دلالاتها والتمييز بين ما هو مشترك إنساني عام من المعارف والعلوم وما هو من الخصوصيات الثقافية والفلسفية والدينية^(٢). وقد اعتنت الأمم كلها على تفاوت بينها بالمصطلحات، ووظيفتها لصالحها في الغالب الأعم وكانت سلاحا قويا في معاركها مع غيرها من الأمم، ولا زالت الساحة الفكرية في العالم الإسلامي على وجه الخصوص تعاني من ذلك لوقوعها في مرحلة التبعية الفكرية للغرب في جوانب كثيرة من حياتها اليومية والفكرية. وإلى جانب ذلك فإن للمصطلحات دورا مهما في الوصول إلى العلوم ولولاها لتعذر علينا معرفة مسيرة العلوم في التاريخ الإنساني، فالتطور مستمر في شتى النواحي وهو كذلك في اللغة حين تضع ألفاظا جديدة لمدلولات مستحدثة، أو تغير دلالات ألفاظ أخرى أو تخرجها من مضامينها الحقيقية إلى مضامين جديدة، فما دامت الأسباب موجودة فالنطور واقع لا محالة؛ لهذا فإن تحديد المصطلحات ورصد التطور الدلالي لها أمر في غاية الأهمية كي لا ندور في حلقة مفرغة لعجز فيها عن الوصول إلى الهدف. فالمصطلحات مؤشر للفكر ومضامينه ومعبر عن الواقع المعرفي في أي مجتمع، وهي تتطور من مصطلحات مجردة إلى مدارس ومذاهب وفرق، فتتشعب وتتوسع دليلا على الثراء ولكن عدم التعرف عليها قد تحول إلى إشكالات وعقد فكرية^(٣) تدفع كل

١. عيسى، عبدالرزاق، محمد عمارة داعية الإحياء والتجديد، دار القلم دمشق، ص ١٥٦-١٥٧.

٢. محمد عمارة، إزالة الشبهات عن معاني المصطلحات ص ٨.

٣. سه نكاوي، فاتح محمد، معجم مصطلحات الفكر الإسلامي المعاصر: دلالاتها وتطورها، ص ١٣.

المنشغلين بمجال الأفكار إلى إعادة اكتشافها وعدم التقليد الأعمى للشائع ولو كان في كتابات كثيرة؛ فالبحث الآن أكثر شمولية لا سيما إذا اجتهد الباحث في مجال المصطلحات كما فعل محمد عمارة من مقارنة المصطلحات في الثقافات المختلفة على نحو ما تدعو إليه الدراسات الأسلوبية الحديثة.

المطلب الاول: مكانة المصطلحات في مؤلفات الدكتور محمد عمارة

وقد أولى الدكتور محمد عمارة أهمية كبيرة لتحرير المصطلحات التي يستخدمها، ولذلك أورد عددًا عظيمًا منها في مؤلفاته^(١)، فقد أفرد لهذا الجانب عدة مؤلفات على رأسها، "كتاب إزالة الشبهات عن معاني المصطلحات" الذي يعد كتابًا جامعًا لمعظم نتاج عمارة في جانب تحرير مضامين المصطلحات، وكتاب "قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية" وكتاب "معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام" و"كتاب في الطريق إلى اليقظة الإسلامية" وكتاب "الإسلام في مواجهة التحديات". كما عمل في مشروعه على تحرير المصطلحات، وقدم نتاجاً فكرياً كبيراً فيما يتعلق بها وبيان مضامينها التي لا مشاحة فيها ابتداءً لكن المشاحة تظهر عندما نقارن بين معانيها في ثقافتنا الإسلامية ونظائرها في الثقافة الغربية، واعتنى بإبراز المفاهيم الإسلامية التي تؤسس للتكامل بين دوائر الانتماء من الوطنية والقومية والإسلامية والإنسانية؛ من أجل ترشيد الفكر الإسلامي وتقديم النموذج المتميز بالإسلامية إلى العالم الذي ضل طريقه في تلك الميادين. وقد ساعد عمارة على ذلك تنوع ثقافيه وإطلاعه على المنتج الثقافي الغربي ومتابعته لما : يصار ما يدور حول الإسلام وكتابه ورسوله الكريم إذ يقرأ عمارة ذلك بعناية ويرده بتجرد ويستخدم أسلوب الخصم كثيراً^(٢) في تناوله للمسألة موضع النقاش. لا سيما وفي إطار اهتمامه الكبير بالمصطلحات أحياناً ما كان يشير إلى أن كثرة استخدام المصطلحات في التراث العربي الإسلامي كان سبباً في اضطراب مضامينها وصعوبة الوقوف على مقصد المتكلم؛ إذ كانت بعض المصطلحات تتضمن معنى خاصاً لدى فريق ما من الفرق الإسلامية وتحدها ذات معنى مفارق لدى فريق آخر، ونتيجة لذلك اختلفت مضامينها مع المصطلحات المستخدمة في الأبحاث المعاصرة

١. جاد، يحيى رضا، المشروع الفكري للدكتور محمد عمارة، دار مفكرون للنشر والتوزيع، ص ٤٢.

٢. محمد عمارة، مسيرة قلم (القاهرة، مصر: دار المقاصد للطباعة والنشر والتوزيع ٢٠١٦، ص ٣٠-٣١).

مما زاد اللبس والغموض مما يدفع للقول بأنه أحيانا ما يكون البحث وراء المصطلحات ليس هو الطريق للتعرف على تراثنا الحي النافع، بل قد يكون ذلك ضاراً بنا. وقد دفع الخوض في مثل تلك المصطلحات واللبس والغموض للذين اكتنفها بعض الباحثين إلى إسقاط كل تراث المسلمين في بعض المسائل، وإنكار أن يكون في تراثنا ما يُعتمد به في مثل تلك الميادين^(١). ولذلك يعد الخوض في ذلك المجال مغامرة لا يثبت فيها كثير من الناس، لكن محمد عمارة قد وضع فيها دعالم تساعد من يرغب في تكوين صورة أقرب إلى الصواب عن كثير من المصطلحات الدائرة في حياتنا الفكرية والتي أخرجت أنواعا متعددة من التشدد والغلو.

المطلب الثاني: منهج الدكتور عمارة في دراسة المصطلحات

وكان محمد عمارة يقف أمام المصطلحات التي يعرضها مبينا أصول النشأة التاريخية مكانها وزمانيا ومحراً للمعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي في الحضارتين الإسلامية والغربية وما ورد من خلاف في تحديد هذه المصطلحات^(٢)، ومن أمثلة ذلك عرضه لمصطلح النص، فيذكر أن تعريفه ومضمونه كان مثار خلاف واختلاف، بل موضع شبهات وأوهام جعلت وتجعل من جلاء معناه وتحديد مدخله طبيعياً وشرطاً ضروريا لتجنب الاختلاف فتناول ما ورد في تعريف النص لدى خواص مفكري الإسلام الذين قصروا تعريف النص على ما هو قطعي الثبوت والدلالة في الثوابت التي لا يصيبها التحول ولا تعرض عليها الاحتمالات لا من قريب ولا من بعيد. وذكر ما دخل مصطلح النص من مشتبهات عند من وصفهم بالعوام الذين علا صوته في حياتنا الفكرية مع ارتفاع التقليد وتراجع الاجتهاد والإبداع في حضارتنا الإسلامية، فإنهم لم يكتفوا بإطلاق لفظ النص على كل ألفاظ ومأثورات وروايات الكتاب والسنة بل أضافوا إلى المصطلح كل ما كتب الأقدمون في المذاهب الإسلامية^(٣). وهذا تحديد متميز من عمارة ينطلق من وضعه الأمور في نصابها إذ يجعل المقدس مقدساً والإنتاج البشري بشرياً ولكل منهما دوره الذي لا يمكن إغفاله في تاريخ الأمة الإسلامية والإنسانية كلها. وزاد

١. محمد عمارة، مفهوم الحرية في مذاهب الإسلاميين (القاهرة، مصر: مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٩)، ص ١٦-١٨.

٢. عيسى، الدكتور عبدالرزاق، محمد عمارة داعية الإحياء والتجديد، دارالقلم دمشق، ص ١٢١.

٣. محمد عمارة، معالم المنهج الإسلامي (القاهرة، مصر: دار الشروق، ٢٠٠٩)، ص ٩٦-٩٨.

عمارة عند تعرضه لمصطلحي التراث والسلف في العيب على هؤلاء العوام الذين جعلوا التراث كلها في كفة واحدة، فوصفهم بأنهم اختصوا الموتى مهمة التفكير للأحياء، وأوجز كثيرا من النقاط حينما تحدث عن علاقة التراث بالتجديد والجمود، فذكر أن الأمر ليس مطلق الارتباط بالتراث وليس مطلق التراث ذاته إذا بحثنا عن معايير الجمود والتجديد، فليس هناك أي إنسان أو مذهب أو دعوة أو حركة دون سلف ودون تراث، ولذلك فمعايير التمايز في هذا السياق تتمحور حول سؤالين هما: أي لون من التراث؟ وكيف تتعامل مع هذا التراث^(١) وقد صدق عمارة في ذلك الطرح وبأن أثره في حياته الفكرية وعرضه للمسائل المختلفة؛ إذ بحث في التراث ليس عن ألفاظ بل عما وراءها وسياقها التاريخي وكيفية اصطحابها في العصر الحديث، ولذلك لا يرد أي جزء من أجزاء التراث بل يستفيد من تراث عصر التراجع الفكري كما يستفيد من تراث عصر النهضة؛ إذ يبحث في الأول. أسباب التراجع لتجنبها الأمة الآن وفي الثاني عن أسباب النهضة لتكون مشعلا في طريق النهضة المعاصرة.

ومن بين المصطلحات التي وجدها شائعة دون تحرير مصطلحي العقل والنقل فتناولهما في عدد من كتبه، وكشف انتفاء التعارض المزعوم الذي يدعبه العلمانيون بين العقل والنقل، فالنقل داع للعقل والتدبر، والعقل الإنساني في الإسلام أداة فقه الشرع، والنقل يثق في العقل لكنه بالطبع يرفض الغرور العقلاني حين يتصور امتلاكه القدرة على عقل كل شيء وأي شيء وأنه هو سبيل الوعي الوحيد، فالعقل في الإسلام مدعو للعمل في حدود ما وظفه الله^(٢) وفي تناول عمارة للعقل بهذا المعنى الدقيق رد لكل ما اتهم به من أنه يقدم العقل على النقل، ويوضح العلاقة الوثيقة بين النقل والعقل لديه. وفي كل مرة يعرض فيها عمارة للمصطلحات يؤكد أن لها دور كبيراً في مخاطبة الخصوم؛ إذ من الضروري عند محاورتهم ألا تتجاهل ما يدعون ولا نصادر ما يقولون، وإنما يكون الحوار بالمنطق والحجة، ونتجرد من منطق صاحب الحق الذي يخاطب ذاته، ونتحدث بالمنطق الموضوعي الهادئ الذي يُفيد حجج الخصوم بمنطقهم، وبلغة العلم وعقلانية الفكر لا بالعواطف أو حتى بمأثوراتنا الدينية الخاصة

١. عمارة، الأصولية بين الغرب والإسلام، ص ٢٤.

٢. عمارة، مقام العقل في الإسلام، ص ٣٧.

التي لا يؤمن بها الآخرون^(١). وقد قدم مصطلحات عديدة كالاجتهد والجهاد والتجديد والسلفية والوسطية والتعددية والحرية وكذلك فكرة الاستشراق بيانا لها وردا على أصحابها من الغربيين والشرقيين المقلدين وهو مقام تميز فيه عمارة وقدم للمكتبة فيه كتب عديدة تشهد بتجرده في المناقشة ورد الشبهات على أصحابها بل ومحاسبتهم بكلامهم الذي يعتمدون عليه في شبهاتهم، ويوظف الأرقام والإحصاءات توظيفا فعالا في كل ذلك.

وقد أسس منهجه في تناوله للمصطلحات وشرحها انطلاقا من إيمانه الكامل والعميق والخبير بالخصوصية الحضارية الإسلامية، وضرورتها في بيان خصوصية المصطلحات وتمايزها تبعاً لتمايز الحضارات التي تنتمي إليها وضعا في الأصل أو اقتراضا وتوظيفاً. وذلك من أجل الخروج بنتائج فعالة تفيد في فكرنا وبنالنا لنموذج نهضوي محوره ومرجعته الإسلام. ولذلك مثل التاريخ أهمية كبرى في مشروع عمارة الفكري، فالتاريخ معين لا تنضب أحداثه وتطوراتها، فيقرأه عمارة ويستشهد به ويعلل وقائعه؛ لاستخراج المثل والنموذج الذي يمكن أن يكون وعي الأمة إذا أُنِعت ذكرياتها بقراءة التاريخ في مراحلها المختلفة وعرفت قدراتها الحقيقية من تلك الوقائع التي تتكرر، وتؤكد ما لدى الأمة من قدرات تعينها على صراعات الحاضر وتقودها نحو المستقبل. فالتاريخ الإنساني عموما والإسلامي على وجه الخصوص عند عمارة لا بد أن يكون نقطة انطلاقنا؛ إذ إنه بما فيه من إيجابيات وسلبيات له دور كبير في تحديد بوصلة الإنسانية كلها وخاصة الأمة الإسلامية في رؤيتها للمستقبل^(٢). ويؤكد محمد عمارة دائما في رؤيته للمصطلحات أن الأمة بحاجة إلى فقه جديد، بالرغم من أن فقهاء القديم ثروة فكرية لا مثيل لها في العالم، ولكن ليس معنى هذا أن كله صالح، فقيه أفكار بنت عصرها، وليست هي الإسلام. لذلك هناك حاجة إلى فقه جديد معتمد على القديم، يُعلي من قيمة الماضي وينتقي منه ويضيف إليه ما يقتضيه الحاضر، دون مخالفة لنص ثابت فظروف العالم الجديدة تحتاج لفقه جديد في العلاقات الدولية، لا تلفي شيئا مما كتب عن دار الإسلام ودار الحرب في كتب التراث، فهذه مصطلحات بنت ظروفها، يلزمها الفحص والإضافة إليها وتحديثها. فالعلاقة الوثيقة بين تراث الأمة ومستقبلها لا تعني

١. محمد عمارة القدس بين اليهودية والإسلام القاهرة، مصر : دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٩، ص ٣، ٢٤.

٢. محمد عمارة، الوعي بالتاريخ وصناعة التاريخ (القاهرة، مصر: دار الرشاد، ١٩٩٧، ص ٣٣-٣٩.

صب المستقبل في قوالب التراث حتى تصير تطبيقاتنا المستقبلية عين تجارب السلف، وتعيد حياتنا الفكرية مسائل الجدل التي شغلت حيزا كبيرا في مخطوطات التراث. فقد تعلمنا من التراث أن التطور هو سنة من سنن الله في الكون، فالعلوم وتطبيقاتها تتطور دون فصل الأمة عن جذورها، فالجديد حامل لأصالة الماضي، يستمد منه الثبات والتواصل والتميز.

وقد سعى محمد عمارة إلى التمييز بفوارق مفصلية جادة بين العديد من المصطلحات المتداولة والمشاركة بين العالمين الشرقي الإسلامي والغربي، تلك التي تشكل خلطا في استخدام المصطلح الواحد في غير ما وضع له من معان مقصودة ومتباينة في كل من الحضارتين الشرقية الإسلامية والغربية وقصد من ذلك التمييز إلى توضيح الرؤية أمام القارئ، ومراعاته الدقة عند استخدام تلك المصطلحات والوقوف على الفرق في المعاني إسلاميا وغربيا، ومن أمثلة تلك المصطلحات العلمانية والأصولية والتشريع والحرية والحكم والاجتهاد والعقلانية. وقد أكد على اضطراب مقولة لا مشاحة في الاصطلاح، وأثبت أن هناك مشاحة واختلافات بين مقاصد المصطلحات، وأنه لا بد من تثبيتها ومعرفتها بدقة لإزالة اللبس حين استدعائها واستخدامها في عرض الأفكار والمعتقدات. ويوضح رأيه في التعامل مع ما هو وافد غربي وما هو تراث إسلامي، فيضع منهجا واضحا في رؤيته لهذين المصدرين المتغايرين، يقوم على التمييز بين النصوص وبين مقاصدها وأهم هذه المقاصد هو العدل، والتمييز بين نصوص الوحي القطعية الدلالة والثبوت وبين النصوص الأخرى لا سيما أحاديث الآحاد أو الموضوعية أو الضعيفة أو التي لا يتسق منطقتها عندما تعرض على روح الشريعة ومنطق القرآن الكريم. بالإضافة إلى التمييز بين الشريعة التي هي نهج ومقاصد وبين تطبيقات السلف واجتهادات الأقدمين فالشريعة ثوابت وتطبيقات السلف واجتهاداتهم ليست ديناً، وليست ثوابت ملزمة لمن يعيش واقعا مغايرا للواقع الذي عاشوا فيه واجتهدوا له^(١). والتمييز بين الدين الذي وضعه الله وأوحى به وبين تطبيقات السلف لهذا الدين على واقع عصرهم الذي تغير وانقضى، هو تمييز بين النصوص المتعلقة بالعقائد والأصول والنهج والحدود والحلال والحرام، وبين النصوص التي جاءت تقنيا لواقع دنيوي متغير بالضرورة^(٢).

١. عمارة، الإسلام في مواجهة التحديات، ص ١٦٦، ومعرفة المصطلحات بين الغرب والإسلام، ص: ١٦٢-١٦٦.

٢. عمارة، الإسلام في مواجهة التحديات، ص ١٦٧.

المطلب الثالث: الالتباس المفهومي للمصطلحات

من العبارات الشائعة على ألسنة المثقفين وفي كتابات المفكرين والعلماء، هي عبارة: "إنه لا مشاحة في الألفاظ والمصطلحات". تتردد هذه العبارة على الألسنة وفي الكتابات بمعنى: أنه لا حرج علي أي باحث أو كاتب أو عالم في أن يستخدم المصطلح، أي مصطلح، وبصرف النظر عن البيئة الحضارية أو الإطار الفكري أو الملابسات المعرفية أو الفلسفية والعقدية التي ولد ونشأ وشاع فيه. فالمصطلحات والألفاظ ذات الدلالة الاصطلاحية هي ميراث لكل الحضارات، ولجميع ألوان المعرفة، ولكل بني الإنسان، وهذه العبارة -في تقديرنا- صادقة تماماً، لكنها، أيضاً تحتاج إلى ضبط لمفهومها، حتى لا يشيع منها الخلط، بل والخداع، كما هو حادث لها ومنها الآن لدى عديد من دوائر الفكر التي ترددها، دون ضبط وتحديد لما يوحي به ظاهرها من مضمون. فنحن إذا نظرنا إلى أي مصطلح من المصطلحات باعتباره وعاء يوضع فيه مضمون من المضامين، وبحسبانه أداة تحمل رسالة المعنى، فسنجد صلاح وصلاحية الكثير من المصطلحات والألفاظ الاصطلاحية لأداء دور الأوعية و الأدوات على امتداد الحضارات المختلفة والأنساق الفكرية المتعددة والعقائد والمذاهب المتميزة، وهنا سنكون حقاً وصدقاً أمام المعنى الدقيق والصادق لهذه العبارة -عبارة: "أنه لا مشاحة في الألفاظ والمصطلحات". أما إذا نحن نظرنا إلى هذه الألفاظ والمصطلحات من زاوية المضامين التي توضع في أوعيتها، ومن حيث الرسائل الفكرية التي حملتها الأدوات: المصطلحات فسنكون بحاجة بل وحاجة ماسة، إلى ضبط معنى هذه العبارة، وتقييد إطلاقها وتحديد نطاق الصلاح والصلاحية التي يشيع عمومها من عموم ما تحمل من ألفاظ^(١). هنا، سنجد أنفسنا، عند الفحص والتدقيق، وفي كثير جداً من الحالات، وبإزاء العديد من المصطلحات، أمام أوعية عامة، و أدوات مشتركة بين الحضارات والأنساق الفكرية والعقدية والمذهبية، وفي ذات الوقت، أمام مضامين خاصة، و رسائل متميزة، تختلف فيها، وتتميز بها هذه الأوعية العامة و الأدوات المشتركة، لدى أهل كل حضارة من الحضارات المتميزة، وعند كل نسق أو مذهب أو عقيدة من الأنساق الفكرية والمذاهب الاجتماعية والعقائد الدينية، وخاصة منها تلك التي امتلكت وتمتلك من السمات الخاصة والقسمات المميزة ما جعلها

١. عمارة، محمد، معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام، الطبعة الأولى، القاهرة، دار نهضة مصر، ٢٠٠٤م. ص ٣.

ويجعلها ذات مذهبية خاصة وطابع خاص^(١). وليس كضرب الأمثال سبيلاً لجلاء هذا المعنى، وتأكيد صدق هذا المفهوم: فمن المصطلحات الشائعة في ميدان التشريع «القانوني مثلاً، مصطلح: «الشارع»، يوصف به من «يشرع» القانون، فردا كان أو جماعة -مؤسسة - ، فواضع القانون «شارع» و "مشرع له" والمجالس النيابية التي تمثل سلطان الأمة في «تشريع القوانين، هي هيئات تشريعية»، «تشرع» القوانين. «فالشارع» -هنا- و «مصدر التشريع و واضع الشريعة»: هو إنسان، فردا كان أو هيئة تشريعية. هذا هو حال مصطلح «الشارع» و «التشريع و الشريعة» في ميدان «القانون» فهل -حقاً- «لا مشاحة في هذا المصطلح الشائع، وفيما يحمل «وعاؤه» من مضمون»؟! إن الإجابة عن إطار كل الأنساق الفكرية، ومن قبل كل المعتقدين بمختلف المذاهب والمعتقدات ومن ثم فإن هناك «مشاحة أكيدة في هذا المصطلح، مشاحة تامة في مضمونه، ومشاحة كبيرة فيه كوعاء صالح وكأداة دقيقة وصالحة لحمل الرسالة والمضمون. إن ابن الحضارة الغربية، الذي لا يؤمن بوجود شريعة إلهية تنظم الجانب المدني والاجتماعي والاقتصادي والسياسي للدولة والاجتماع البشري والعمران الإنساني، يؤمن بأن الإنسان، فردا كان أو طبقة أو أمة، هو المصدر الأول والأخير للشريعة والتشريع، فالإنسان هو الشارع سواء أكان ذلك في إطار أصول الشريعة - قواعد ومبادئ القانون الطبيعي - كما تسمى في الحضارة الغربية -أم في إطار فروع الشريعة. فهذا المصطلح «الشارع» بهذا المعنى طبيعي وصادق في هذا الإطار، إطار الحضارة التي لا تؤمن بوجود «شارع غير هذا الإنسان، وخارج هذا «الواقع المادي» سواء أ كان السبب في ذلك هو الطابع المادي الإلحادي لهذه الحضارة، أم المنحى والتوجه العلماني الذي يرفض تحكيم «الإلهي» في شئون الدولة والاجتماع والعمران. ولما كان هذا الموقف، هو شأن غربي وسمة من سمات الحضارة الغربية، وقسمة من قسومات طابعها المادي ومذهبها العلماني، فإنه ليس من المشترك الإنساني العام، حتى يصبح مصطلحها فيه ومضمون هذا المصطلح مما «لا مشاحة فيه في أية حضارة من الحضارات»^(٢).

١. انظر: المرجع السابق نفسه، ص ٤.

٢. عمارة، محمد. قاموس المصطلحات في الحضارة الإسلامية. الطبعة الأولى، ١٩٩٣م، دار الشروق، ص ٧.

ففى الحضارة الإسلامية، التى مثلت العقيدة الإسلامية وتمثل أيديولوجيتها ومذهبية أمتها منذ أن أصبحت الروح السارية فى كل علوم تمدنها المدني وإبداعها الإنسانى فى الحضارة - بما فيه من سياسة واجتماع واقتصاد ودولة وعمران-، فى هذه الحضارة الإسلامية يدل مصطلح «الشارع على واضع أصول الشريعة، ويختص به، وهذه الأصول ليست إبداعاً إنسانياً كالقانون الطبيعى - فى الحضارة الغربية - وإنما هى «وضع إلهى نزل به الوحي، دينا يتدين به إنسان هذه الحضارة. ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ (١). ولما كانت هذه الشريعة الإلهية، هى خاتمة الشرائع الإلهية لبنى الإنسان، فلقد وقف «شارعها» - الله، سبحانه وتعالى - فيها وبها عند الأصول والمبادئ والقواعد التى حددت النهج فيما هو متغير ومتطور من شئون الدنيا، مع التفصيل لما هو دينى، أو ما هو من الثوابت الدنيوية التى لا يلحقها تطور أو تغيير. «فالشارع» للشريعة هو الله: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا ﴾ (٢)، ﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ (٣). ومن ثم فإن إنسان هذه الحضارة الإسلامية لا يستطيع - وهو مؤمن بدينه - أن يعطى سلطة التشريع ووصف «الشارع» لغير الله. أما إبداع هذا الإنسان المسلم فى القانون الإسلامى، وسننه القوانين التى تُفَرِّغ عن أصول الشريعة، وتواكب المستحدثات والمتغيرات وتستجيب لكل ما لم تعرض له النصوص والحدود والأصول الإلهية. أما كل هذا الإبداع القانونى الإسلامى فهو «الفقه»، فقه المعاملات. ومن هنا كان تميز «الفقه» عن «الشريعة» فى الحضارة الإسلامية، وكان الله هو «الشارع» لا الإنسان، وكان الإنسان هو «الفقيه»، وليس الله. هنا، نجد أنفسنا أمام نموذج من نماذج المشاحة فى الألفاظ والمصطلحات، ليس فى «المضمون» فقط ولا «الرسالة» فحسب، بل وفى اللفظ والوعاء والأداة أيضاً! (٤).

١. الشورى: ١٣.

٢. الجاثية: ١٨.

٣. المائدة: ٤٨.

٤. عمارة، محمد. قاموس المصطلحات الاقتصادية فى الحضارة الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م، ص ٧.

وإذا كانت العزلة الحضارية - في عالمنا المعاصر وفي ظل ثورة وسائل الاتصال - هي وهم كبير، وإذا كانت المضامين الغربية والغربية لكثير من المصطلحات العربية الإسلامية قد أصبحت جزءاً من واقعنا الفكري والثقافي الداخلي، نظراً لنجاحات التغريب في حياتنا الفكرية والثقافية والإعلامية وإذا كان الحوار بين حضارتنا والحضارات الأخرى، وكذلك الحوار بين تيارات الفكر في واقعنا الثقافي، هو طوق النجاة من الاستقطاب الفكري المدمر لمختلف الفرقاء، إذا كان الأمر كذلك، فإن تحرير مضامين المصطلحات، واكتشاف مناطق الاتفاق ومناطق التمايز في معاني ومفاهيم هذه المصطلحات - وخصوصاً تلك المصطلحات الأكثر شيوعاً، والأكثر إثارة للجدل بين تيارات الفكر في عصرنا وفي واقعنا - هو مهمة أساسية، وأولية بالنسبة لأي حوار فكري حقيقي وجاد ينقذ حياتنا الفكرية من خطر الاستقطاب الحاد، ويوجد «لغة فكرية واحدة» بين الفرقاء المتحاورين. وإذا كانت هذه هي الرسالة التي نطمح أن تحملها صفحات هذا الكتاب تحرير مضامين المصطلحات الأهم والأكثر شيوعاً والأكثر إثارة للجدل والخلاف في حياتنا الفكرية المعاصرة، فإننا - للمزيد من التأكيد على أهمية هذه القضية نقدم - إلحاقاً بهذا التمهيد - صفحات تمثل نموذجاً على ضرورة تحرير مضامين المصطلحات، كشرط أولى وأساسي لأي حوار فكري مثمر وجاد. صفحات من الحوار حول مقاصد الشريعة الإسلامية، تكشف عن ضرورة تحرير مضامين المصطلحات ومفاهيمها ونقدم نموذجاً تطبيقياً لهذه القضية. بعدها، نخلى بين القارئ وبين مفاهيم المصطلحات التي يدور العراك حولها بين الحضارة الغربية وبين حضارة الإسلام وبين العلمانيين والإسلاميين في حياتنا الفكرية المعاصرة^(١).

المطلب الرابع: أمثلة لتحرير مضامين المصطلحات

كتابات كثيرة في حياتنا الفكرية المعاصرة من حقيقة أننا نعاني من فوضى في مضامين المصطلحات، أحدثتها حقبة الاحتكاك بالحضارة الغربية. ففي المصطلح - الوعاء الواحد - أثناء الحوار بين أهل الموروث وأهل الوافد نجد أنفسنا أمام مفاهيم مختلفة، وأحياناً متناقضة، تساق وتقدم في المصطلح الوعاء الواحد الأمر الذي يجعل كثيراً من حواراتنا «حوارات طرشان» - دون أن ندري، بل ودون ذنب من المتحاورين. مما يفرض علينا جميعاً

١. عمارة، محمد، معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام، المرجع السابق. ص ١٢.

أن نجعل الفريضة الأولى لإدارة الحوار فيما بيننا هي البدء بتحديد وتحرير مقاصدنا من المفاهيم والمضامين التي نعنيها ونحن نستخدم المصطلحات، التي تمثل مفاهيمها مناطق للحوارات، وأحيانا المنازعات ^(١) وعلى سبيل المثال:

أولاً: العقلانية

يقترح الدكتور نصر حامد أبو زيد مبدأ "العقلانية" ليكون واحداً من المبادئ الكلية الثلاثة لمقاصد الشريعة، وليس هناك عاقل يعي إسلامه يختلف على ضرورة العقل والعقلانية. والقدماء الذين ينتقدون الدكتور نصر قد جعلوا «الحفاظ على العقل» من الضرورات والمبادئ والمقاصد الكلية للشريعة قبل أكثر من ألف عام. لكن .. أي عقل ؟ وأية عقلانية ؟ تلك هي القضية التي تحتاج - كي نتبين مواقفنا وانتماءاتنا - إلى تحرير مضامين ومفاهيم المصطلحات. هل هو العقل: العضو المادي، الذي تفرز حركته الفكر - كما رأى ويرى الماديون وبعض الوضعيين ؟ هل هو «الجوهر المجرد، كما قال كثير من القدماء الفلاسفة؟ أم هو الغريزة والملكة واللطفية الربانية المتعلقة بالقلب والجوهر واللب الإنساني؟. فعلى تحديد المراد من «العقل» يتحدد المراد من «العقلانية». إذ هناك عقلانية التنوير الغربي وشعارها: لا سلطان على العقل إلا للعقل وهي بذلك تنفي وتنكر - بل وتستنكر - سلطان الوحي على عقلانية الإنسان، وترى في «العقل» والتجربة سبيل المعرفة المؤتمنين على تحصيل المعارف التي تستحق الاحترام. بينما هناك «العقلانية المؤمنة، التي تبلورت في علم التوحيد - الكلام - الإسلامي، لتقرير الدين وليس لنقضه، وهي التي تقرر «النقل» ب «العقل» وتحكم «العقل» ب «النقل» إيماناً منها بأن العقل هو ملكة إنسان محدود الإدراك نسبي المعارف، بينما «النقل» هو نبأ ذي العلم المطلق والمحيط، سبحانه وتعالى. ففيه ما لا يستقل العقل بإدراكه. وهذه «العقلانية المؤمنة - بعد إضافتها «الوحي» إلى «الكون في مصادر المعرفة تجعل سبل المعرفة أربع هدايات، هي: العقل، والنقل، والتجربة الحسية والوجدان. فلا تقف بسبل المعرفة، فقط عند العقل، والتجربة - كما صنعت عقلانية التنوير الغربي - الوضعية والمادية. فعن أي عقل وعن أية عقلانية يجرى الحديث؟ عقلانية: استبعاد «الشرع»، و لا سلطان على العقل إلا للعقل؟ أم عقلانية المؤاخاة بين الشريعة والحكمة -

١. المرجع السابق نفسه، ص ١٥

بتعبير ابن رشد-، تلك التي بلغ الغزالي القمة عندما ميزها وحددها فقال: "إن أهل السنة قد تحققوا أن لا معاندة بين الشرع المنقول والحق المعقول، وعرفوا أن من ظن وجوب الجمود على التقليد، واتباع الظواهر، ما أثوا به إلا من ضعف العقول وقلة البصائر، وأن من تغلغل في تصرف العقل حتى صادموها به قواطع الشرع، ما أثوا به إلا من خبت الضمائر. فميل أولئك إلى التفريط، وميل هؤلاء إلى الإفراط، وكلاهما بعيد عن الحزم والاحتياط. فمثال العقل: البصر السليم عن الآفات والآذء، ومثال القرآن: الشمس المنتشرة الضياء، فأخلق بأن يكون طالب الاهتداء المستغنى إذا استغنى بأحدهما عن الآخر في غمار الأغبياء. فالمعرض عن العقل، مكتفيا بنور القرآن، مثاله: المتعرض لنور الشمس مغمضا للأجفان، فلا فرق بينه وبين العميان. فالعقل مع الشرع نور على نور^(١). فعن أى عقل وعن أية عقلانية نتحدث؟ إن المطلوب، أولا، هو تحرير مضمون المصطلح، حتى نعلم أ هذه العقلانية هى من مقاصد الفلسفات التي قامت على أنقاض الشرائع؟ أم هى من المقاصد والمبادئ الكلية للشريعة الإسلامية؟! ^(٢).

ثانياً: الحرية

ومثل ذلك حديث الدكتور نصر عن «الحرية» -باعتبارها المبدأ الكلى الثانى فى مقاصد الشريعة- فليس هناك خلاف على «المبدأ» -بل كما سبقت الإشارة. فلقد أضاف الشيخ الطاهر بن عاشور^(٣) إلى المقاصد الخمسة «مقصد الحرية». لكن تظل الحاجة قائمة وماسة لتحرير مرادنا بمضمون ومفهوم «الحرية». إذا كانت الحرية هى نقيض «العبودية»، فلا بد من تحديد: حرية من؟ وفي مواجهة العبودية لمن؟. فالمؤمن يرى فى ذل العبودية لله

١. الاقتصاد فى الاعتقاد، طبعة المطبعة المحمودية التجارية - القاهرة - بدون تاريخ، ص ٢٣، ٢٤.

٢. عمارة، محمد، معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام، المرجع السابق. ص ١٦.

٣. ابن عاشور (١٢٩٦ - ١٣٩٣ هـ = ١٨٧٩ - ١٩٧٣ م) محمد الطاهر بن عاشور: رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس. مولده ووفاته ودراسته بها. عين (عام ١٩٣٢) شيخا للإسلام مالكيًا. وهو من أعضاء المجمعين العربيين فى دمشق والقاهرة. له مصنفات مطبوعة من أشهرها (مقاصد الشريعة الإسلامية) و (أصول النظام الاجتماعى فى الإسلام) و (التحرير والتنوير) فى تفسير القرآن، صدر منه عشرة أجزاء، و (الوقف وآثاره فى الإسلام) و (أصول الإنشاء والخطابة) و (موجز البلاغة) ومما عني بتحقيقه ونشره (ديوان بشار بن برد) أربعة أجزاء. وكتب كثيرا فى المجالات. انظر: الأعلام للزركلى ج ٦/ص ١٧٤.

قمة الحرية، وهذه الحرية هي عكس ما يراه الماديون والوضعيون. والإنسانة المؤمنة لا ترى في حقوق الله في «العفة» قيوداً تنتقص من حريتها. بينما غير المؤمنة ترى في «العفة» استعباداً، فترفع شعار الحرية الجنسية، قائلة - كما في بعض المجتمعات المعاصرة: "هذا جسدي .. أنا حرة فيه". وبينما يرى المؤمن في الشهوات والغرائز المحرمة قيوداً على الحرية واستعباداً لعقله وروحه، يرى فيها غير المؤمن تحقيقاً لألوان من الحريات الإنسانية يقيم في سبيل الحصول عليها الأحزاب، ويفجر من أجلها الثورات. والمسلم يرى حريته حرية الإنسان الخليفة لله في استعمار الأرض. فهي حرية محكومة ومحدودة بحدود الله وحقوق الإنسان في هذه الحرية محدودة بحقوق الله، التي تمثل بنود عقد وعهد الاستخلاف. بينما الإنسان المادي والوضعي يرى حريته حرية الإنسان: سيد الكون فلا حدود ولا قيود على حريته إلا حدود الحرية والاختيار، كما أنه لا سلطان على عقله إلا لعقله. بينما الإنسان المسلم - الخليفة لله - هو سيد في الكون، وليس سيد الكون» وبعبارة الإمام محمد عبده: «هو عبد الله وحده وسيد لكل شيء بعده»^(١). فالقضية ليست الاتفاق على تبني مصطلح «الحرية» ورفض مصطلح «العبودية» وإنما هي - كما رأينا - قضية تحرير وتحديد مضامين المصطلحات وذلك حتى لا نعيش في وهم «الأمة الواحدة ذات الثقافة الواحدة بينما نحن في الحقيقة - «أمتان» و «ثقافتان». والملاحظة الثانية: هي على قول الدكتور نصر: إن «العقل هو مركز المشروع الإسلامي» والحق أن «العقل» في المشروع الإسلامي - هو واحد من الهدايات الأربع، التي تمثل سبل المعرفة في الإسلام: العقل والنقل والتجربة والوجدان وهذا هو الذي يجعله عقلاً مؤمناً، لأنه غير منفرد بتحصيل المعرفة، وإنما هو جزء من كل، تتكون منه سبل المعرفة في نظرية المعرفة الإسلامية، أما مركز المشروع الإسلامي، فهو: التوحيد للذات الإلهية في الذات والصفات والخلق والأفعال والتدبير والرعاية والعناية. والاستخلاف الإلهي للإنسان في استعمار الأرض. فهذا هو التصور الإسلامي الجامع لفلسفة «المشروع الإسلامي» في العلاقة بين الله والعالم والإنسان. إله واحد وعالم مخلوق الله، تحكمه وتسيره أسباب، الأخرى مخلوقة لمسبب الأسباب. وإنسان، خليفة الله، قد سخرت له ظواهر العالم والطبيعة لتعينه على أداء أمانة الاستخلاف في عمران الأرض، وفق

١. المرجع السابق نفسه، ص ١٧.

بنود عقد وعهد الاستخلاف، الأمر الذى يعطى كل مفاهيم المصطلحات -ومنها العقلانية والحرية والعدالة - خصوصيات إسلامية تميزها عن نظائرها في الفلسفات والأنساق الفكرية الأخرى. هذا "مركز المشروع الإسلامي" وجماع التصور الإسلامى والعقل فيه واحد من الهدايات وليس هو مركز المشروع! أقول هذا وأنا من أكثر الذين خدموا فكر العقلانية الإسلامية -التراثي منه والمعاصر - حتى لقد صرت متهما» من «النصوصيين -المقلدين ومن «الظاهرية الجديدة» بأنى رائد التيار العقلاني» -وهو شرف لا أدعيه و«اتهام» لا أنفيه. لكن الحق أحق بأن يقال وأجدر بالاتباع!

ثالثاً: السنن

يقول الدكتور عمارة: والملاحظة الأخرى: هى قول الدكتور نصر: "إن سنن التاريخ، هي السنن التي تمثل القوانين الكلية التي عبر عنها القرآن الكريم ب سنة الله التي لن تجد لها تبديلاً"^(١). وأنا أتساءل: عندما يسمى القرآن الكريم السنن والقوانين ب «سنن الله»، فلماذا نقول عنها: إنها «سنن التاريخ»؟! إنها في القرآن، مضافة إلى «فاعلها» ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ (٣٨) ﴿سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ (٨٥) ﴿فَلَنْ يَجْدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ يَجْدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ (٤٣). فلماذا نضيفها إلى «التاريخ»؟ وهل فاعلها هو «التاريخ» وليس «الله»؟! إن التاريخ هو «ظرفها ومحلها وسياقها، وليس هو الفاعل لهذه السنن والقوانين وتلك مشكلة في «التعبير» -الذى قد لا يكون مقصودا- تثير قضية تسرب المفاهيم المادية والوضعية إلى ثقافتنا المؤمنة» وذلك من مثل مقولات: «المادة لا تفنى، ولا تُستحدث»! و«المصريون القدماء أبدعوا التوحيد قبل الديانات»!. مع أن الإيمان يعلمنا أن الإنسانية قد بدأت بالنبوة والتوحيد- الخ.. الخ. إن الإنسان في الرؤية الإسلامية، يصنع التاريخ، وفق سنن الله، ولو

١. أبوزيد، نصر حامد. الخطاب والتأويل، الطبعة الأولى، القاهرة، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٠م، ص ٢٠٥.

٢. الأحزاب: ٦٢.

٣. غافر: ٨٥.

٤. فاطر: ٤٣.

كانت السنن التي لا تبدل لها، هي سنن التاريخ، لما كان بمقدور الإنسان صنع التاريخ، لأنه سيكون عبداً لسنن التاريخ التي لا يستطيع لها تبديلاً ولا تحويلاً.

والملاحظة الأخرى: هي على قول الدكتور نصر: (إنه لا خوف على عقائدنا وديننا من منهجيات العلوم الإنسانية المتطورة وإنما الخوف من الجمود والتقليد، اللذين يمثلان حصون الدفاع في المؤسسات التقليدية). والرأى عندى وأنا الذى قدمت عشرات الكتب فى نقد الجمود والتقليد والدعوة إلى الإحياء والتجديد- أن الخوف يجب أن يكون من شقى التقليد ولونيه ومصدره:

(أ) التقليد لتجارب سلفنا ومناهج قدمائنا، والجمود عليها، والوقوف عندها وحدها.

(ب) والتقليد لتجارب الآخر الحضارى، ومناهج العلوم الإنسانية والتصورات الفلسفية عند هذا الآخر، والجمود عليها، والوقوف عندها.

ونقطة البدء -التي لابد من الاتفاق عليها - أو جلاء الاختلاف فيها - مع الحوار حولها - هي:

١. أننا أبناء حضارة متميزة، مع تحديد نطاق التميز وسماته ومعالمه، أى نطاق ومعالَم الثوابت الحضارية الإسلامية الممثلة للهوية»، التي تحفظ على الحضارة وحدتها وتواصل إسلاميتها عبر الزمان والمكان.
٢. وأن هذا التميز الحضارى هو معيار القبول والرفض من موروثنا الفكرى ومن الموارِث الفكرية للحضارات الأخرى.
٣. وأن «التجديد» سنة وقانون أبدى "إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا"^(١) وأن «الاجتهاد فريضة أبدية وهما -التجديد والاجتهاد - السبيل لتطوير النسق الفكرى الإسلامى المتميز من داخله، وأن هذا اللون من التجديد -التطور من داخل النسق- مخالف ومختلف عن الجمود على موروثنا

١. أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، ٧ أجزاء، الطبعة الأولى، المحقق: شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره بللي، بيروت، دار الرسالة العالمية، ٢٠٠٩م، رواه عن أبي هريرة رضي الله عنه، كتاب: الملاحم، باب: ما يذكر في قرن المائة، رقم الحديث: ٤٢٩١ وقال الشيخ الألباني: صحيح، ج ٤ ص ٣٤٩.

والتقليد لسلفنا ومخالف ومختلف عن «الحداثة» التي تنكر «الثابت»، والتي تقيم
قطيعة معرفية» مع الأصول والمبادئ والمبادئ والجذور.

أى أن ما نسميه "المعاصرة" ليست هي الحداثة الغربية التي إذا استعرتها وأضفناها إلى
أصالتنا، كنا قد جمعنا الحسنيين، وأمسكنا بطرفي المجد، وبلغنا غاية المراد من رب العباد،
وإنما «المعاصرة» هي تفاعل مع عصرنا نحن، وإذا كانت لنا أصالة متميزة -وهي كذلك-
فإن معاصرنا -أى تفاعلنا مع عصرنا، لابد وأن تكون متميزة كذلك. ويزيد من أهمية هذه
الملاحظة، ما حدده الدكتور نصر لأمتنا من مهام، أوجزها في عبارة «اللاحق بركب التقدم
والمدينة» وهو قول يثير تساؤلنا: -هل مهمتنا- حقا هى اللاحق بالركب؟! أم أنها هي
النهوض لقيادة ركب متميز حضاريا؟! إن اللاحق بالركب هو أمنية المهزوم نفسيا -اللاحق
بركب المنتصر-، أما نحن، فإننا نجادل ونمارى فى أن «الآخر» -المنتصر ماديا- هو
«المتقدم» بالمعنى الحقيقي والمتكامل والمتوازن «للتقدم». فللتقدم مفاهيم متعددة
وللحضارات فيه مذاهب شتى، ومذهب الإسلام فى التقدم، متميز عن المذهب الباطني -
الذى يسعى إلى «فناء الخلق فى الحق»- وعن المذهب المادى والوضعى- الذى يضع
الخلق على عرش الحق» ومن ثم فإن مهمة المشروع الإسلامى ليست «اللاحق بالركب»،
وإنما النهوض لقيادة ركب حضارى متميز، يجسد نموذجا حضاريا متميزا يكون فيه الخلق
خلفاء للخلق. وإذا كانت مأساتنا هي الفقر فى «الإبداع» ، والإفراط فى «التقليد»، فإن
الإبداع سىظل غائبا من حياتنا ما لم نتفق على أننا أصحاب نموذج حضارى متميز وإلا فما
الحاجة للاختراع والإبداع إذا كانت «البضاعة - النموذج» جاهزة، ومعلبة، ومعرضة من قبل
الآخرين؟! (١)

والملاحظة الأخيرة - هي حول دعوى الدكتور نصر حامد أبو زيد أن المبادئ الثلاثة -التي
يقترحها لتكون مقاصد للشريعة -وهي العقلانية والحرية والعدالة - هي برأى المبادئ الكلية،
بينما المبادئ الخمسة التي حددها القدماء مقاصد للشريعة -والتي بلغت ستة عند الطاهر
بن عاشور وهي: الدين، والعقل، والنفس، والعرض، والمال، والحرية -هي برأى الدكتور

١. انظر: عمارة، محمد، معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام، المرجع السابق. ص ١٩.

نصر- «مبادئ جزئية» وليست كلية وأنها يمكن أن تندرج تحت مبادئ الدكتور نصر. والسؤال هو: هل هذا صحيح أم أن العكس هو الصحيح؟!

ملخص: إننا إذا تأملنا المقاصد الكلية للشريعة الإسلامية، كما استنبطها وحددها الأصوليون -وإذا أعطاها عقلنا المعاصر أبعادها الحقيقية- وهي أبعاد مفتوحة الأبواب والميادين أمام الاجتهاد الإسلامي، فسنجد أنفسنا أمام منظومة جامعة لأركان ومقومات وضرورات الاجتماع الإنساني، تلك التي بدونها لا يستقيم «ال عمران البشرى على صراط الفطرة الإنسانية السوية. فالحفاظ على «النفس» هو التعبير عن «الإنسان»: حامل أمانة إقامة العمران ومكانته السامية في العمران الإنساني. والحفاظ على «العقل» هو التعبير عن جوهر إنسانية الإنسان، الذي تميز به عن سواه من المخلوقات، عندما انفرد بالتكليف الاختياري، الذي تأسست عليه «المسئولية والحساب والجزاء» والحفاظ على «الحرية» -وهو المقصد الذى أضافه الشيخ الطاهر بن عاشور - هو المعبر عن الأمانة التي حملها الإنسان في الاستخلاف، بعد ما أبت المخلوقات الأخرى حملها وفي نطاقها وحدودها تتمثل المذهبية الإسلامية التي حددتها نظرية الخلافة والاستخلاف. والحفاظ على العرض والنسب هو التعبير عن قوام وأساس بناء «الأسرة»، أولى لبنات الاجتماع في كيان الشعب والأمة. والحفاظ على «المال» هو التعبير عن قوام الرخاء الإنساني والعدالة الاجتماعية وزينة الحياة الدنيا بعمران الواقع المادى لهذه الحياة. والحفاظ على «الدين» هو التعبير عن ضبط كل مقومات العمران الإنساني بالضوابط الإلهية، التي تحفظ لهذا العمران -مع التطور والارتقاء- الروح الإلهية والصبغة الدينية التي تضمن التواصل والوحدة في «الهوية»، رغم «متغيرات الزمان والمكان وذلك على النحو الذي يجعل هذا العمران الإنساني: عمران الإنسان: الخليفة لله، وليس عمران الإنسان: المتمرد على مولاه»! تلك هي مكانة مقاصد الشريعة من قضية العمران «البشرى» وهي مكانة: المبادئ الكلية الحاكمة والمقومات والضرورات. وإذا كان التأمل - بادی الرأي - ومن الكافة، فضلا عن أهل الاختصاص -يقول إن المبادئ الثلاثة التي يقترحها الدكتور نصر هي موجودة بالفعل في الكليات الست التي حددها الأصوليون. فمن الذى يستوعب من؟! وأين الجديد الذى أثمرته القراءة الجديدة للنصوص الدينية، بالمناهج الجديدة التي غفل عنها الأصوليون، -عندما وقفوا فقط عند الدلالات اللغوية- كما ادعى

عليهم الدكتور أبو زيد؟! إن «العقلانية» -التي يقترحها الدكتور نصر- هي منهاج في النظر، مكانها الطبيعي في المبدأ الكلى - مقصد: الحفاظ على العقل - كذلك العدالة - كمنهج في حل المشكلة الاجتماعية - مندرجة في المبدأ الكلى - مقصد: «الحفاظ على المال»، و«الحرية»: مقصد قائم بذاته -أضافه الشيخ الطاهر بن عاشور- فليس هناك - كما رأينا جديد تضيفه القراءة «الجديدة» للدكتور نصر في هذا المجال. اللهم إلا إذا كان الجديد هو الخوف والاستبعاد، وليس الإضافة والاستيعاب. وإذا كان من غير المتصور أن يدعو الدكتور نصر إلى الحذف والاستبعاد لمبدأ «الحفاظ على النفس - أى الإنسان والحياة - فإن النتيجة الوحيدة لهذه القراءة «الجديدة»، والمقترحات الجديدة ستكون استبعاد مبدأى "الحفاظ على العرض" و "الحفاظ على الدين" من مقاصد الشريعة الإسلامية، وهى نتيجة أستبعد يسعى إلى تقريرها وتحقيقها الدكتور نصر حامد أبو زيد، بل وأعيذه من أن تكون هذه هي المقاصد الكلية لقراءته الجديدة للنصوص الدينية. ثم من الذى يقول إن مبدأ الحفاظ على الدين هو «مبدأ جزئى»، وليس من «المبادئ الكلية»؟!، فأين تكون الكلية إذا لم تكن في «الإطلاق والخلود والشمول» الذى يختص به الدين، والدين الإسلامى على وجه الخصوص؟! إن أغلب حواراتنا هى ضحايا بئسة للفوضى الشائعة في مضامين المصطلحات. وعلينا - كى يفهم كل منا الآخر، ولتحديد مناطق الاتفاق، ومناطق الاختلاف، ولتنظيم حوار موضوعى وجاد وبناء، أن نبدأ بتحرير وتحديد مضامين ومفاهيم المصطلحات^(١).

المبحث الثالث: العلمانية الملحدة

المطلب الأول: المصطلح وملايسات النشأة

مصطلح «الْعَلْمَانِيَّة»، هو الترجمة التي شاعت -مصر والمشرق العربي- للكلمة الإنجليزية "SECULARISM" بمعنى الدنيوى والعالمى والواقعي -من الدنيا والعالم والواقع - المقابل للمقدس أي الدينى الكهنوتى النائب عن السماء، والمحتكر لسلطتها، والمالك لمفاتيحها، والخارق للطبيعة وسننها، والذي قدس الدنيا قداسة الدين، وثبت متغيراتها -

١. انظر: المرجع السابق نفسه، ص ٢٠.

العلمية والقانونية والاجتماعية- ثبات الدين ^(١). ولأن هذا هو معنى المصطلح، في نشأته وملايساته الأوربية -النزعة الدنيوية والمذهب الواقعي في تدبير العالم من داخله، وليس بشرية من ورائه- فلقد كان قياس المصدر هو «العالمية» أو «العلمانية». لكن صورته غير القياسية -«العلمانية»- هي التي قدر لها الشيوع والانتشار، والعلمانية، كنزعة في تدبير العالم، وكمذهب في المرجعية الدنيوية لشئون الإنسان، لا يمكن فهمها -ومن ثم فهم الموقف الإسلامي منها- بمعزل عن الملايسات الأوربية، لنشأتها في إطار الحضارة الغربية المسيحية، بجذورها الإغريقية الفلسفية، وتراثها الروماني القانوني، والإضافة المسيحية لهذه الجذور وذلك التراث، وإذا كان التفصيل في هذه القضايا هو مما يخرج هذه الدراسة عن آفاقها ومقاصدها، فإننا نكتفى بالإشارة إلى بعض القضايا في شيء من الإيجاز:

لقد ظلت المسيحية، منذ نشأتها وعبر قرون طويلة من حياتها في المجتمعات الأوربية: دينا لا دولة، وشريعة محبة لا تقدم للمجتمع مرجعية قانونية ولا نظاما ولقد عرفت العلمانية الأوربية -غير التيار المادى الملحد- تيارا مؤمنا بالله استطاع فلاسفته - من أمثال هوبز Hobbs - ^(٢) ولوك Lok ^(٣) وروسو Rousseau ^(٤) -التوفيق بين الإيمان بوجود إله خالق للعالم وبين العلمانية التي ترى العالم مكتفيا بذاته، فتحصر تدبير الاجتماع البشري في سلطة البشر المتحررة من شريعة الله، وكان هذا التوفيق مؤسسا على التصور الأرسطي لنطاق

-
١. انظر: البهي، محمد. العلمانية والإسلام بين الفكر والتطبيق، القاهرة، هدية مجلة الأزهر، ١٤٤٠هـ، ص ١٦. وانظر: الحوالي، سفر بن عبد الرحمن. العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة، المرجع السابق، ص ٢٠-٢٤.
 ٢. توماس هوبز (١٥٨٨-١٦٧٩م) أبو الفلسفة التحليلية، إنجليزي، اشتهر بأعماله في الفلسفة السياسية. نشره كتابه لويثان عام ١٦٥١م والذي كان الأساس لمعظم الفلسفة السياسية الغربية من منظور نظرية العقد الاجتماعي. انظر: د. عبد المنعم الحفني، الموسوعة الفلسفية، ص ٥٠٥.
 ٣. لوك (١٦٣٢ - ١٧٠٤م) يوحنا لوك، يدعى بحق زعيم المذهب الحسي، وأحد كبار ممثلي النزعة التجريبية في إنجلترا، ولقد كان لآراء لوك في السياسة والدين والتربية والفلسفة آثار تجاوزت إنجلترا إلى كل العالم المتحضر، ووضع أسس تجريبية جديدة. انظر: د. عبد المنعم الحفني، الموسوعة الفلسفية، ص ٤٠٢.
 ٤. جان جاك روسو (١٧١٢-١٧٧٨م) هو كاتب وأديب وفيلسوف وعالم نبات جنيفي، يعد من أهم كتاب عصر التنوير، ساعدت فلسفة روسو في تشكيل الأحداث السياسية، التي أدت إلى قيام الثورة الفرنسية. حيث أثرت أعماله في التعليم والأدب والسياسة. يُعتبر كتابه: العقد الاجتماعي حجر الزاوية في الفكر السياسي والاجتماعي الحديث. انظر: د. عبد المنعم الحفني، الموسوعة الفلسفية، ص ٢١٦.

عمل الذات الإلهية. فالله في التصور الأرسطي، واحد مفارق للعالم، وخالق له، لكنه قد أودع في العالم والطبيعة الأسباب التي تدبرهما تديرا ذاتيا، دونما حاجة إلى تدخل إلهي، أو رعاية إلهية فيما بعد مرحلة الخلق، فالحركة توجد في الشيء بذاته ولذاته لا من حيث أن شيئا خارجيا هو الذي يحدث فيه هذه الحركة، وعناية الله موقوفة على ذاته، ولا تدخل له في الأحداث الجزئية في العالم والطبيعة^(١)، فالعالم مكتف بذاته، تدبره الأسباب المودعة فيه، وهو وحده مصدر المعرفة الحقة، القابلة للبرهنة والتعليل، وتدبير الدنيا مرجعيته الإنسان - بالعقل والتجربة - دون رعاية أو تدبير أو تدخل من السماء. هكذا استندت العلمانية في تأسيس «دنيويتها» على التصور الأرسطي لنطاق عمل الذات الإلهية - فهو مجرد خالق، فرغ من الخلق وانحصرت عنايته بذاته، دونما رعاية أو تدبير للمخلوقات - كصانع الساعة الذي أودع فيها أسباب عملها، دون حاجة لوجوده معها وهي تدور! وساعد العلمانية على الانتصار لهذه النزعة، التصور المسيحي لعلاقة الدين بالدولة، فهو تصور يدع ما لقيصر لقيصر، ويقف بالدين عند خلاص الروح ومملكة السماء، دون أن يقدم شريعة للمجتمع والدولة، الأمر الذي جعل «سجن» الدين في الكنيسة وفي الضمير الفردي «ثورة تصحيح ديني» وليس عدوانا على الدين. وساعدها على ذلك أيضا، أن التراث الروماني في فلسفة التشريع والتقنين، قد جعل «المنفعة»، غير المضبوطة بالدين وأخلاقياته وشريعته السماوية هي المعيار. فكان الطريق إلى القانون الوضعي مفتوحا أمام العلمانية، يزيه هذا التراث. هكذا نشأت العلمانية، في سياق التنوير الوضعي الغربي، لتمثل عزلا للسماء عن الأرض، وتحريرا للاجتماع البشري من ضوابط وحدود الشريعة الإلهية، وحصرها المرجعية تدبير العالم في الإنسان، باعتباره «السيد» في تدبير عالمه ودينه. فهي ثمرة عقلانية التنوير الوضعي، الذي أحل العقل والتجربة محل الله والدين، وهي قد أقامت مع الدين - في تدبير العالم - قطيعة معرفية - وبعبارة واحد من دعاة التنوير الغربي - فلم يعد الإنسان يخضع إلا لعقله، في أيديولوجيا التنوير التي أقامت القطيعة الأبستمولوجية - (المعرفية) - الكبرى التي تفصل بين عصرين من الروح البشرية: عصر الخلاصة اللاهوتية للقديس توما الأكويني، وعصر الموسوعة لفلاسفة التنوير. فراح الأمل بمملكة الله ينزاح لكي يخلو المكان لتقدم عصر العقل

١. د. عبد الرحمن بدوي (موسوعة الفلسفة) - مادة أرسطو طاليس - ص ١٠٤ - ١٠٦.

وهيمنت، وراح نظام النعمة الإلهية ينمحي ويتلاشى أمام نظام الطبيعة وأصبح حكم الله خاضعا لحكم الوعي البشرى، الذي يطلق الحكم الأخير باسم الحرية. إنها عزل السماء عن الأرض، والدين عن الدنيا، وإحلال الإنسان -في تدبير العمران البشرى- محل الله! (١)

المطلب الثاني: الأصول الإسلامية لرفض العلمانية

يقول الدكتور محمد عمارة: إذا كان التصور الأرسطى لنطاق عمل الذات الإلهية وهو «الخلق» دون "الرعاية والتدبير للعالم والطبيعة والعمران الإنساني" وهو التصور الذي لم يناقضه التصور النصراني الذى ترك ما لقيصر لقيصر، دون تدخل من الله في ما لقيصر والذي دعمته فلسفة التشريع الرومانية التي جعلت مقاصد التشريع تحقيق المنافع والمصالح الدنيوية، دونما ربط لها بالأخلاقيات الدينية أو القيم الإيمانية أو السعادة الأخروية، إذا كانت هذه التصورات والمنطلقات فى الموروث الحضارى الغربى، قد فتحت الطريق أمام رد الفعل العلماني على استبداد الكنيسة واحتكار اللاهوت للدنيا والدولة والاجتماع والمعارف والعلوم، بحسبان العلمانية، التي تعزل السماء عن الأرض، وتحرر العمران الإنسانى من الضوابط الدينية، وتطلق الحرية للإنسان في سياسة المجتمع كسيد للكون، بحسبان هذه العلمانية هي الأقرب للتصور الأرسطى لنطاق عمل الذات الإلهية، ولدعوة النصرانية أن نترك ما لقيصر لقيصر، وفلسفة التشريع الرومانى فى تحرير القانون من القيم الإيمانية والمقاصد الشرعية. فالتصور الإسلامى لنطاق عمل الذات الإلهية يتعدى حدود الخلق للمخلوقات إلى حيث يكون الله سبحانه وتعالى، أيضا الراعى والمدبر لكل عوالم وأمم وعمران المخلوقات. لقد سقّه القرآن الكريم تصور الوثنية الجاهلية -وهو ذاته التصور الأرسطى- لنطاق عمل الذات الإلهية فهو فى التصورين مجرد خالق، بينما التدبير للدنيا والعمران موكول -فى الأرسطية- إلى الإنسان والأسباب المودعة فى الطبيعة وظواهرها -وهو- فى الوثنية الجاهلية موكول إلى الشركاء والأصنام والطواغيت (٢).

١. انظر: عمارة، محمد. علمانية المدفع والإنجيل التحالف غير المقدس بين المدفع العلماني وإنجيل المنصرين، الإسماعيلية، مكتبة الإمام البخاري، ٢٠٠٧م، ص ٥٠.

٢. عمارة، محمد. العلمانية بين الغرب والإسلام، الكويت، دارالدعوة للنشر والتوزيع، ١٩٩٦م، ص ١٨.

لقد سفه القرآن الكريم هذا التصور عندما قال: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَن خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٢٨﴾﴾^(١). فجعل الخلق لله، والتدبير لغير الله تصور جاهلي مرفوض ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرِزْقِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾^(٢). فهذه القسمة -الشبيهة بالمفهوم العلماني لشعار: «الدين لله والوطن للجميع». هي سوء حكم للجاهليين يسفها القرآن ويرفضها التصور الإسلامي لنطاق عمل الذات الإلهية وفي مقابل ذلك يقدم الإسلام تصورها ره لنطاق عمل الذات الإلهية: خالق كل شيء، ومدبر كل أمر. حتى ما هو مقدور للإنسان، وداخل في نطاق قدرته وإرادته وفعله، هو فيه خليفة الله سبحانه، يدبره الإنسان، بإرادة إلهية، وتكليف شرعي، كخليفة لله، ملتزم بشريعته، التي تمثل عقد وعهد الاستخلاف، وكعبد لسيد الوجود، وليس كسيد لهذا الوجود! فله -في التصور الإسلامي- «الخلق» و «التدبير» جميعاً! قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾^(٣)، ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٥﴾﴾^(٤)، ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمُوسَى ﴿٥٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴿٥٠﴾﴾^(٥). فليس التصور الإسلامي لنطاق عمل الذات الإلهية بالذي يحدد نطاق عمل الله في الخلق وحده، محورا الطبيعة والعالم والاجتماع والإنسان من معالم وضوابط التدبير الإلهي والرعاية الإلهية لعوالم

١. الزمر: ٣٨.

٢. الأنعام: ١٣٦.

٣. يونس: ٥٣.

٤. الاعراف: ٥٤.

٥. طه: ٤٩، ٥٠.

المخلوقات. فكل شيء في هذا التصور الإسلامي، هو لله، حتى ما هو للإنسان فهو له بحكم الاستخلاف والوكالة والنيابة لله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ (١). كفى بهذه الآية وحدها معبرة عن إيمان المسلم بالحضور والتدبير الإلهي في كل شيء، حتى لتبلغ الحرية الإنسانية ذروتها إذا بلغ المؤمن ذروة العبودية لله؟! (٢). لقد استأثر، سبحانه، بالخلق والأمر -أى بالإيجاد والتدبير جميعا- واستخلفنا في استعمار الأرض، فجعل لنا الشورى فى الأمر والتدبير لل عمران والإرادة والقدرة والاستطاعة لإقامة الدين وصناعة العمران وصياغة الحياة وتحديد مسارات التواريخ، كخلفاء الله: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ (٣)، ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ (٤)، ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (٥)، ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِيَ الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنِيطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٦). هكذا يقطع التصور الإسلامي لنطاق عمل الذات الإلهية الطريق على العلمانية، فمحال أن يجتمع ويتوافق في قلب المسلم تصور الله مدبرا لكل شيء وراعيا لكل أمر، مع تصور عزل السماء عن الأرض، وتحرير العمران الإنساني من ضوابط وحدود تدبير الله وكما تميز ميراثنا الحضاري عن الميراث الحضاري الغربي، في تصور عمل الذات الإلهية، ومن ثم فى مكانة الإنسان في هذا الوجود. كذلك تميزت فلسفة التشريع في النسق القانوني الإسلامي -سواء في مبادئ الشريعة الإسلامية وقواعدها ومقاصدها- والتي

١. الانعام: ١٦٢، ١٦٣.

٢. عمارة، محمد، معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام، المرجع السابق، ص ٣٣.

٣. آل عمران: ١٥٩.

٤. الشورى: ٣٨.

٥. النساء: ٥٩.

٦. النساء: ٨٣.

هي وضع إلهي أم في فقه معاملاتها الذي هو إبداع الفقهاء المسلمين المحكوم بمبادئ الشريعة وقواعدها وحدودها ومقاصدها^(١).

لقد تميزت فلسفة الإسلام في التشريع عندما ربطت المنفعة بالأخلاق و المصلحة بالمقاصد الشرعية و سعادة الدنيا بالنجاة يوم الدين. فأغلقت هذه الفلسفة التشريعية الإسلامية الطريق أمام القانون الوضعي-العلماني مانعة إمكان تعايشه مع النسق التشريعي الذي يحكم سلطات الأمة في التقنين بسيادة حاكمية الوضع الإلهي لحدود الشريعة ومبادئها وقواعدها ومقاصدها. فالمصلحة التي يتغياها القانون الإسلامي هي المصلحة الشرعية المعبرة وليست مطلق «المصلحة» و«المنفعة» التي يريد الفقه الإسلامي جلبها ليست اللذة أو الشهوة أو مطلق المنفعة بالمعايير الدنيوية الخالصة للدنيا، ذلك لأن المسلم لا يحض ربه «صلاته» و «نسكه» فقط، وإنما يحضه، مع الصلاة والنسك، جماع المحيا والممات ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٢). تلك هي «العلمانية»: التوجه والنشأة والملابسات وهذا هو موقف الإسلام والفكر الإسلامي منها، سواء في اجتهاد ات تيار الإحياء والتجديد الحديث، أم في الأصول والمنطلقات الإسلامية أم في إبداع فكرنا الإسلامي الوسيط.

المطلب الثالث: إنبهار بعض المثقفين المسلمين بالعلمانية الغربية

أما الذين انبهروا -من مثقفينا المحدثين- بالعلمانية الغربية، فتبنوها، ودعوا إلى سلوك طريقها في نهضتنا، كما حدث للغربيين في نهضتهم وقالوا عن علاقة الدين بتدبير الدولة والمجتمع والعمران: يا بُعد ما بين السياسة والدين^(٣). "إن السياسة شيء والدين شيء آخر" و"إن وحدة الدين ووحدة اللغة لا تصلحان أساسا للوحدة السياسية ولا قواما لتكوين الأوطان"^(٤).

١. انظر: عمارة، محمد. علمانية المدفع والإنجيل التحالف غير المقدس بين المدفع العلماني وإنجيل المنصرين، الإسماعيلية، مكتبة الإمام البخاري، ٢٠٠٧م، ص ٦٧.

٢. الانعام: ١٦٤.

٣. علي، عبد الرازق، الإسلام وأصول الحكم بحث في الخلافة والحكومة في الإسلام، الطبعة الثالثة، القاهرة، مطبعة مصر، ١٩٢٦م، ص ٦٩.

٤. طه، حسين. مستقبل الثقافة في مصر، القاهرة، مؤسسة هنداوي، ٢٠١٤م، ص ٢٣-٢٤.

فلقد كانوا هم الذين نظروا إلى إسلامنا بمنظار نصراني -فسووا- في علاقة الدين بالدولة والسياسة بين الإسلام والنصرانية، كما نظروا إلى تراثنا وحضارتنا، وإلى «العقل الشرقي المسلم الذي أبدع هذا التراث وصنع الحضارة، بمنظار غربي.. فرأوا الخلافة الإسلامية كهانة مستبدة تحكم بالحق الإلهي المقدس ورأوا في العقل المسلم عقلا يونانيا، منذ القدم، وبعد التدين بالإسلام. لأن القرآن -عندهم- كالإنجيل، والإسلام -عندهم- كالنصرانية، ومحمد -عندهم- كان كالخالد من الرسل، لا شأن له بسياسة الدولة أو تدبير الاجتماع أو بناء العمران؟! لقد ضُربت عقولهم في مصانع الفكر الغربي، فقالوا: إن العقل الشرقي هو - كالعقل الأوربي - مرده إلى عناصر ثلاثة: حضارة اليونان وما فيها من أدب وفلسفة وفن، وحضارة الرومان وما فيها من سياسة وفقه، والمسيحية وما فيها من دعوة إلى الخير وحث على الإحسان». وكما لم يغير الإنجيل من الطابع اليوناني للعقل الأوربي. فكذلك القرآن، لم يغير من الطابع اليوناني للعقل الشرقي، لأن القرآن إنما جاء متمما ومصدقا لما في الإنجيل^(١). وإن الحضارة العربية والحضارة الفرنسية يقومان على أساس واحد، هو في نهاية الأمر الحضارة اليونانية اللاتينية^(٢).

لقد شوهت المناهج الغربية رؤاهم، وزيفت وعيهم، فرأوا إسلامنا نصرانية وخلافتنا كهانة وقرآنا إنجيلا وشريعتنا قانونا رومانيا، ومن ثم رأوا «الحل العلماني» هو طريقنا إلى النهوض، كما كان حاله في سياق النهضة الأوربية الحديثة. وإذا كان هذا «التغرب» أمرا قابلا للتفسير دون التبرير، فإن الأمر الذي يبلغ في الغرابة حد «الكارثة» هو الموقع الذي قادت إليه العلمانية بعضا من مثقفينا الذين تمذهبوا بمذهبها، موقع التبعية للحضارة الغربية الغازية، والولاء للمركزية الغربية العنصرية. بل وإعلان التسليم والاستسلام لإرادة الغرب في استلابنا واحتوائنا وإلحاقنا بنموذجه الحضاري في الإدارة والحكم والتشريع، وإلا فماذا تعنيه كلمات الدكتور طه حسين (١٣٠٦ - ١٣٩٣ هـ ١٨٨٩ - ١٩٧٣ م): لقد «التزمنا أمام أوروبا أن نذهب مذهبها في الحكم، ونسير سيرتها في الإدارة، ونسلك طريقها في التشريع. التزمنا هذا كله أمام أوروبا.

١. انظر: المرجع السابق نفسه، ص ٢٧.

٢. طه، حسين. من الشاطئ الآخر، كتابات طه حسين الفرنسية التي جمعت وترجمت بعد وفاته، جمعها وترجمها: عبد الرشيد صادق، الطبعة الأولى، القاهرة، دار الهلال، ١٩٩٧ م، ص ٢٥٨.

وهل كان إمضاء معاهدة الاستقلال - (١٩٣٦م) - ومعاهدة إلغاء الامتيازات - (١٩٣٨م) - إلا التزاما صريحا قاطعا أمام العالم المتحضر بأننا سنسير سيرة الأوروبيين في الحكم والإدارة والتشريع؟^(١). إن هذا «الاعتراف» العلماني بالالتزام بما ألزمتنا به الغرب، من أن «نسير سيرة الأوروبيين في الحكم والإدارة والتشريع، ينقل قضية تبني العلمانية في بلادنا إلى مستوى آخر. فالقضية تتجاوز أحيانا دائرة الاختلاف في الفكر، لتصب -بوعى أو بغير وعى- في خانة التفريط في الاستقلال؟! وإذا كان الدكتور طه حسين قد تجاوز هذا الإنبهار بالغرب، والالتزام بما سعت أوروبا إلى إلزامنا به^(٢) فإن كلماته هذه تذكرنا بكلمات موقظ الشرق وفيلسوف الإسلام جمال الدين الأفغاني، التي قال فيها: «لقد علمتنا التجارب أن المقلدين من كل أمة، المنتحلين أطوار غيرها، يكونون فيها منافذ لتطرق الأعداء إليها وطلائع الجيوش الغالبيين وأرباب الغارات يمهدون لهم السبيل، ويفتحون الأبواب، ثم يثبتون أقدامهم^(٣)؟! فإسلامية الدولة وإسلامية القانون، فضلا عن أنهما من فرائض الإسلام، فإنهما من معالم الاستقلال الحضارى للأمة الإسلامية ولديار الإسلام.

المبحث الرابع: إستراتيجية التنصير

المطلب الأول: التعريف

التنصير: هو الدعوة إلى النصرانية بين أبناء الديانات الأخرى، أو في أوساط الوثنيين واللا دينيين، وتسمى هذه الدعوة، أحيانا: «التبشير»، باعتبارها دعوة إلى «الإنجيل»، والإنجيل معناه -باليونانية: «البشارة»، لكن الأدق في التعبير عن الدعوة إلى النصرانية هو مصطلح «التنصير». ولقد ارتبطت دعوات التنصير وحركاته في العالم الإسلامي بمراحل وحقب الاحتكاك الحضاري بين الغرب النصراني والشرق الإسلامي، إذ لم تكن الكنائس

١. طه، حسين. مستقبل الثقافة في مصر، المرجع السابق، ص ٣٧.

٢. انظر: عمارة، محمد. العلمانية بين الغرب والإسلام، الكويت، المرجع السابق، ص ٣٠.

٣. أُنظر: الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني، دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة، طبعة القاهرة، سنة ١٩٦٨م، ص ١٩٦ -

الشرقية، منذ الفتح الإسلامي، في الحالات التي تجعل التنصير للمسلمين هدفا بارزا من أهدافها، إذ كان همها الأكبر الحفاظ على ما تبقى من رعيتهما على نصرانيتها^(١).

المطلب الثاني: التطور التاريخي للتنصير

وفي حقبة الحروب الصليبية^(٢) لم تمارس الكنائس الغربية في الشرق الإسلامي نشاطا ملحوظا في التنصير، فالتخلف الحضاري للغرب، بالمقارنة مع الشرق الإسلامي، وغلبة طابع الصراعات المسلحة، لم تفتح للنصرانية الغربية أبوابا للتنصير في الشرق، باستثناء محاولات فشل أغلبها لاستمالة المسيحيين الشرقيين إلى مذاهب الغرب وكنائسه أما في العصر الحديث وفي ظل الزحف الغربي على الشرق، والذي صادف ضعف الشرق، وتراجع الحضاري، فلقد اقترنت هيمنة الغزوة الاستعمارية الغربية الحديثة على أقطار الشرق بوفود الإرساليات الغربية التنصيرية إلى بلادنا، سافرة حيناً، ومن خلال المدارس والجامعات والمؤسسات الدينية والثقافية في كثير من الأحيان وإذا كانت حملة بونابرت على مصر (١٢١٣ هـ - ١٧٩٨ م) قد مثلت بداية غزو الغرب لقلب العالم الإسلامي، بعد أن التف حوله في العقود الأولى للقرن الخامس عشر الميلادي - فلقد مثلت فترة الوفاق بين محمد علي باشا الكبير (١١٨٤ - ١٣٦٥ هـ - ١٧٧٠ - ١٨٤٨ م) وبين فرنسا أول اختراق كاثوليكي - وهو مذهب النصرانية في فرنسا - للمجتمع المصري، وبالطبع فلم يكن هذا الاختراق على حساب المسلمين في مصر، وإنما كان اقتطاعاً لشريحة من أقباط مصر الأرثوذكس ليتمذهبوا بمذهب الكاثوليك ولقد كان ذلك هو دأب طلائع التنصير الغربي، في محاولاته إقامة قواعد ومواطن أقدام لمذاهبه وكنائسه في الشرق، إذ كان الأسهل والأمن له تحويل بعض نصارى الشرق عن مذاهبهم إلى مذاهبه، تمهيدا - بعد إقامة ركائزه في بلادنا - لممارسة الهدف الأول لدعواته وحركاته ، وهو تنصير المسلمين. وبعد تراجع مشروع محمد علي باشا، وحصار

١. انظر: عمارة، محمد، معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام، المرجع السابق، ص ٦٠.

٢. الحملات الصليبية أو الحروب الصليبية بصفة عامة مصطلح يطلق حالياً على مجموعة من الحملات والحروب التي قام بها الأوروبيون من أواخر القرن الحادي عشر حتى الثلث الأخير من القرن الثالث عشر (١٢٩١ - ١٠٩٦)، كانت بشكل رئيسي حروب فرسان، وسميت بهذا الاسم نسبة إلى الذين اشتركوا فيه وكانت حملات دينية وتحت شعار الصليب من أجل الدفاع عنه وذلك لتحقيق هدفهم الرئيسي وهو السيطرة على الأراض المقدسة كبيت المقدس، ولذلك كانوا يخطون على ألبستهم على الصدر والكتف علامة الصليب من قماش أحمر.

الغرب لتجربته، وتفكيك عناصر قوتها -والذى بدأ بمعاهدة لندن (١٢٥٦ هـ ١٨٤٠م)- أخذ تسلل النفوذ الغربي إلى المجتمع المصرى والمجتمعات الشرقية فى الازدياد، وكان التنصير واحدا من آليات الهيمنة الغربية الزاحفة على بلادنا، تمهيدا للاستعمار السافر، ودعم سلطات احتلاله بعد قيامها. ولأن نصرانية انجلترا -التي علت كفة نفوذها بمصر- ثم توج هذا النفوذ بالاحتلال، لأن نصرانية انجلترا بروتستانتية، وهو مذهب الكنيسة المشيخية فى أمريكا. كان التنصير البروتستانتي، بواسطة الإرساليات الأمريكية سباقا إلى العمل التنصيرى فى مصر، على حين استأثرت فرنسا بالشام بل لعل وحدة المذهب فى انجلترا وأمريكا قد أتاحت للاستعمار أن يدع التنصير المذهبه، لكن بواسطة إرساليات أمريكية الإنجليزى فى مصر حتى يكسب من إقامة ركائز النصرانيته، دون أن يتحمل أوزار ردود الفعل المحلية لهذا التنصير، الذى بدأت إرسالياته باقتطاع نفر من الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، الأمر الذى وحد موقف المسلمين والأرثوذكس ضد نشاطات إرساليات التنصير. أما أول تشكيل لأول مجمع للكنيسة المشيخية -البروتستانتية- فى مصر، فلقد حدث فى ١٣ إبريل سنة ١٨٦٠م، من سبعة أعضاء، لم يكن من بينهم مصرى واحدا! (١).

المطلب الثالث: ألوان التبشير في أقطار الإسلام

ومن التحديات أيضا فى طريق الدعوة فى الوقت الراهن، التنصير أو التبشير بالنصرانية بين أوساط المسلمين، خاصة بين العوام والدهماء ومن لاحظ لهم من الثقافة الإسلامية الضامنة للحصانة العقدية والمعرفية. علما أن التبشير المسيحي ليس لونا واحده بل هو يتعدد حسب نوع الجمهور الذى يراد تعديل أفكاره وتصوراته العقدية والفكرية، فهناك ما يأخذ صورة النقاش العلمى الجدلي، وهذا النوع من التبشير ليست له نتيجة إيجابية واضحة، لأن الإسلام أصوله ثابتة لا تتزعزع، مؤسسة على المنطق الذى تنسجم معه كل فطرة سليمة، كما يتماشى معه كل تفكير حر نزيه. وهناك تبشير سوفسطائي يلجأ إلى التشكيك فى أصول الإسلام، وقلب الحقائق، وتحقير الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامى، ومحاولة البرهنة على رد القرآن إلى الجذور المسيحية. وهناك أيضا التبشير الذى يتخفى وراء أساليب الرحمة والعمل الخيري، كإقامة المستشفيات وبناء المدارس ورعاية الأيتام وتقديم المعونات العينية فى

١. انظر: عمارة، محمد، معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام، المرجع السابق، ص ٦١.

حالات النوازل والجوائح كالجفاف والمجاعة والفيضانات والحروب.. إلخ. وذلك بهدف القرصنة بعقائد هؤلاء البسطاء وخطفهم من وسطهم الاجتماعي الطبيعي. منطلق أن النفس البشرية مجبولة على التعلق بمن أحسن إليها^(١).

حتى آلام البشر لم تسلم من استغلالهم، بل إنهم يعتبرونها مشروعاً مسيحياً ناجعاً!! وفي ذلك يقول مؤلفا كتاب التبشير والاستعمار في البلاد العربية) وأنت إذا أردت أن تعرف مبلغ اهتمام هؤلاء الأطباء بالتبشير لا بالتطبيب فاعلم أن نفرّاً منهم أنشأوا مستوصفاً في بلدة (الناصر) في السودان، وكانوا لا يعالجون المريض أبداً، إلا بعد أن يحملوه على الاعتراف بأن الذي يشفيه هو المسيح. ولم ينس المبشرون دور المرأة ومقامها وتأثيرها في الأسرة، فوجهوا اهتمامهم إلى التأثير عليها، فأخذوا يبشرون في مستشفيات النساء. كما أرسلوا الطبيبات المبشرات إلى البيوت والقرى النائية بهدف الاتصال مباشرة بالنساء واستخدام نفوذ المرأة في الوصول إلى أهدافهم التي يزعمون بأنها نبيلة، لكنها في واقع الأمر شرك لخطف عقائد البسطاء من المسلمين بسبب المرض والجهل والفقر^(٢). وهؤلاء المبشرون يعلمون علم اليقين بأن أعدى أعدائهم هم المصلحون المسلمون، لأنهم يدعون إلى الإسلام النقي، والإسلام النقي لا مطمع للتبشير في طرق حماه. يقول المستر بلاس البروتستانت في كتابه (ملخص تاريخ التبشير): إن الدين الإسلامي هو العقبة القائمة في طريق التبشير بالمسيحية في أفريقيا. والمسلم هو العدو اللدود لأن انتشار الإنجيل لا يجد معارضاً إلا من الإسلام^(٣).

فهذه المشكلة من التحديات الواضحة أمام مسار الدعوة الإسلامية، خاصة في البيئات الفقيرة؛ لأن الدعوة يقع عليهم واجب تعقب هؤلاء المبشرين، ومسح ما نفشوه في الأذهان وما أذاعوه من بهتان. غير أن هذا التحدي لا يُواجه بالأقوال وحدها. فإن الأقوال «ليست هي السلاح الذي يحارب به التبشير مهما كانت حارة بليغة متينة الحجة، فالأقوال قصاراتها التحذير من الوقوع في أشراك المبشرين. وإنما السلاح الماضي الفتاك في هذا الميدان هو

١. محمد منير حجاب الدعوة الإسلامية التحديات والمواجهة دار الفجر للنشر والتوزيع القاهرة ط ١، ٢٠٠٤ م، ص ٧٤.

٢. مصطفى خالدي وعمر فروخ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية، المكتبة العصرية، صيدا، ص ٦٢.

٣. محمد علي العويني، الإعلام الإسلامي بين النظرية والتطبيق، دار عالم الكتب القاهرة، ط ٢، ١٩٨٧ م، ص ٤٧.

المال. ولعمري كيف تستطيع أن تقاوم جمعيات منظمة من ورائها أمم غنية تغدق عليها المال، مجهزة بالجيش الوفيرة من الرهبان والراهبات والأطباء والمرضات يوحد الجميع أخلاق ممتازة من الصبر والثبات والإيمان الجازم بحسن عاقبة ما وقفوا أنفسهم عليه من ريب أن هذه الصرخة المدوية التي أطلقها الشيخ الإبراهيمي قمينة بأن تنبه القائمين على شؤون الدعوة والإصلاح في العالم الإسلامي، بمدى آثار هذا التحدي، وتداعياته المستقبلية، إذا ترك التبشير يمرح ويختطف العقائد ويشوه الحقائق، في غفلة الذائدين عن حمى الإصلاح والدعوة.

المطلب الرابع: التخطيط وسرعة العمل

ومن خلال المدارس التي أقامتها إرساليات التنصير والكليات الجامعية - من مثل كلية روبرت في استانبول و «الجامعة» «الأمريكية» في بيروت - والتي افتتحت سنة ١٨٦٦م والجامعة الأمريكية بالقاهرة، والتي افتتحت باسم مدرسة لنكولن للدراسات الشرقية سنة ١٩٢٠م - من خلال هذه المؤسسات التعليمية بدأ التنصير عمله في بلادنا، فلما تأسست الكنائس البروتستانتية في أغلب البلاد الشرقية، تأسس مجلس كنائس الشرق الأوسط سنة ١٩٢٧م، وعقد اجتماعه التأسيسي في «حلولان» بمصر وبعد تأسيس الكنائس، التي هي فروع للنصرانية الغربية، بدأت مرحلة العمل على تنصير المسلمين، وشهدت القاهرة سنة ١٩٠٦م أول المؤتمرات التنصيرية التي تكرست لهذا الهدف، وهو المؤتمر الذي حضره ستون ممثلاً لثلاثين كنيسة وإرسالية، وقاده أبرز المنصرين الغربيين العاملين في الشرق الإسلامي صموئيل زويمر (Zwemer ١٨٦٧-١٩٥٢م) وبعد مؤتمر القاهرة عقد مؤتمر «أدنبرة» ١٩١٠م، ومؤتمر «لكناو» بالهند- سنة ١٩١١م لوضع وتنفيذ ومتابعة خطط التنصير في صفوف المسلمين. وفي الربع قرن الأخير، وبسبب تعاظم مد اليقظة الإسلامية وإدراك إرساليات التنصير ضالة حصادها رغم وفرة الإمكانيات وكثرة الجهود المبذولة للتنصير في صفوف المسلمين، كثر الحديث عن ضرورة مراجعة أساليب التنصير بين المسلمين، وضرورة تكثيف الجهود لمعالجة الصحوة الإسلامية قبل أن تتمكن من إنهاض عالم الإسلام فيفلت نهائياً من قبضة الهيمنة الغربية، وتنجو عقائد أبنائه من مطامع المنصرين. فبدأت سلسلة من المؤتمرات

١. محمد البشير الإبراهيمي، سجل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (مرجع سابق)، ص ٧٤.

التنصيرية لهذا المستوى الجديد من التخطيط والتنفيذ. «المؤتمر الإنجيلي الأول حول تنصير العالم - في برلين - سنة ١٩٦٦ م، و المؤتمر العالمى الثاني حول تنصير العالم في لوزان - بسويسرا- سنة ١٩٧٤م، ثم توجت هذه المؤتمرات بأخطر مؤتمرات التنصير، على الإطلاق، مؤتمر «كولورادو» في أمريكا الذي انعقد بمدينة «جلين آيري» في ١٥ مايو سنة ١٩٧٨م، والذي قرر رفع مستوى طموح التنصير من «التنصير بين المسلمين إلى تنصير كل المسلمين» والذي انتقد تاريخ التنصير وأساليبه ودعا إلى اختراق الإسلام وعالمه -قرآنه وثقافته وأنماط وأشكال شعائره وعادات أهله وتقاليدهم، لوضع المضامين النصرانية في «أوعية إسلامية»، وذلك حتى لا تبدو النصرانية ديانة غريبة، بسبب علاقتها بالثقافة الغربية وتقاليد الكنائس والمنصرين الغربيين، وسلطات الاستعمار الغربي!^(١)

المطلب الخامس: الجهود والإمكانات

بعد مؤتمر «كولورادو» أقاموا المؤسسة الأم -«معهد زويمر»- ليكون بمثابة «المخ» لكل جهود إرساليات التنصير. هذه الجهود التي تحدثت عنها "النشرة الدولية للبحوث الإرسالية النصرانية" فذكرت من الإمكانيات المتوفرة لديها -حسب إحصاء سنة ١٩٩١ م، ١٢٠,٨٨٠ مؤسسة مخصصة لتنصير المسلمين، تمتلك ٩٩٢٠٠ معهدا لتأهيل المنصرين، و ٤,٢٠٨,٢٥٠ منصرفا، و ٨٢,٠٠٠,٠٠٠ حاسبا آليا (كمبيوتر) و ٢٤,٠٠٠ مجلة، و ٢,٣٤٠ محطة إذاعة -مسموعة ومرئية-، و ١٠,٦٧٧ مدرسة، يدرس فيها ٩,٠٠٠,٠٠٠ طالب، ١٠,٦٠٠ مستشفى، ٦٨٠ دارا للعجزة والمسنين، ١٠,٠٥٠ صيدلية. أما ميزانية إرساليات التنصير -في سنة ١٩٩١ م - فهي ١٦٣,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ مليارا من الدولارات ولقد اختصت إفريقيا من هذه الإمكانيات التنصيرية بـ ١٤,٠٠٠ منصرفا و ١٦,٠٠٠ معهدا للتنصير، و ٥٠٠ مدرسة لاهوتية، ٦٠٠ مستشفى! أما الدخل السنوى للكنائس العاملة في التنصير فهو ٩,٠٠٠,٠٠٠ دولارا .. على حين يبلغ الدخل السنوى للإرساليات التنصيرية ٨,٩٠٠,٠٠٠,٠٠٠ دولارا^(٢).

١. المرجع السابق نفسه، ص ٦٢.

٢. انظر: عمارة، محمد. استراتيجية التنصير في العالم الإسلامي، طبعة مالطا، سنة ١٩٩٢م.

المبحث الخامس: التنوير والتزوير

المطلب الأول: شرح المصطلح وتطوره

التنوير - كمصطلح شائع في الحياة الفكرية- هو مصطلح أوربي النشأة والمضمون والإيحاءات، بل إنه عنوان على نسق فكري ساد في مرحلة تاريخية من مراحل الفكر الأوربي الحديث. حتى ليقال كثيرا في تقسيم مراحل هذا الفكر: «عصر التنوير» أو "هذا المفكر من عصر التنوير" أو "هذا الفكر من أفكار «عصر التنوير» أو ضد أفكار ذلك العصر وفي تعريف مجمع اللغة العربية للمصطلح -تنوير - Enlightenment يقول عنه: إنه «حركة فلسفية، في القرن الثامن عشر، تعتد بالعقل والاستقلال بالرأى وتؤمن بأثر الأخلاق، وتقوم على فكرة التقدم والتحرر من السلطة والتقاليد. ولما كانت السلطة والتقاليد، التي كانت متحكمة وسائدة في أوروبا قبل هذا التاريخ -القرن الثامن عشر الميلادي- هي السلطة الدينية الكهنوتية الكنسية، وتقاليدها التي جمدت واقع الحياة ونظريات العلوم. فإن الاستقلال بالرأى الذى مثله «التنوير الأوربي كان استقلالا عن هيمنة الفكر الكنسي وعقلانية رافضة للكهنوت وتحررا من صورة المسيحية التي كانت سائدة يومئذ وتقدما عن الفكرية التي فرضها رجال الدين على أوروبا قبل عصر التنوير. ففي مواجهة (الفعل) -الذى تمثل في تحالف الكنيسة والإقطاع- كان رد الفعل التنويري، والذى أعلن رفضه لسلطان الدين، ورفع شعاره القائل: "لا سلطان على العقل إلا للعقل" وإذا كانت جذور التنوير -بهذا المعنى- يمكن أن تعود إلى «فرنسيس بيكون»^(١) -في القرن السابع عشر- الذى رفض تدخل الدين في المعرفة، لأن الدين يحد من كل ألوان المعرفة. فإن هذه الجذور قد تميزت، منذ بزوغ فجرها بتعليق الأموال على العقل والعلم والفلسفة، جاعلة منها -بدىلا عن الدين والتدين- بل وبدلا من الله - «آلهة التنوير»^(٢). أما القرن الثامن عشر الميلادي، فهو الذى شهد صعود موجة الفكر التنويري، وتوالى أعلام التنوير، من مثل فولتير» (١٧٣٤ - ١٧٧٨م) و

١. فرنسيس بيكون (بالإنجليزية Francis Bacon (٢٢ يناير ٩ - ١٥٦١ أبريل ١٦٢٦ م) فيلسوف ورجل دولة وكاتب إنجليزي، معروف بقيادته للثورة العلمية عن طريق فلسفته الجديدة القائمة على «الملاحظة والتجريب». من الرواد الذين انتبهوا إلى عدم جدوى المنطق الأرسطي الذي يعتمد على القياس. انظر: د. عبد المنعم الحفني، الموسوعة الفلسفية، ص ١٢٨.

٢. عمارة، محمد. الإسلام بين التنوير والتزوير. الطبعة الثانية، القاهرة، دار الشروق، ٢٠٠٢م، ص ٢٢.

«روسو» (١٧١٢-١٧٧٨م) و «مونتسكيو» (١٦٨٩ - ١٧٥٥م) و «هيدر» و «ليسنج» (١٧٢٩ - ١٧٨١م) و «شيلر» (١٧٥٩ - ١٨٠٥م) و «جوته» (١٧٤٩ - ١٨٣٢م) و كانت^(١) (١٧٢٤ - ١٨٠٤م) الخ.. الخ.. حتى لقد سمي هذا القرن بعصر التنوير. وإذا كان القرن الثامن عشر هو عصر التنوير الأوربي، فلقد كان «فولتير» أبرز فلاسفة ومفكرى هذا التنوير فلقد دعا إلى تمجيد العقل، بديلا عن قداسه الدين، وشن حملة شعواء ضد الدين والكنيسة، وأنكر عالم الغيب، والبعث، والجزاء الأخرى، وقال إن النفس ليست إلا حياة الجسم، وأنها تفنى بفنائها وليس مقدس سوى الطبيعة نفسها، وكتب كثيرا في نقد الدين، الذي اتخذه رجال الكنيسة وسيلة لإرباك أذهان الناس، واستخدمه الملوك لسلب أموالهم، وجعل مقاييس الفضيلة في مدى ما تحققة من الخير الاجتماعي، قاطعا العلاقة بينها وبين طاعة الله، أو الثواب والعقاب بعد الموت. وحتى في قضية وجود إله في هذا الكون، فإن تذبذب «فولتير» - عبر مراحل تطوره الفكرى - إزاء الإيمان بإله، قد ظل في دائرة الإنكار الكامل والإلحاد التام أو في دائرة الاعتراف بوجوده من باب الضرورة لضبط سلوك «العامة». فالدين مجرد منفعة عامة و إذا كان لديك قرية واحدة، تحكمها فينبغي أن يكون لها دين! و إذا لم يكن الإله موجودا، فيجب علينا أن نبتدعه! و «قد يكون ثمة بعض النفع في الدين، ولكن الرجل الأريب لا يحتاج إليه لتعزيز الفضيلة ولما مال في أخريات حياته إلى التسليم بوجود إله، رآه مختلفا كل الاختلاف عن إله النصرانية. فدعا إلى دين: الله والتسامح. لأن الطبيعة بأسرها تصبح فينا أنه موجود فعلا، أما بالنسبة للسيد الإبن (المسيح) والسيدة أمه (مريم العذراء) فتلك مسألة أخرى»؟! على حد تعبيره.

ولقد انتشر فكر التنوير بهذا المعنى: تمجيد العقل وحده، بل وعبادته في انجلترا وفرنسا، ناشرا معه الكفر والإلحاد والنزعة المادية. فقال «هوبز»^(٢): ليس في الوجود إلا ذرات في

١. أوجست كونت (١٧٩٨/ ١٨٥٧م): فيلسوف فرنسي، مؤسس الفلسفة الوضعية التي ترفض الميتافيزيقيا وتعتمد على نتائج العلوم الطبيعية الحديثة، ومذهبه مبسوط في كتابه: «محاضرات في الفلسفة الوضعية». انظر: الموسوعة العالمية ٢٠/ ٢٨٨.

٢. توماس هوبز (١٥٨٨- ١٦٧٩م) أبو الفلسفة التحليلية، إنجليزي، اشتهر بأعماله في الفلسفة السياسية. نشره كتابه لويثان عام ١٦٥١م والذي كان الأساس لمعظم الفلسفة السياسية الغربية من منظور نظرية العقد الاجتماعي. انظر: د. عبد المنعم الحفني، الموسوعة الفلسفية، ص ٥٠٥.

فراغ، وبلغ هذا المعنى للتنوير ذروته إبان الثورة الفرنسية - (١٧٨٩م) - عندما اتخذ الباريسيون معبودة حسناء أطلقوا عليها: «إلهة العقل، وقالوا: إنهم أنزلوا الله من ملكوته، مع إنزالهم أسرة البوربون عن عرشها! وحتى نفهم هذا المعنى للتنوير الأوربي، لابد من فهم الواقع الفكري الذي جاء هذا التنوير رفضاً له وثورة عليه. كانت الكنيسة قد غرقت في الفساد والاستبداد، وجمدت الحياة الدنيا والمعارف والعلوم عندما قدستها وثبتتها بوضعها في قوالب اللاهوت المقدس والثابت، وساد الاضطهاد، لا للملاحدة أو المخالفين في الدين فحسب، بل وللمخالفين في المذهب وللعلماء حتى لقد كانت العقوبة على إقامة قداس بروتستانتية، في مجتمع كاثوليكي: سجن النساء مدى الحياة، وإرسال الرجال للتجديف حتى الموت، وإعدام الكهنة! وكانت المواكب تسير في ذكرى المذابح الدينية شكراً لله؟! وكانت القوانين تبيح للآباء إعدام أبنائهم العاقين استناداً إلى سفر التثنية (الإصحاح ٢١ - الآيات ١٧ - ٢١) وإلى إنجيل متى (الإصحاح ١٥ - الآيات ٤ - ٦). تلك كانت الملابس الأوربية، التي أفرزت هذا المعنى الخاص للتنوير في أوربا^(١).

المطلب الثاني: معني التنوير عندنا

أما في المصطلح العربي، فإن «التنوير» هو: وقت بزوغ أشعة نور الصباح - وقت إسفار الصبح، والقرآن الكريم «نور»: ﴿فَقَامُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (٨) ﴿وَالْإِسْلَامُ «نور»: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ (٢٥٧) ﴿وَالرَّسُولُ «نور»: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ (١٥) ﴿^(٤) والحكمة «نور» كما قال لقمان الحكيم لابنه: «فإن الله يحيى القلوب بنور الحكمة» والصلاة «نور» وفي الحديث: «الصلاة نور المؤمن»، فالمؤمن بذلك كله مستنير وله تنويره الإسلامي الخاص. وإذا كان هذا «التنوير الإسلامي» هو التنوير بـ «الإسلام» أى النظر بعقل مؤمن في منابع الجوهرية والنقية للإسلام، لفقه أحكامه، واستلهاً إجاباتها على

١. انظر: عمارة، محمد، معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام، المرجع السابق، ص ٥٦.

٢. التغابن: (٨).

٣. البقرة: (٢٥٧).

٤. المائدة: (١٥).

علامات استفهام الواقع المعاصر. بعد فقه هذا الواقع -لعقد القران بين «فقه الواقع» و فقه الأحكام، فإن التنوير الغربي -الوضعى-العلماني- قد أقام ويقيم قطيعة الموروث الديني، رافضا استلهامه أو التزامه أو الانطلاق منه. لقد مثل ويمثل طورا جديدا تجاوز ويتجاوز الإصلاح الديني الغربي، فهذا الإصلاح البروتستانتي قد حرر العقل من الكهانة دون أن يحرره من الدين، أما التنوير الغربي فإنه يحرر العقل من الدين، ويقيم قطيعة معرفية كبرى مع الموروث الديني، وذلك بإقامته التناقض والتضاد بين «العقل وبين «النقل» ورفضه أن يكون هناك سلطان على العقل إلا لهذا العقل وحده. وفي شهادة تنويرية على حقيقة هذه القطيعة المعرفية الكبرى، نقرأ لواحد من دعاة هذا التنوير: «كان المسيحي الناتج (أو المتولد عن حركة الإصلاح البروتستانتي حريصا -على المستوى الديني- على عدم تقديم الطاعة إلا لله وكتابه، لا لكهنوته ولا لخليفته أى البابا.

وأما الآن -أى مع التنوير- فقد تم اجتياز عتبة ثانية: فلم يعد الإنسان يخضع إلا لعقله الذى يستطيع أن يحاكم الأشياء بذاتها إن هذه الأيديولوجيا الأم، التي اكتشفها عصر التنوير للعالم والتي تضاد المسيحية عن طريق الخروج منها تحمل اسما رمزيا، كان مثقلا بالمعنى ومشحونا بدلالة الواقع في القرن الماضى: إنه الليبرالية. وكانت جدتها من القوة حيث أنها قاومت كل محاولات الكاثوليكية للقضاء عليها أو على معارضتها. وكانت سلالتها التالية خصبة وصراعية داخلية، لأنه من رحمها خرجت الاشتراكية. إن هذه الأيديولوجيا -التنوير- هى الأم، بمعنى أن كل ما يتفرع عنها يتولد عن تطوراتها وتناقضاتها، دون أن ينقض القطيعة الأبستمولوجية (المعرفية) الكبرى التي تفصل بين عصرين من الروح البشرية: عصر الخلاصة اللاهوتية للقديس توما الأكويني، وعصر الموسوعة لفلاسفة التنوير. فمنذ الآن فصاعدا راح الأمل بمملكة الله ينزاح لكي يخلى المكان لتقدم عصر العقل وهيمنته. وهكذا راح نظام النعمة الإلهية ينمحي ويتلاشى أمام نظام الطبيعة، لقد أصبح الإنسان وحده مقياسا للإنسان^(١). ففارق شاسع بين تنوير إسلامي، ينطلق من الدين وبين تنوير غربى-وضعى-

١. أنظر: هشام صالح . مجلة (الوحدة) - التي تصدر بالمغرب عدد: فبراير - مارس سنة ١٩٩٣ م، ص ٢٠، ٢١، والنص لأميل بولا، فى كتابه (الحرية العلمنة : حرب شطرى فرنسا ومبدأ الحداثة) - منشورات سيرف . باريس سنة ١٩٨٧ م.

علماني-لا ديني- يقيم قطيعة معرفية كبرى مع الدين .. ويمحو نظام النعمة الإلهية لحساب نظام الطبيعة: ومن هذا التنوير الغربي ولدت في الغرب - الليبرالية والاشتراكية كليهما! (١)

المطلب الثالث: إيجاز مقولات التنوير الغربي

وإذا نحن شئنا إيجاز مقولات التنوير الغربي، فلن نجد أفضل من ذلك الذي صنعه واحد من أكثر أنصاره والمروجين لمقولاته في واقعنا الفكري المعاصر -الدكتور مراد وهبة- فلقد لخص المقولات العشر لهذا التنوير فقال، إنها:

١. أن الإنسان حيوان طبيعي اجتماعي، فهو جزء من الطبيعة، وهي التي تزوده، فهو أقرب إلى الحيوان منه إلى الله - فليس خليفة الله، خلقه وكرمه بأن نفخ فيه من روحه، وفضله على سائر المخلوقات .. وسعادة هذا الإنسان دنيوية محضة، يجدها في العاطفة والشهوة وحدهما».
٢. «وحصر الاهتمامات الإنسانية بقضايا العالم الراهنة ، والطبيعية المحسوسة لا العالم الآخر ، أو ما وراء الطبيعة.
٣. والوقوف في الدين، عند الدين الطبيعي، الذي هو إفراز بشري من صنع العقل، لا الدين السماوي المتجاوز للطبيعة. واعتبار الشعور الديني مزيجاً من الخوف الخرافي والرغبة في تغيير ظروف مؤلمة.
٤. وتحرير العقل من سلطان الدين، وإعمال العقل دون معونة من الآخرين، وجعل السلطان المطلق للعقل، بحيث لا يكون هناك سلطان على العقل إلا للعقل وحده (٢).
٥. وإحلال العلم محل الميتافيزيقا وعدم تجاوز الملاحظة والتجربة إلى ما وراءهما من سبل المعرفة «النقلية» و الوجدانية.
٦. واعتبار الفكر وظيفة الدماغ .. فالدماغ يفرز الفكر كما تفرز الكبد الصفراء . وليس هناك نفس في الإنسان.
٧. وإثارة الشكوك في مشروعية المطلق، فالإنسان هو مقياس المطلق.

١. انظر: عمارة، محمد، معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام، المرجع السابق، ص ٥٧.

٢. عمارة، محمد. إسلامية المعرفة ماذا تعني؟، الطبعة الأولى، القاهرة، دار نهضة مصر، ٢٠٠٦م ص ١١٠.

٨. واستنباط الأخلاق من الطبيعة الإنسانية .. وحصر علاقتها بالسعادة واللذة ، لا بالفضيلة والاحتياجات الروحية .. مع جعل الأولوية للإحساسات الفيزيكية على المفاهيم الأخلاقية والعقلية، فالأخلاق من صنعنا ومن ثمرات خبراتنا، وهي مستندة إلى الحالة الفيزيكية.

٩. وإحلال الاجتماعية محل «الدينية» سبيلا لتحقيق السعادة الدنيوية بالعاطفة والشهوة ، فالطبيعة هي التي أوجدت الإنسان ، والمجتمع هو المسئول عن سعادته.

١. ورد القوانين إلى أصول فيزيقية وتاريخية وتحرير التاريخ من السنن الإلهية، وتفسيره بمفاهيم طبيعية أو مفاهيم خلقية نابعة الطبيعة الإنسانية»^(١). فهو تنوير مادي يجعل الإنسان حيوانا طبيعيا، ويقطع جميع الصلات بينه وبين الله والدين

ملخصا: قد نبهنا الدكتور محمد عمارة إلى أننا قد أصبحنا أمام درجة من الاستقطاب في حياتنا الفكرية والثقافية، تقترب من الطائفية الثقافية، ومن الغلو الذى تقطع أطرافه كل الحبال مع الآخر، وهو ما يهددنا جميعا بنزيف داخلي شديد الإنهاك وطويل المدى يحرسه الخارج، الذي لا يرى إلا مصالحه وهيمنته، ولا يقنع بأقل من التبعية له والذوبان فيه! وهو ما يستدعى وقفة مع الذات أى مع كل التيارات الفكرية المنتسبة حقا إلى هذه الذات الوطنية والقومية والإسلامية، وقفة تستهدف حوارا وطنيا وقوميا وإسلاميا لاكتشاف معالم عقد الاستقلال الوطني والقومي والحضاري. فلا بد من الاتفاق على تحقيق استقلال الوطن أولا ليتمكن بعد ذلك، كل صاحب أيديولوجية من التبشير بأيديولوجيته في هذا الوطن المستقل وإذا كان السبيل إلى هذه الغاية حوارا فكريا تعالج به هذا الانقسام الفكرى غير المسبوق فى تاريخنا، فإن شرطا من شروط نجاح هذا الحوار هو تحرير المفاهيم والمضامين للمصطلحات المتداولة بين تياراتنا الفكرية، ليتحقق للمتداولين الحديث بلغة واحدة. إنقاذنا لحوارنا المنشود من المصير البائس حوار الطرشان. وهذه الدراسة تضع عقول مختلف الفرقاء أمام مضمون مصطلح التنوير، تكتشف حقيقته، وحقيقة الأرض المشتركة بين الفرقاء المتصارعين

١. د . مراد وهبه (مدخل إلى التنوير)، طبعة القاهرة والكويت سنة ١٩٩٤ م، ص ٢٥ - ٧٠.

باسمه وحوله! وتبين حجم (الخداع المفاهيمي الذي يسببه استخدام المصطلح الواحد بمفاهيم وخلفيات ومضامين مختلفة. بل ومتباينة، وأحيانا متناقضة. تلك هي مهمة الدراسة، التي ندعو الله أن يجعلها إسهاما في الدعوة بالتي هي أحسن إلى كلمة سواء.

الباب الثالث:

منهجية الدكتور محمد عمارة في مواجهة الشبهات

والإفتراءات

الفصل الأول: في الرد والنقد للشبهات

المبحث الأول: في الرد علي الماركسية

المبحث الثاني: في الرد علي العلمانية

المبحث الثالث: في نقد الحضارة الغربية

المبحث الرابع: في نقد ظاهرة الحداثة

الفصل الثاني: في الرد والنقد علي الإفتراءات

المبحث الأول: إشكاليات في قراءة النص الديني وتفسيره

المبحث الثاني: إفتراءات حول الإسلام والحاكمية

المبحث الثالث: إفتراءات حول الاسلام و حقوق المرأة

المبحث الرابع: إفتراءات حول الإسلام والإرهاب

الفصل الأول: في الرد والنقد للشبهات

المبحث الأول: نقد الدكتور محمد عمارة للماركسية

تمهيد: تعتمد الماركسية على مبدأ أساسي وهو أن المادة مستكفية بنفسها، مستغنية عن خالق لها، هي بذلك تجعل المادة بديلاً من الله الذي تعتبره خرافة، وترى أن فكرة الألوهية إنما هي فكرة تطرأ على الشعوب حال شعورها بالضعف، واعتماد الماركسية على المادة يسري حتى في تفسير العالم والخلق والوجود والمصير والتاريخ واللغة، بل وحتى أحلام الإنسان ومشاعره^(١).

والمادية الجدلية تجعل الفكر نتاج المادة الأعلى، وهو عملية يتم بواسطتها انعكاس العالم الموضوعي بما فيه من مفاهيم وأحكام، وكذلك النظريات والفكر يعكس الواقع المادي بهدف تحويله إلى نتاج اجتماعي، فالمادة والواقع الاقتصادي هما القاعدة التي يتشكل فيها ويخرج عنها ويصدر منها الفكر والمفاهيم في الأحكام والديانات. ويرى عمارة أن اعتبار المادة هي الأساس وهي مستكفية بنفسها، ومستغنية عن خالقها، فهذه النصوص شاهدة على العداوة للإسلام بين الماركسية والدين، ويعتبر أن الاتهام الذي يوجهه أبو زيد للخطاب الديني كونه يقصي المادية ويشير إليها بالإلحاد، وإن سبب هذا العداوة هو ليس نظريتها في التغيير أو الوعي الإنساني، وإن أساس العداوة هو نظرية الماركسية في التغيير الماركسي للعالم، والوعي الماركسي وموقفها الذي تفسر به كل شيء على أساس الملكية والمسألة الاقتصادية وموقفها من الحرية وحقوق الإنسان^(٢). لذا يجعل محمد عمارة من الماركسية الحاملة للإلحاد والمستخدمة له كوسيلة تسيطر بها على الحكومات والشعوب، يجعل من سقوطها انتصاراً للمؤمنين ونصراً منه تعالى.

١ . محمد عمارة: التفسير الماركسي للإسلام، ص ٣٤.

٢ . المصدر نفسه، ص ٣٥-٣٩.

المطلب الأول: النشأة والتطور التاريخي

ظهرت الماركسية كمذهب وتيار فكري، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر في شرق أوروبا، وسميت كذلك نسبة لمؤسسها كارل ماركس (١٨١٨م - ١٨٨٣م)، حيث استوحى نظريته من التراث الفكري آنذاك، والذي عاصر فيه الفلسفة الكلاسيكية الألمانية، الاقتصاد السياسي الكلاسيكي الانجليزي والاشتراكية الفرنسية، حيث كانت نظريته مادية بحتة، بعيدة عن الميتافيزيقية والمثالية تدور حول ملكية الأفراد لوسائل الإنتاج، والتي تملكها الطبقة الرأسمالية وطبقة البروليتاريا الكادحة، وتطور المجتمع من طبقة إلى أخرى، حيث لا يتم هذا التحول إلا بوجود الصراع بين هذه الطبقات، كما وضع قوانين جدلية وتاريخية واتخذها كمنهج لنظريته، حيث كان يطمح إلى قيام مجتمع شيوعي إلا أن هذا الطموح اصطدم بواقع الرأسمالية المتعصب ولم تضمحل الرأسمالية لتحل محل الاشتراكية ومن ثمة الشيوعية، هذا ما أدى ببعض المفكرين، لنقد نظريتهم ونعتها بالناقصة، ليأتي من بعده تلامذته، والمعجبين من المفكرين بنظريته واتبعوا خطاه ودرسوا الواقع المعاش بتطبيق النظرية الماركسية الكلاسيكية عليه، فوجدوها تحوي نقائص مما اضطرهم إلى تحديث النظرية التقليدية، واكتشاف طبقة وسطى، في المجتمع وازدادة بعض المفاهيم التي كانت غائبة عن كارل ماركس، مع حفاظهم على الأساس ولب النظرية الكلاسيكية إذا يمكننا القول أن الماركسية، حركة فكرية اقتصادية اجتماعية، سميت كذلك نسبة لمؤسسها الأول كارل ماركس^(١).

المطلب الثاني: تعريف الدكتور عمارة للماركسية

ويعرفها الدكتور محمد عمارة بقوله: "إن الماركسية كما يعلمها المبتدئون والمتعمقون، وأنا واحد من الذين درسوها، وعاشوا تجربتها النظرية والعلمية قبل ما يقرب من النصف قرن، هي

١ . كارل ماركس (١٨١٨ - ١٨٨٣م) من أصل يهودي، فيلسوف ألماني وثوري محترف، كان المؤسس الرئيس لحركتين جماهيريتين قويتين هما: الاشتراكية الديمقراطية والشيوعية الثورية ويُعد كتابه رأس المال من أشهر مؤلفاته. انظر: الموسوعة العربية العالمية ٢٢ / ٦٣.

فلسفة مادية... ترى كما يقول واحد من أساتذتها أن المادة مستكفية بنفسها، مستغنية عن خالق يوجدها^(١).

وفي هذا الشأن فإن الدكتور محمد عمارة، ينظر إلى الماركسية، بأنها فكر يدعو إلى تبني النظرة الإلحادية، بعدم تبرير وجود الخالق، (لا إله والحياة مادة) و أرحام تدفع وأرض تبلع، وأن الاعتقاد بوجوده فكرة رجعية، فالله في نظر الماركسية خرافة، حيث يقولون: (إن الشعوب في لحظات الضعف اخترعت الآلهة، وفي لحظات القوة حطمتها). ويفسر الدكتور محمد عمارة، أن هذه الأخيرة، تقوم على النظرية المادية الجدلية التي فسرت بها العالم والخلق والوجود والمصير والتاريخ والفكر والدين والاقتصاد والاجتماع والسياسة. يقول الدكتور محمد عمارة، إذا كانت النظرة المادية الماركسية للعالم، لا ترى في الوجود شيئاً سوى المادة وأنها لا تعترف إلا بها في عالم الماهيات والمفاهيم والأفكار، ومنه فإن هذه النظرة المادية قدمت الكثير في نشأة الفكر والدين، ولقد تأثر كل من قرأ هذا الفكر بهذه النظرية المادية والفكرة الماركسية، ومن هؤلاء الذين تأثروا بهذا الفكر ، الدكتور نصر أبو زيد معتمداً على "نظرية البناء الفوقي والقاعدة المادية " وأن المادة والواقع، الاقتصادي والاجتماعي والفسولوجي، هما مصدر الفكر.

إذا الفكر هو نتاج اجتماعي من حيث أسلوب بدايته ومنهج قيامه بوظائفه، ومن حيث نتائجه، و المادية الجدلية، تعتبر الفكرة انعكاساً لواقع موضوعي، وهي تؤكد في الوقت نفسه التأثير العكسي للفكرة على تطور الواقع العكسي للفكرة على تطور الواقع المادي، بهدف تحويله... وتتخذ الماركسية نقطة انطلاقها مما يكمن في أساس، كل مجتمع إنساني، أي طريقة الحصول على وسائل العيش، وتقيم الصلة بين هذه الطريقة والعلاقات التي يدخل فيها الناس في عملية الإنتاج، وهي ترى (الماركسية) في نسق هذه العلاقات الإنتاجية، الأساس

١ . د محمد عمارة، التفسير الماركسي للإسلام، ط ١٤٢٢ هـ ٢٠٠٢ م ، دار الشروق القاهرة مصر، ص ٣٤.

والقاعدة الحقيقية في كل مجتمع، عليه يرتفع بناء فوقى وقانونى واتجاهات مختلفة للفكر الاجتماعى^(١).

المطلب الثالث: الرد على الفكرة الماركسية

ومنه نستخلص أن المادة والواقع الاقتصادى والاجتماعى، هما النظرية الأساسية التى تقوم عليها القاعدة الماركسية، والتى يعرفها ويعلمها عوام وخواص الماركسيين والدارسون لها ومن هذا الأساس والمنطلق، أقام الدكتور محمد عمارة، النقد بالحجة والدليل والبرهان على بطلان و زىغ نظرية الدكتور نصر أبو زيد التى ينظر فيها بالمنظار المادى الماركسى وهو يحلل القرآن والوحي والنبوة والعقيدة والشرعية وتاريخية النصوص.

وفي هذا السياق، فقد وضع الدكتور محمد عمارة، بعض الشهادات والأدلة والأقوال التى تقيم الحجة على الدكتور نصر أبو زيد فى تبنيه للفكر الماركسى ويؤكد هذا، شهادة الماركسيين له كالأستاذ محمود أمين العالم بقوله: "أن الدكتور نصر أبو زيد أحسن من يحلل النص"^(٢).

ويضيف الدكتور محمد عمارة قائلاً: حتى لا يظن أحد أنى أتحامل على الدكتور نصر أبو زيد فى انتمائه للفكر الماركسى وتبنيه لمرجعياته، سأقدم نماذج من نصوصه وأقواله التى تؤكد وتدعم أقوالنا فيه، حيث يورد الدكتور نماذج من أقواله نقتصر على ذكر أهمها.

ينى الدكتور نصر أبو زيد توجهه الماركسى بنظرية (البناء التحتى والبناء الفوقى) حيث يقول: "إن الآفاق المعرفية للجماعة التاريخية، هي آفاق تحكمها طبيعة البنى الاقتصادية والاجتماعية لهذه الجماعة وإن البنى التحتية والفوقية تتفاعل فى جدلية معقدة"^(٣). فإنه يطبق هذه النظرية على نشأة الدين، حيث يربطها بالبعد الاقتصادى، حيث يرى أن البحث عن

١ . الموسوعة الفلسفية، وضع مجموعة من العلماء السوفيين بإشراف م روزينثال : ب يودين ترجمة سمير كرم، طبعة بيروت

سنة ١٩٧٤م ، أنظر المصدر السابق: ص ٣٤ .

٢ . د. محمد عمارة التفسير الماركسى للإسلام، ص ٣٦ .

٣ . د. نصر أبو زيد، مفهوم النص (دراسة) فى علوم القرآن، طبعة القاهرة سنة ١٩٩٠م ص٧٢ .

دين إبراهيم إِيَّانَ ظهور الإسلام كان بحثاً عن هوية العرب، التي تهددها المخاطر الاقتصادية وضيق مواردها، فهو يربط الدين بالنظرة المادية الاقتصادية.

تبنيه للرؤية المادية للقرآن الكريم، ومخالفته للخطاب الديني في مسألة نزول القرآن إلى الواقع الأرضي، منطلقاً من المادية الجدلية بقوله: "إن القرآن قد تشكل في الواقع وصعد منه ولم يهبط إليه، وإنه لم يكن له قبل تلاوة النبي له وجود مفارق للواقع الذي شكله فَتَشَكَّلَ، وَفَعَلَهُ فَأَنفَعَلَ، نصاً ومفاهيم ودلالات فهو ثمرة للواقع ولا شيء هناك غير الواقع، أما الإيمان بمصدر إلهي للقرآن، فهو كلام يقال، وفي الأخذ به طمس لهذه الحقيقة التي وصل وانفرد بها الدكتور نصر أبوزيد عندما طبق المنهاج الماركسي في المادية الجدلية على القرآن الكريم. ويردّف الدكتور نصر قائلاً: "إن النص (القرآن) تشكل من خلال ثقافة شفاهية والوقائع هي التي أنتجت النصوص، ففي مرحلة تشكل النص في الثقافة، تكون الثقافة فاعلاً والنص منفعلاً، وتكون الثقافة فاعلاً والنص مفعولاً"^(١).

ومن خلال ما سبق فإن الدكتور محمد عمارة يرد عليه قائلاً: لقد تواترت في القرآن الكريم، الآيات المحكمات التي تتحدث عنه باعتباره تنزيلاً، نزل به الروح الأمين جبريل عليه السلام من لدن رب العالمين على محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾^(٢). وقال تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾^(٣). فهذه نماذج من الآيات الصريحة والصحيحة البيان، والمحكمة التي دلت على أن القرآن كلام الله ، قد نزل من عند الله إلى الواقع الأرضي والعالم البشري.

وفي الأخير نرد على المشككين من الماركسيين، الذين يرون أن الدين وسيلة لخداع الناس، خاصة الطبقة الضعيفة من المجتمع من الفقراء والمساكين والمتعصبين، الذين يرون أن الحياة

١ . د نصر أبو زيد، نقد الخطاب الديني طبعة القاهرة سنة ١٩٩٢م، ص ٤٤ .

٢ . سورة البقرة الآية ١٧٦ .

٣ . سورة الإسراء ١٠٧ .

مادة تحكمها الطبيعة، بقوانينها التطورية، فلا إله ولا أخلاق وصلاح الناس إنما في شيوعيتهم، لا في تدينهم ولا في إسلامهم، ذاهبين إلى أن النظرة الشيوعية الماركسية تغني عن التدين عموماً والإسلام خصوصاً.

المطلب الرابع: الماركسية تعادي الأديان

يشير الدكتور يوسف القرضاوي^(١) بقوله: إلى أن الشيوعية، هي العدو الثالث للإسلام والمسلمين بعد الاستعمار والصهيونية. فيقول: "تعد الشيوعية عقيدة وفكرة ومذهباً كما أنها نظام دولة وحكومة منبثقة عن العقيدة فهي باعتبارها عقيدة وفكرة تعادي الأديان كلها، وتخص الإسلام بمزيد من العداوة والنقمة، إنها فكرة مادية تقوم على فلسفة (المادية التاريخية)، التي قال بها ماركس والتي لا ترى وجوداً إلا للمادة، ولا تؤمن بما وراء المادة، أو (الحس الميتافيزيقا) وما دام الله الخالق للكون والإنسان، غير مادي بمعنى أنه لا يرى ولا يلمس ولا يشم، ولا يذوق، ولا يدرك بأية حاسة من الحواس المعروفة فهي لا تؤمن بوجوده بل لا تعترف بحاكميته لخلقه، ولا بحقه جل شأنه وعلاه في أمرهم ونهيهم والتشريع لهم"^(٢). إن فلسفة ماركس تؤكد ما قاله الفلاسفة الماديون قديماً وحديثاً، مثل: "فويرباخ"^(٣) الذي قال: "ليس صواباً أن الله خلق الإنسان، بل الصواب أن الإنسان هو الذي خلق الله"^(٤). تعالى الله عما يقولون، فالدين في نظر الشيوعيين خرافة روجها طبقات الملوك والنبلاء والأثرياء، والإقطاعيين وأمثالهم لإلهاء الفقراء والطبقة الكادحة والمسحوقة في المجتمعات البشرية عن المطالبة بحقوقهم، والثورة على ظالمهم، على أمل أن يعوضوا عن ذلك في

١. الأستاذ الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي، (١٩٢٦-٢٠٢٢م) أحد أعلام الإسلام البارزين في العصر الحاضر في العلم والفكر والدعوة والجهاد، في العالم الإسلامي مشرقه ومغربه وقد كتب له القبول في العالم الإسلامي.

٢. القرضاوي، يوسف، أعداء الحل الإسلامي، مكتبة وهبة، ط ١، (٢٠٠٠)، ص ١٠٣.

٣. لودفيغ فويرباخ (٢٨ يوليو ١٨٠٤ - ١٣ سبتمبر ١٨٧٢) فيلسوف أنثروبولوجي ألماني مشهوراً بكتابه «جوهر المسيحية»، والذي قام بنقد المسيحية، وكان مؤثراً للغاية بأجيال من المفكرين اللاحقين، بما فيهم كارل ماركس، وفريدريك أنجلز، وريتشارد فاغنر، وفريدريك نيتشه. دعا فويرباخ إلى الليبرالية والإلحاد والمادية. قدّمت العديد من كتاباته الفلسفية تحليلاً نقدياً للدين. كان فكره مؤثراً في تطوّر المادية التاريخية. حيث غالباً ما يتم الاعتراف به كجسر بين هيغل وماركس.

٤. المصدر السابق، ص ١٠٥.

الجنة، والدين بهذا الاعتبار، ويعد مخدرا أو أفيونا للشعوب، كما قال ماركس ومن تبعه. والشيوعية لها فلسفة في تفسير الكون والحياة والإنسان، والتاريخ تناقض فلسفة الإسلام وفكرته الكلية في تفسير هذه الأشياء فالكون هو هذا المادي المنظور، ولا يوجد كون آخر غير منظور، ولا يوجد خالق يدير هذا الكون. والحياة هي هذه التي نعيشها ولا حياة أخرى وراءها للحساب والجزاء. هو هذا الغلاف الطيني المادي الذي نراه ولا روح فيه، والتاريخ إنما تحركه وتسيره عوامل اقتصادية بحتة، وعلاقات الإنتاج وأساليبه هي التي تحدد مسيرته^(١).

وأما العوامل الروحية والأخلاقية والفكرية، فليس لها اعتبار يُذكر والشيوعية تقوم على فلسفة حتمية الصراع بين الطبقات، وقد كانت روسيا مقرا لقيام الشيوعية، لكثرة أقطاب اليهود القاطنين فيها ولوجود مجموعة من منكري اليهودية والمذاهب الاشتراكية على أرضها أمثال: لينين وترتسكي وستالين.^(٢)

مما نستخلصه، أن الشيوعية تحارب الإسلام بأساليب متنوعة كالدراسات الخبيثة المضللة والتخريب داخل المجتمع المسلم، وتضليل الضعفاء بالشعارات البراقة فلا يفكرون إلا بالهدم والتدمير والثورة على الأنظمة، وتحريض الحكومات العلمانية بضرب الحركات الإسلامية ومقاومة الاتجاه الإسلامي، وشن حملات تضليل وتشويه وتزييف لهذه الحركات الإسلامية والإصلاحية، كما حدث لحركة الإخوان المسلمين في مصر. إن الماركسية تنظر إلى الإسلام على أنه السد المنيع والعائق وراء طريق انتشارها، حيث يقول أحد زعمائها: "لن تنتشر الشيوعية في الشرق الأوسط، إلا إذا أبعدنا أهلها عن تلك الحجارة، التي يعبدونها في الحجاز، وإلا إذا قضينا على الإسلام"^(٣).

١ . دكتور يوسف القرضاوي، أعداء الحل الإسلامي، ط٢٠٠٤م مكتبة وهبة القاهرة مصر ١٠٥ ص ١٠٦.

٢ . دكتور عبد الرحمان عميرة، المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها، طه دت، دار الجيل بيروت ص ١١٥ ص ١١٦.

٣ . مامون، غريب، أبشارفي ملكوت الله، مركز الكتاب للنشر، (٢٠٠٩)، ص ١٢٥.

المطلب الخامس: منطلقات الرفض الماركسية

إذا من هذه المنطلقات رفض الدكتور عمارة الفكرة الماركسية لعدة أسباب منها:

10 الماركسية الشيوعية مذهب مادي ضد الدين والعقيدة فلا تؤمن بالخالق أنها ضد الشريعة فلا تقبل أحكامها من معاملات ولا تعترف بالله وأنه الأمر والنهي، كما ترفض أحكام الشريعة في الملكية، وأحكام العقوبات الإسلامية.

10 الماركسية الشيوعية ضد الأخلاق الفاضلة، وضد الحرية، فهي دكتاتورية تقوم على وأد الحياة السياسية، والإضطهاد والتعذيب والسطوة على الحكم. الماركسية الشيوعية، ضد وحدة الأمة لأنها تؤجج الصراع الطبقي، ضد بعضها والإسلام يؤاخي بين هاته الطبقات، في إطار الصدقات والزكاة والتكافل الاجتماعي... الخ.

10 الماركسية الشيوعية أداة صليبية في حربنا، تهدف إلى إخراجنا من ديننا، بدل الحملات الصليبية والتنصيرية الفاشلة في العالم الإسلامي، لأن الكنسية ترى هدمنا، ولو بمعاول وأيدي الجيش الأحمر.

10 الماركسية الشيوعية مذهب لا يخدم الإسلام ولا حاجة له به، لأنها جاءت تعالج مشاكل الرأسمالية، أما الإسلام فقد وضع ضوابط وأطر حدد فيها الثروة، ويقر الملكية الخاصة ويحميها فيلزم المسلم بواجب الزكاة، ليقوم التوازن الاقتصادي والعدالة الاجتماعية، ويرى أنه مستخلف في ماله، لأن الله تعالى يقول: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٦٥) (١).

إذا فالماركسية الشيوعية عقيدة ومذهب فكري، أسسه اليهودي كارل ماركس، معادي للأديان جميعا، ويخص الإسلام بهذا العداء، كما يمكننا القول أنه ذو صبغة ماسونية، لأنه لا يعترف بالله الواحد القهار، ولا بالوحي ولا بالرسول ولا يرى الوجود إلا مادة ولا يؤمن بما وراءه، أي الخالق لهذا الكون، ولهذا وقف الإسلام موقف العداء منه، فحذر علماءنا

١. سورة الأنعام: ١٦٥.

ومفكرينا منه وحاربوا من تأثر به ودعى إليه، ولقد تلاشت الماركسية في العالم كونها لم تحقق النفع والإصلاح الاقتصادي.

المبحث الثاني: نقد الدكتور محمد عمارة للعلمانية

تمهيد: لقد إنبهر كثير من مثقفينا المُحدثين بالعلمانية الغربية، فتبنوها ودعوا إلى سلوكها في نهضتنا، كما سلكها العالم الغربي في طريق نهضته، وثورته الفكرية والصناعية والتكنولوجية، فنظروا إلى إسلامنا بمنظار غربي، وتناسوا علاقة الدين بالدولة والسياسة وابداع العقل الشرقي المسلم الذي كون حضارة مترامية الأطراف أبدعت في شتى العلوم والمعارف، وشكلت مهذا وبناءً و مرتكزا للنهضة الصناعية الأوروبية الحديثة. ومن هنا يتحدث الدكتور محمد عمارة عنهم فيقول: "لقد شوّهت المناهج الغربية رؤاهم، وزيفت وعيهم، فرأوا إسلامنا نصرانية، وخلافتنا كهانة و قرآنا انجيلا، وشريعتنا قانونا رومانيا، ومن ثم رأوا أن "الحل العلماني" هو طريقنا إلى النهوض، كما في سياق النهضة الأوروبية الحديثة"^(١).

المطلب الأول: مصطلح العلمانية

يرى الدكتور محمد عمارة أن مصطلح "العلمانية" هو الترجمة التي شاعت بمصر والمشرق العربي للكلمة الإنجليزية (SECULARISM) بمعنى الدنيوي والعالمي والواقعي من الدنيا والعالم والواقع المقابل للمقدس أي الديني الكهنوتي النائب عن السماء والمحتكر لسلطتها والمالك لمفاتيحها، والخارق للطبيعة وسننها والذي قدس الدنيا قداسة الدين والذي ثبت متغيراتها العلمية والقانونية والاجتماعية قداسة الدين^(٢). و مما سبق يرى أن العلمانية، كنزعة سادت أقطاراً و أقطاباً عديدة، في الفكر الحداثي في العالم العربي والإسلامي، لا يمكن فهمها وفهم الموقف الإسلامي منها إلا بالرجوع إلى منطلقها، وهو الحضارة الغربية الأوروبية المستمدة من جذورها الإغريقية الفلسفية وتراثها الروماني، بالإضافة المسيحية لها، التي ساهمت في نشأتها. إن المتتبع لتاريخ سيطرة رجال الدين والكنيسة، على مقاليد

١ د. محمد عمارة العلمانية بين الغرب والإسلام - ط ١ سنة ١٤١٤هـ ١٩٩٦م دار الدعوة للنشر والتوزيع الكويت ص ٣٩.

٢ . المصدر السابق: ص ٥.

السلطة، وسيطرتها على الملوك والأباطرة عن طريق مباركة رجال الدين والكنيسة لهم وتعيينهم، وإضفاء سمة القداسة على ذلك كله ساهم في الانحطاط الحضاري الأوروبي، الذي أثمرته سلطة الكنيسة بتقديس الدولة وحكامها، حيث جمدت الحياة الاجتماعية وعلومها.

المطلب الثاني: المستندات وعوامل إنشقاق العلمانية

في خضم هذه المعطيات، انبثقت "النزعة العلمانية" التي فجرتها فلسفة التنوير الأوروبي، والتي أقامت قطيعة كلية مع الموروث الديني والحكم الكهنوتي، والتي أحلت التجربة والعقل محل الدين واللاهوت، وفصلت الدين عن الدولة، والأرض عن السماء، وجعلت ما لقيصر لقيصر ومالله الله، والتي جعلت العلم مكتفياً بذاته، دون الرجوع إلى الله وعزلت الأرض عن السماء انطلاقاً من الحكم بفلسفة أن العلم يدير شؤونه بذاته.

ونظيراً لهذا التيار العلماني الذي أراد عزل التدبير عن الخالق، وترك الإنسان والكون يدير شؤونهم، لوحده، ظهر بالمقابل تياراً آخرًا غير هذا التيار الملحد، حيث أراد هذا الأخير المزج والتوفيق بين الوجود الإلهي، وبين العلمانية التي كانت ترى بإكتفاء العالم بذاته. ومن أمثال هؤلاء "هوبز" (١٥٨٨م - ١٦٧٩م) و "لوك"^(١) و "روسو" (١٧١٢م - ١٧٧٨م) وهم أكثر، فحصر هؤلاء تدبير الاجتماع البشري في سلطة البشر المتحررة من شريعة الله، وكان هذا من منطلق تصور "أرسطو" لنطاق العمل لذات الإلهية وفي مجمل الكلام نستطيع القول العلمانية، كانت ترى في الذات الإلهية مجرد خالق للكون، وترك شؤونهم بعدما ترك فيها أسباب عملها.

وفي هذا الصدد يقول الدكتور محمد عمارة: "هكذا إستندت العلمانية، في تأسيس دنيويتها على التصور الأرسطي، لنطاق عمل الذات الإلهية فهو مجرد خالق، فرغ من الخلق

١. لوك (١٦٣٢ - ١٧٠٤م) يوحنا لوك، يدعى بحق زعيم المذهب الحسي، وأحد كبار ممثلي النزعة التجريبية في إنجلترا، ولقد كان لآراء لوك في السياسة والدين والتربية والفلسفة آثار تجاوزت إنجلترا إلى كل العالم المتحضر، ووضع أسس تجريبية جديدة. انظر: د. عبد المنعم الحفني، الموسوعة الفلسفية، ص ٤٠٢.

وانحصرت عنايته بذاته دونما رعاية أو تدبري للمخلوقات، كصانع الساعة الذي أودع فيها أسباب عملها، دون حاجة لوجوده معها وهي تدور"^(١). هكذا استطاعت العلمانية أن تنشأ في مناخ التنوير الغربي، ونجحت في عزل السماء عن الأرض وحررت البشر من الضوابط الشرعية الإلهية، ومن القيود الكنسية، وجعلت هذا الإنسان سيدا في عالمه ودنياه فزودته بثمره عقلانية التنوير الوضعي، حيث جعلت له العقل والتجربة محل الله والدين حتى أن أحدهم كان يقول: "فلم يعد الإنسان يخضع إلا لعقله في إيديولوجيا التنوير، التي أقامت القطيعة الإستمولوجيا الكبرى، التي تفصل بين عصرين من الروح البشرية عصر الخلاصة اللاهوتية للقديس "توما الإكويني وعصر الموسوعة لفلاسفة التنوير. فراح الأمل ينزاح بمملكة الله، ينزاح لكي يُخلّي المكان لتقدم عصر العقل وهيمنته وراح نظام النعمة الإلهية، ينمحي ويتلاشى أمام نظام الطبيعة وأصبح حكم الله خاضعا لحكم الوعي البشري الذي يطلق الحكم الأخير باسم الحرية"^(٢).

هذا مكان يقوله أحد دعاة التنوير العربي، فكانت كل غايتهم عزل السماء عن الأرض والدين عن الدنيا و إحلال الإنسان في تدبير العمران البشري محل الله تعالى عما يقولون ومما سبق يمكن القول أن الحداثة الغربية استطاعت أن تؤثر بهذا الفكر العلماني، على العقل العربي والمسلم، وأن تتركه يوافق على جميع معطياتها ويحاول التخلص من قيود القوانين الإلهية والشرعية الإسلامية، واعتبارها له سجنا في حياته العلمية.

المطلب الثالث: الإستعمار ودخول العلمانية إلى أقطاب الدول العربية والاسلامية

دخول العلمانية إلى أقطاب الدول العربية نتيجة الغزوات الإستعمارية كان للنزاعات الغربية في شتى المناطق العربية، نزغات فكرية في المجالات الدينية والاجتماعية والثقافية، على أعداد هائلة من العقول العربية فكان لغزوة نابليون "بونابرت (١٧٦٩م - ١٨٢١م) حيث استهدفت

١ . د. محمد عمارة العلمانية بين الغرب والإسلام - ط ١ سنة ١٤١٤ هـ ١٩٩٦ م دار الدعوة للنشر والتوزيع الكويت ص ٨.

٢ . أمبل بولا - الحرية . العلمنة (حرب شطري فرنسا ومبدأ الحداثة) منشورات سيرف باريس ١٩٨٧ م . نقلا عن هاشم

صالح مجلة الوحدة المغرب عدد فبراير مارس ١٩٩٣ ص ٢٠-٢١.

هذه الغزوة العقل العربي واحتلته، واستبدلت فكره وغيّرت هويته، مع احتلال الأرض ونهب الثروة، واستعباد العباد فكانت العلمانية وافداً جديداً على هذه المنطقة وتُرجمت في المعجم الفرنسي العربي الذي صدر سنة ١٨٢٨م، الذي وضعه "لويس بقطر المصري" الذي خدم جيش الإحتلال الفرنسي في مصر ورحل معه، ليدرس العامية المصرية في مدارس باريس^(١) وقد أخذت العلمانية تسري شيئاً فشيئاً في كل موقع حلت به الغزوات الغربية المدمرة، وتحل هذه النزعة تدبير الدولة وحكم المجتمع وتنظيم العمران محل الإسلامية، ويحل القانون الوضعي العلماني، وتطمس هوية الدين والشريعة الإسلامية وفقه المعاملات^(٢).

وعلى سبيل الذكر أيضاً، في الجزائر وتونس، جعل الاستعمار الغربي القانون وضعياً، مكان الشريعة الإسلامية، حيث كان يقول عبدالله النديم (١٨٤٥م - ١٨٩٦م): "إن دولة أوروبا لم تدخل بلداً شرقياً، بإسم الاستيلاء وإنما تدخل بإسم الإصلاح، بث المدنية وتنادي أول دخولها بأنها لا تعترض الدين ولا للعادات، ثم تأخذ في تغيير الاثنين شيئاً فشيئاً، كما فعلت فرنسا وتونس، حيث سنت لهم قانوناً فيه بعض مواد تخالف الشرع الإسلامي بل تنسخ مقابلها من أحكامه، ونشرته في البلاد، واتخذت لتنفيذه قضاة ترضاهم، ولما لم تجد معارضا أخذت تُحوّل كثيراً من مواده إلى مواد ينكرها الإسلام، توسيعاً لنطاق النسخ الديني ولم تلبث أن جاريناها في مصر وأخذنا بقانون يشبهه"^(٣).

المطلب الرابع: عوامل التسري والنفوذ

مما سبق يمكن القول أن القانون العلماني، نسخ الدين ومسح الشرع، بفعل ونتاج الغزوات الأوروبية، التي نخرت جسد معظم الدول العربية والإسلامية وساهمت في تشويه صورتها

١ . د. السيد أحمد فرج، علماني وعلمانية، التأصيل المعجمي مجلة الأحرار العدد ٠٢، سنة ١٩٨٦م، ص ١٠١-١١٠.

٢ . د. محمد عمارة - العلمانية بين الغرب والإسلام، ص ١٠.

٣ . عبدالله النديم، مجلة الأستاذ، العدد ٢٢ ٢٩، جمادي الثانية ١٣١٠هـ الموافق ل ١٨ جانفي ١٨٩٣م، ص ٥١٤٥١٥.

بالفكر العلماني، لم يتوقف المفكرون في العالم الإسلامي من الكتابة في خضم إصلاح العقل الإسلامي والرد على هذه الأفكار المقيتة، والشبهات المميتة، حيث أطلق رفاة الطهطاوي صيحة تحذير ضد البوق العلماني الذي دنس المؤسسات القضائية والتشريعية بل جاء عموم الاختراق العلماني عندما احتل الإنجليز مصر في كثير من مؤسسات الدولة وأسأل الكثير من الحبر في ذلك . ومن خلال ما تطلعنا إليه فإننا استنتجنا أن الدكتور محمد عمارة قد وضع ألوانا جديدة، مشيرا إلى أبرز نماذجها مثل:

10 الفرض القسري للعلمانية عن طريق الحروب الاستعمارية وما تخلفه وراءها من حكومات وأنظمة تحمل نظرة غربية علمانية مثل تونس.

10 إحلال القانون العلماني ذي الصياغات الحديثة في الفراغ الناشئ، في ظل عدم تقنين الفقه الإسلامي في تسيير شؤون الدول الإسلامية.

10 دعاوي وحدة القانون بيننا وبين الغرب، لأن العقل الشرقي هو كالعقل الغربي، كلاهما يوناني، وفقه الرومان هو مكون من مكونات حضارتنا كما هو الحال في الحضارة الغربية.

10 مزاعم خلو الإسلام من مرجعية وحاكمية في الدول والسياسة والاجتماع ومن ثم في فقه المعاملات، لأنه كالنصرانية - علماني - يدع ما لقيصر لقيصر، ويقف بمعتقديه عند ما هو الله.

10 إتخاذ الأقليات أداة اعتراض على حاكمية شريعة الإسلام، مثل مشكلة الأقباط في مصر، والصابئة والطائفة الأريديية في العراق^(١).

10 ومن خلال ما ذكره الدكتور محمد عمارة، يمكن الاستنتاج أن هذه الألوان لم تفلح في اختراق العقل الإسلامي، بل تشلت قطيعة مع هؤلاء العلمانيون بروابطهم العقلية والوجدانية، بتساعد المد الإسلامي، وتكشفت خباثتهم في اختراق النسق الإسلامي من خلال:

١ . د محمد عمارة الشريعة الإسلامية والعلمانية الغربية، ط ١ سنة ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٣ م دار الشروق، ص ٥٥.

١٠ علمنة الإسلام باختزال البعد القانوني فيه ومن أبرز رواده محمد سعيد العشماوي الذي تصد للمد والصحة الإسلامية.

١٠ علمنة الإسلام بدعوى تاريخية الأحكام، عن طريق باب التأويل لكل ظواهر النص الديني، والقول بأن ما جاء به القرآن الكريم من أحكام والسنة النبوية من أحاديث هو "تاريخي وتاريخاني" أي أنه كان صالحا لتاريخ نزول هذه الأحكام فقط، ومن دعاة هذه الفكرة الدكتور نصر أبوزيد.

المطلب الخامس: منطلقات رفض العلمانية لدى الدكتور عمارة

في الأخير من خلال ما اطلعنا عليه، في تاريخ العلمانية، وتأثيرها على العقلية الإسلامية، وما قام به الدكتور محمد عمارة من جهود في نقد العلمانية يمكن أن نرفض العلمانية من المنطلقات والأسس التالية: تحل محرم الله وتتجاوز حدوده والشرعية الإسلامية الغراء عن طريق الإباحية .

• أنها تحمل الكفر البواح، من خلال فصل الدين عن الحياة، والحكم بغير ما أنزل الله. قال تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ وقال تعالى أيضا: ﴿ فَإِنْ تَنَزَّعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ (٢).

• افتقادها للشرعية في العالم الإسلامي، لأن الجماهير في العالم العربي والإسلامي، تعتقد أن حكاهم يحتكمون إلى الشريعة الإسلامية وهم خلاف ذلك، لأنه حال سنهم لبعض القوانين غير الشرعية تخالفهم الجماهير، فلذلك ليست لهما طاعة مطلقة مثل الطاعة لله ورسوله، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا

١ . سورة المائدة : ٥٠ .

٢ . سورة النساء: ٥٩ .

الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَذُودُوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴿١﴾.

وفي الأخير من حقنا أن نسعد بإسلامنا المستعصي على العلمنة، والمقاوم للاختراق العلماني
والذي ضمن بقاء العلمانيين في بلادنا، بعد قرنين من الدعم الاستعماري شريحة معزولة
ومنبوذة تعاني من الرفض، بل والاحتقار من المجتمع العربي الإسلامي. إن الشريعة الإسلامية
ربانية المصدر واقعية وشمولية وصالحة لكل زمان ومكان، وباقية آباد الدهر، متجددة مع
الحفاظ على مبناها ومصدرها، ومصدق ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: {يبعث الله لهذه
الامة على رأس كل مائة سنة، من يجدد لها أمر دينها} (٢).

المبحث الثالث: في نقد الحضارة الغربية

تمهيد: مما نلاحظه اليوم أننا في عصر اشتد فيه النزاع وبدأ فيه الحوار مع الصدام
الحضاري، واختلط فيه الحق بالباطل وهاجمت فيه الأمم جمعاء الأديان السماوية والإسلام
خاصة، مصداقاً لقوله صلى الله عليه وسلم: {يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى
الأكلة إلى قصعتها، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: بل يومئذ كثير، ولكنكم غثاء
كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم
الوهن فقال قائل: يا رسول الله! وما الوهن؟ قال حب الدنيا وكراهية الموت} (٣)، وهو ما
نلاحظه من تأثر مجتمعاتنا العربية والإسلامية اليوم، بأهم ما جاءت به الحضارة الغربية من
ثقافات عديدة ومتنوعة كالحداثة الغربية التي كان لها باعاً كبيراً من هذا التأثير بفعل التطور
التكنولوجي المتسارع والرهيب، الذي أثر في العديد من الشرائح الواسعة للمجتمع العربي
والإسلامي، ومن هنا حاول الدكتور محمد عمارة أن يستعرض لنا حقيقة هذه الحضارة

١ . سورة النساء: ٥٨ - ٥٩ .

٢ . أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ج ٤ المكتبة العصرية
صيدا بيروت، لبنان رقم الحديث ٤٢٩١ ص ١٠٩ .

٣ . الجامع الصحيح للبخاري (٨١٨٣)، وسنن أبي داود (٤٢٩٧).

الغربية، وأهم ملامحها. إذا فما هو مفهوم الحضارة الغربية من وجهة نظر الدكتور محمد عمارة؟ وكيف تلقاها المجتمع العربي والإسلامي؟ ما مدى تأثير العقل العربي بها إلى أبعد الحدود؟

يقول الدكتور محمد عمارة، إن كل دراسة جادة لا بد لها أن تبدأ من المداخل اللغوية والاصطلاحية لتحديد المفاهيم والمحاور التي ستقوم حولها الدراسة وقضية المصطلح تكاد أن تكون من أدق القضايا في عصرنا الماضي والواقع أن تحديد المصطلح يعتبر كما يقول هيدغر، مهمة أساسية وأولية بالنسبة لأي حوار فكري وجاد ينقذ حياتنا الفكرية من خطر الاستقطاب الحاد، ويوجد لغة فكرية واحدة بين الفرقاء المتحاورين^(١). وتبين دلالة أي لفظ ابتداء من ناحيته اللغوية، أو ما يعرف عادة بالناحية الاشتقاقية التي تُبرز المعنى الأولي أو الأصلي الذي يكون للفظ.

المطلب الأول: التعريف والمقارنة بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية

جاء في محاضرة للدكتور محمد عمارة بعنوان (رؤية نقدية للحضارة الغربية والحضارة الإسلامية) قوله: "نختلف حول تعريف الحضارة حتى الآن فكلنا يتحدث عن الحضارة لكن الناس عندما يتحدثوا عن الحضارة كتعريف يختلفوا وهذا يرجع إلى أن القواميس التي نرجع إليها كثيرة منها قواميس مفاهيمها غريبة وبالتالي نحن نعرف مصطلحاً له عمق في حضارتنا"^(٢) ويضيف عمارة فالحضارة لها علاقة بالحضور ولها علاقة أيضاً بالقرار والاستقرار والحضارة هي مقابل البداوة، لأن البداوة ليس فيها حضور ولا قرار ولا استقرار ففيها تنقل،

١ . د. محمد عمارة، معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام بدون تاريخ الطبعة وسنة النشر، دار نهضة مصر، القاهرة، ص ١٢.

٢ . د محمد عمارة محاضرة بعنوان (رؤية نقدية للحضارة الغربية والحضارة الإسلامية مركز الدراسات المعرفية مصر الموقع الإلكتروني ٢٠٠٢ pdf_٤٩٠.pdf/٢٠١٢/١١/ps/ishbeka/files/٢٠١٢/٠٥/٠٧/ http://site.iugaza.edu.

والتنقل يجعل أهل البادية غير قادرين على أن يراكموا قدرات مدنية وأبنية مدنية في مجتمعاتهم، فمن الممكن للبدوي أن تكون له ثقافة ونحن نعرف الشعراء الذين كانوا في الجاهلية في قمة الثقافة رغم أنهم كانوا ينتقلون من مكان إلى آخر فلم يكن هناك تراكم للمدنية. أما في نظرنا نستطيع الحكم على أن الحضارة الغربية تختلف عن العربية في الثقافة وهذه الأخيرة هي كل الآداب والفنون والمواريث والفلسفة التي تهذب النفس الإنسانية، والحضارة الغربية تتميز بال عمران والواقع المادي، إذن فالحضارة من الحضور والاستقرار أي لا بد فيها من عمران الواقع المادي والحضور الذي يمثل تهذيب النفس الإنسانية بواسطة العلوم والآداب والفنون.

ويضيف عمارة أن للحضارة الغربية ملامح تختلف فيها اختلافا جذريا عن الحضارة العربية، فمن أبرز ملامحها الطابع المادي الطابع العنصري - الطابع الصراعى (وفصل الدكتور في هذا الكلام طويلا، وبالمقابل تكلم عن نقيض الحضارة الغربية التي هي الحضارة الإسلامية، وبين أوجه الاختلاف بينهما وذكر سمات الحضارة الإسلامية التي تمتاز بأنها ربانية وحضارة خالدة لأنها موجودة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهي أيضا إنسانية لأن الإنسان مكرم فيها وهي أيضا وسطية وهذه من أهم السمات فيها. فهذا تقريبا ما صال فيه وجال وشرح الدكتور محمد عمارة و ذكره عن الحضارة الغربية وكيف قارن بينها وبين الحضارة العربية الإسلامية . ومما سبق نستخلص أن الدكتور محمد عمارة يرى أن الحضارة الغربية الحديثة، تتجه نحو فكرة السيطرة على العالم في جميع المجالات والميادين، وذلك من خلال فقدان وتراجع دور وهيمنة الكنيسة الأوروبية، وما تمتلكه من نفوذ وسيطرة على مقاليد الحكم، واتخاذ القرارات في الدولة في ما عرف بعصور التنوير، لقد بدأت الحضارة الغربية في الازدهار وتحقيق التقدم وذلك في شتى المجالات الحياتية سواء الزراعية والصناعية، حتى وصلت إلى تقدم كبير في جميع المجالات الصناعية و هذا انطلاقا من قيام الثورة الصناعية في فرنسا في مطلع القرن التاسع عشر، وما حملته من شعارات كالحرية والعدالة والمساواة، معلنة بذلك طلاقها من سطوة الكنيسة نهائيا ومما نلاحظه أن الدكتور محمد عمارة يبين لنا أن الحضارة الغربية قد أساسا اتخذت أبعاداً جديدة، من أهمها فكرة فصل مفهوم الدين

كمحرك ودافع ألسياسات الدولة والفصل بين السلطات لتشكيل بذلك مفهوما للديمقراطية يختلف عن باقي المفاهيم الأخرى لها في باقي دول العالم حيث ركزت على مفهوم الحرية الفردية ولو كانت مخالفة للدين، بل فتحت المجال للأفراد دون أي قيد أو شرط في الابتكار والابداع بشتى صوره دون وضع خطوط حمراء أو ضغوط من الدولة أو المجتمع.

و مما نستند إليه كذلك من وجهة نظرنا أن المفكر الجزائري مالك بن نبي^(١) يرى أن الحضارة الغربية، من خلال الثورة الصناعية قد أفرزت جانبا سلبيا آخر تمثل فيتوسع الأوربيين على حساب الشعوب الأخرى لتحقيق مصالحهم الاقتصادية والحضارية، كاشفا بذلك جميع أشكالها الظاهرية وصورها الباطنية في العديد من كتبه. وفي ذلك يقول: "هذه النزعة للهيمنة والسيطرة هي شعور عميق في الإنسان الأوروبي ورثه عن ثقافته وبقى متجذرا فيه، فالفرد الأوروبي يحمل جراثيم الكبرياء دائما لأنه يتلاقها من الجو الأمومي الذي يتكون فيه منذ طفولته، ويتكون فيه تصوره للعالم والإنسانية فهو يعتقد أن التاريخ والحضارة يبتدئان من آثينا ويُمَرَّان على روما ويلفت الانتباه إلى تمكن الحضارة الغربية من فرض حضورها على مستوى العالم، إذ استطاعت أن تنتشر في العالم، وتنتشر أفكارها ومواقفها وطرق تفكيرها عبر وسائل الإعلام و انتشار وسائل الاتصالات المختلفة والبعثات الأوروبية وظهرت تيارات التغريب في العالم العربي ومن هذا تبقى نظرة الغرب للآخر قائمة على التصور مادي بحت. ولقد بلغت أوربا الغاية في الفن والصناعة ولكنها ارتدت عن الأمثلة الأخلاقية فلم تعد تعرف شيئا من الخير للإنسانية فيما وراء حدود عالمها الذي لا يمكن فهمه إلا بلغة المادة"^(٢).

١. مالك بن نبي عام (١٩٠٥م-١٩٧٣م) مفكر جزائري من أبرز المفكرين المسلمين في العصر الحديث، ولد في مدينة قسنطينة في الجزائر، تخرج من باريس عام ١٩٣٠م مهندسا كهربائيا، اتجه نحو تحليل الأحداث وخاصة في الشرق والعالم المتخلف باعتبارها قضية حضارة. أصدر سلسلة من الكتب تحت عنوان مشكلات الحضارة منها: الظاهرة القرآنية، شروط النهضة، وجهة العالم الإسلامي. لجأ إلى القاهرة عام ١٩٥٦م ثم إلى الجزائر عام ١٩٦٣م وعين مديرا عاما للتعليم العالي واستقال عام ١٩٦٧ وتفرغ للعمل الفكري.

٢. المفكر مالك بن نبي -مشكلات الحضارة- وجهة العالم الإسلامي- إعادة طباعة سنة ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م - ط ١٩٨٦م دار الفكر دمشق سوريا، ص ١٨٤.

ويذهب كذلك الدكتور مصطفى السباعي "أن الحضارة الغربية نشأت كما هو معلوم من اتصال الغرب بالحضارة العربية الإسلامية، عن طريق المدارس والمعاهد العربية في الأندلس وفي بجاية وباقي الاقطار الإسلامية الأخرى. وكانت الفلسفة اليونانية رافداً مهماً ومما عني به مفكرو الإسلام وفلاسفته، فنقل طلاب الغرب النابهون عن العرب فلسفة اليونان وكتبهم، وأكَّبوا على دراستها رغم مطاردة الكنيسة لها، ثم تفتح الذهن الغربي وأخذت تبدو له الحقائق، خلاف ما كانت تنادي به الكنيسة من علوم ومعارف. واستمر الصراع طويلاً بين الكنيسة والعلم، حتى انتهى الأمر بانتصار العلم على الكنيسة بعد ما لقيه العلماء والفلاسفة من عذاب وسجن الكثير وطورد الكثير منهم واستوت النهضة الغربية الحديثة على قدميها، وهي مطبوعة بطابعين واضحين طابع الفلسفة اليونانية واتجاهها المادي الوثني، وطابع آراء المفكرين الغربيين في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وهم المفكرون والفلاسفة الذين قادوا حملة مقاومة تسلط الكنيسة على العلم والفكر"، وفي ظلها نمت جميع المذاهب الفلسفية والأخلاقية التي سيطرت على عقول الغربيين حتى الآن^(١).

المطلب الثاني: أهم ملامح الحضارة الغربية

من خلال قراءتنا لوجهة نظر الدكتور محمد عمارة و ما كتبه عن الحضارة الغربية، وحسب تعبيره فإنه يرى أن الحضارة الغربية قد اتسمت بمجموعة من الملامح، والتي أعطاها رؤية نقدية بعدما تحدث عن بعض الجوانب الإيجابية للحضارة الغربية، ومن هذا المنطلق يذكر الدكتور محمد عمارة وجهة نظره كباحث ومفكر إسلامي، ملامح الحضارة الغربية والتي تمثلت في:

أ_ الطابع المادي للحضارة الغربية

يعتبر الدكتور محمد عمارة أن أول ما ميز الحضارة الغربية الطابع المادي، حيث كان قاسماً مشتركاً بين فئات المجتمع الغربي، وعلى مرّ تاريخ الحضارة، وما يميز هذا الطابع، هي قضية

١ . الدكتور مصطفى السباعي - مقال بعنوان الأساس المادي للحضارة الغربية موقع دار المعرفة

<https://daratalmarifah.Wordpress.com/٢٠١٧/١١/٢٢/civilization/>

"رؤية الإنسان للكون" و"موقع الإنسان للكون" فالحضارة الغربية تجعل الإنسان سيد الكون بينما نلاحظ أن الحضارة الإسلامية تجعل الإنسان خليفة سيد الكون وهو الله سبحانه وتعالى، فالأولى جعلت للإنسان حرية مطلقة غير مقيدة ولا تحكمها شريعة ويصبح الإنسان فيها فعال لما يريد ولا تحده قيود، ولا يُسأل عن شيء فلا يُحل حلالاً ولا يُحرم حراماً ويجعل من الشذوذ فنونا ومن الربا قانونا ويعتدي على بعضه البعض، لأنه سيد الكون فلا سقف يحد حريته. أما عندما يكون الإنسان خليفة الله سبحانه وتعالى فلا له أن يعمل في حدود الحلال والحرام والشرائع الربانية فيلتزم حدود الشرع بفعل أوامره واجتناب نواهيه.

ولذلك يرى الدكتور محمد عمارة أنه منذ بدايات حضارة الإغريق كانت رؤية "أرسطو" للذات الإلهية، أن الله خلق الكون ثم حركه، فهو المحرك الأول، ثم أصبح الكون يتحرك بقدراته الذاتية، وبالطاقات المودعة داخله، دون تدخل من الذات الإلهية ... أما في الإسلام فالله هو راعي للإنسان راعي للكون ومدبراً له بينما في الحضارة الغربية، هو مجرد خالق فمنذ أرسطو الله عندهم مجرد خالق للكون وليس له علاقة بتسيير حركة الكون فشبهوه بمن صنع الساعة وترك عملها للتروس التي بداخلها^(١). ويرى الدكتور محمد عمارة أن إنسان الحضارة الغربية، الذي لا يرجع المسببات المادية إلا إلى أسبابها المادية سواء لماديته أو إلحاده، أو في مناهجه الوضعية لا يرى في "الزَّرع" إلا لأسباب المادية والعوامل الطبيعية والمؤثرات الإنسانية و من ثم فالإنسان عنده هو "الزارع" ولا زارع غير هذا الإنسان^(٢).

ويؤسس الدكتور محمد عمارة كلامه حول الطابع المادي للحضارة الغربية بنظرية "هيرمينوطيقا النص الديني" أي أن النهضة الأوروبية الحديثة، تأسست على فكرة فلسفة الأنوار، أي وضعية العلمانية، وهي مؤسسة على التراث الفلسفي الإغريقي ذي النزعة العقلانية المتحررة من النقل الديني والوحي الإلهي، بل هي مؤسسة على القانون الروماني المؤسس على فلسفة المنفعة بالمعنى الدنيوي الخالص، والذي لا ترتبط فيه المنفعة بالقيم والأخلاق

١ . - الدكتور محمد عمارة - محاضرة بعنوان رؤية نقدية للحضارة الغربية على الموقع الإلكتروني

Http://site.iugaza.edu.ps/ishbeka/files/٢٠١٢/١١/pdf_٤٩٠.Pdf٢٠٠٢/٠٥/٠٧

٢ . الدكتور محمد عمارة معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام، ص ٦.

بمعناها الديني والإلهي، فتعاملت مع الموروث الديني التوراتي والإنجيلي باعتباره جملة معترضة في السياق الحضاري الغربي، وحكمها على الدين أنه إفراز من إفرازات العقل البشري، يلائم طور الطفولة فقط، لتتدرج الفلسفة الأوروبية بعدها من طور الميتافيزيقا إلى طور الفلسفة الوضعية الواقعية التي جعلت للمصدر الوحيد للمعرفة هو الواقع والعلم ثمرة للتجربة دون سواها^(١).

ويرى في هذا الجانب كذلك الدكتور مصطفى السباعي أن الأساس الذي قامت عليه الحضارة الغربية، أساس مادي بعيد عن روحانية الدين وتأثيره في نفوس الأفراد والجماهير ومازال الدين يفقد سلطانه على الغربيين شيئاً فشيئاً حتى وجد الغربيون أنفسهم في هذا المنحدر السحيق وهذا القلق الشامل العميق، ويود مفكروهم وعقلاؤهم الآن استدراك ما فاتهم من روحانية الدين، ولكن أتى لهم ذاك وقد أتت الشجرة ثمارها واشتدت جذورها. وإذا كان من مميزات الدين أن يوفر للناس قسطاً من الطمأنينة النفسية والروحانية التي تخفف عنهم أعباء الحياة وآلامها وتكبح فيهم جموح الغرائز وشهواتها، كما فعل الإسلام في أوج حضارته وازدهارها واتساع رقعتها، أدركنا أي مقدار من الشقاء جلبته الحضارة الغربية على أبنائها حين أقصت الدين عن التوجيه في الحياة العامة، وجردته من سلاحه الفعال في بعث الأمل والعزيمة والتضحية والرحمة في نفوس الأفراد والجماهير^(٢).

ومما سبق فيمكننا القول: أن الحضارة الغربية كانت سبباً في إفلاس الشعوب الأوروبية، بحجة إسعادهم وبث الطمأنينة فيها فلما ابتعدت عن الدين وحاربه ظنت أنها تستطيع السير وحدها دون اللجوء إليه، فأصبحنا نرى اليوم رغبة صادقة من الكنيسة في التعاون مع الدولة في كثير من الحكومات الغربية على تخفيف ويلات الحضارة على أبنائها، ومثال ذلك ما يقوم به بابا الكنيسة في روما من زيارات لمختلف دول العالم لبعث روحانية الكنيسة من

١ . الدكتور محمد عمارة ، قراءة النص الديني بين التأويل الغربي والتأويل الإسلامي ص ١٩ .

٢ . الدكتور مصطفى السباعي - مقال بعنوان الأساس المادي للحضارة الغربية موقع دار المعرفة

<https://daratalmarifah.wordpress.com/2017/11/22/civilization>

خلال مختلف النشاطات الخيرية للكنيسة. ومثال ذلك ما تقوم به "جمعية التسلح الخُلقي" المنتشرة في أوروبا، وكانت لها زيارات لبعض بلدان الشرق الأوسط والأقصى ومنها القاهرة، وهي تدعو في الظاهر إلى الفضيلة والرحمة والعدالة وما أشبه هذا، هذه بعض مظاهر النشاط الديني في الدول الغربية، التي تدل على أنهم بدأوا يفكرون في الدين لتخفيف أضرار مدنيّتهم.

ب- الطابع العنصري للحضارة الغربية

يذهب الدكتور محمد عمارة أن الإغريق كانوا يرون أن الذين يتحلون بالديمقراطية هم قلة من السادة والأشراف والملوك، وهم من ابتدعوها وأنَّ من عداهم من البشر هم همج وليس من حقهم التمتع بالديمقراطية وليس لهم حقوق في هذه العنصرية فكانت القلة منهم من تمتلك السيادة والديمقراطية والباقي ليس لهم حقوق فهم من البرابرة وكان جليا ومثال على ذلك القانون الروماني الذي هو مظهر من عبقرية الحضارة الغربية حيث كانوا يعتبرون أن الشعوب والمستعمرات الغير رومانية وغير الأحرار من الرومان ليس لهم شرف أن يطبق عليهم القانون الروماني وهناك من المتأثرين بالغرب من كان يظن أن الشريعة الإسلامية والفقه الإسلامي تأثر بالقانون الروماني لان القانون الروماني كان يحكم الشام، ولما فتح المسلمون الشام تأثروا بالقانون الروماني فيبدوا أن هذا الكلام غير صحيح على الإطلاق، كما في ذلك الدكتور صوفي أبو طالب في رسالة الدكتوراه إلى أن كثيرا من الابحاث والإثباتات تقول:

"أن أول ترجمة لبعض نصوص القانون الروماني تمت بعد تدوين الفقه الإسلامي ولم تكن هناك أي علاقة تأثر للفقه الإسلامي بالقانون الروماني لأن القانون الروماني لم يكن يحكم الشام قبل الإسلام لأن المستعمرات الرومانية لم يكن يطبق عليها هذه القوانين، وفي العصر الحديث تكررت تلك الأفكار عند النازيين في ألمانيا وأيد من ورائها عشرات الملايين وكذلك الصهيونية الغاشمة التي قتلت وشردت وهجرت العديد من أبناء الشعب الفلسطيني، فالنموذج الغربي الليبرالي المتوحش يميزه الطابع العنصري كما يذهب له "فوكوياما" في تمييزه بين الأبيض والأسود والفرقة بين الساميين فكل هذه نزعات عنصرية، وفكر فلسفي عنصري،

وحتى الفلسفات التي كانت تريد تحرير الطبقة العاملة وتطبيق العدالة الاجتماعية كانت تعتبر الاستعمار الغربي في البلاد الغير غربية نوع من التمدن والتحضر، و"ماركس" عندما استعمرت الجزائر فرح وقال أن هذا الاستعمار هو الذي سيمدّن الجزائر لأنه هذه الثقافة الرجعية لهذا البلد، وهو يقصد بذلك الإسلام وينقل الرأسمالية التي ستنتج طبقة عاملة، ولما استعمرت الهند، كان نفس الشعور بالنسبة لماركس فكل التيارات الفكرية الغربية كانت تعتبر إزالة البنية الأساسية للشعوب الأخرى نوع من التمدن والتحضر وهذا موقف عنصري" (١).

ج- الطابع الصراعى للحضارة الغربية

١. جاءت فكرة الصراع كما يعبر عنها الدكتور محمد عمارة، من المصارعة وهذه الفكرة موجودة في النظريات الأساسية التي تتكون منها النهضة الأدبية في العصر الحديث، وأن أغلب ما تنص عليه الحضارة الغربية أن البقاء للأصلح والأقوى، فالصالح عندهم ليس الأكثر خلقا والأكثر إصلاحا وهي نفس النظريات للنظرية الصراعية، ولهم أيضا الصراع الطبقي سائدا عندهم كما سائدا في الجاهلية وبعدما ذاع نظام العبودية قضى على الإشاعية ثم جاء النظام الإقطاعي فقضى على العبودية، ثم جاءت الرأسمالية فقضت على الإقطاعية ثم جاءت الشيوعية فقضت على الرأسمالية، وكلما دخلت أمة قتلت ولعنت أختها، فلا يوجد أحد يعترف بالآخر، فالجديد عندهم دائما يمحى القديم. فنرى أن الحضارة الغربية قامت على فكرة الصراع منذ أمد بعيد وهذا جلي في مرحلة الحروب القومية التي شهدتها أوروبا والحروب الدينية بين المذاهب النصرانية التي أزهرت الملايين من الأرواح، وفي هذا السياق يتحدث الدكتور محمد عمارة بقوله: "لقد امتدت الحروب الدينية داخل النصرانية ذاتها بين الكاثوليك والبروتستانت أكثر من قرن، أبيد فيها % ٤٠ من شعوب وسط أوروبا" (٢). ونحن

١. - الدكتور محمد عمارة - محاضرة بعنوان رؤية نقدية للحضارة الغربية والحضارة الإسلامية - مركز الدراسات المعرفية -

Ps/ishbeka/files/٢٠١٢/١١/٠٧/pdf_٤٩. pdf <http://site.iugaza.edu>

٢. الدكتور محمد عمارة الإسلام والآخر، مكتبة الشروق الدولية سنة ٢٠٠١ م مصر، ص ١٤٧.

نسميها كما يذكر الدكتور محمد عمارة- الحرب العالمية كنوع من الإعلام ولكنها حرب استعمارية بين القوى الاستعمارية الأوروبية الكبرى، ونحن لم نكن طرفا فيها، فهنا تمثل المصطلحات مشكلة كبيرة فالحرب العالمية هي ليست عالمية ولكنها فرضت على العالم فهي حرب استعمارية أصبح لها تأثيرات وبعد عالمي، فالحرب الدينية من ضمن النزعة الصراعية والحروب الصليبية والاستعمار الأوروبي كانت أغلبها موجهة ضد العالم الإسلامي. ومن أمثلة زيف وكذب وبهتان الحضارة الغربية وثقافتها علينا، ما يذكر أن كريستوف كولومبوس مثلاً أنه جاء للشرق ليكتشف هذا الطريق وإنما سقطت غرناطة في يناير عام ألف وأربعمائة واثان وتسعون وفي أغسطس من نفس العام شوهدت الحملة الصليبية لكولومبوس على العالم الإسلامي وقامت بشيئين أولهما: تحول طريق التجارة بين أوروبا وآسيا. والثاني للإلتفاف حول العالم الإسلامي.

كما قام أيضا "فاسكو دي جاما" في البرتغال باكتشاف رأس الرجاء الصالح ثم جاء إلى شواطئ الهند فحاربه الجيش المصري سنة ١٥٠٧م، إذن فالصراع الحضاري مستمر منذ سقوط غرناطة إلى يومنا هذا. كما يروج "الماجلان أنه رجل مكتشف ولكن في الحقيقة قتل وحارب ونكل بالمسلمين في شواطئ الفلبين عام ١٥٢١م، بعدما كانت الفلبين دولة مسلمة ودخل المستعمرون بعده إليها، ثم تحولت إلى بلد كاثوليكي يضطهد المسلمين في جنوب الفلبين حتى الآن.

فمما سبق مما ذكره الدكتور محمد عمارة وما لاحظناه: فإن الحضارة الغربية تتميز بطابع صراعي وأن مبدأ الصراع جزء منها، وهي المروجة لمبدأ صراع وصدام الحضارات وعلاقتها مع العالم كما يراها الغرب تتميز بأنها دموية وصراعية من أجل السيطرة والهيمنة وملء الفراغ.

د- طابع عبقرية الحضارة الغربية

ومن وجهة نظر أخرى يرى الدكتور محمد عمارة أن الحضارة الغربية لا تخلو من جوانب إيجابية وهذا أمر طبيعي، فمن الملاحظ أن الحضارة الغربية تركت الجانب الروحاني والإلهي، فيما يسمى بعصر الظلمات والجمود الفكري وسيطرة الكنيسة على العقل الأوروبي ومنعه من الإبداع والابتكار، وركزت في العصر الحديث على الجانب الدنيوي فأبدعت في علوم المادة والكون فنتج عن ذلك تطور هائل الذي يجب أن نسعى إليه، ونتعلم منه، ومثال ذلك في الجانب الإنساني ما يسمى "بفكرة المؤسسة" فالكنيسة مؤسسة فالفايكان له أموال طائلة فهو أكبر إقطاع رأسمالي في الغرب فأمواله توظف في الأفلام الجنسية والدعارة ففي أي مجال يستخدمه وبأي شكل فالقاموس في الحضارة الغربية له مؤسسة، ودائرة المعارف لها مؤسسة، والثقافة لها مؤسسة، والأحزاب لها مؤسسات لذلك أصبحت معدة الحضارة الغربية معدة قوية وصدق الشيخ محمد عبده رحمه الله حيث كان يقول: "أن الباطل يعيش بالنظام والحق لا يعيش بغير النظام، فمأساتنا فقدان المؤسسات"^(١).

المبحث الرابع: نقد الحداثة الغربية

تمهيد: مما نلاحظه اليوم، أن سؤال مفهوم الحداثة الغربية، وكيفية تلقيها في المجتمعات العربية عامة والإسلامية خاصة يعتبر من أهم المسائل التي خلقت جدلا في الأوساط الفكرية من نخبنا لكون هذا المفهوم في سياقات غربية مغايرة عن السياق والطرح الإسلامي لأنها لا بد لها من الخضوع لسلطة النص الديني، فمصطلح الحداثة هو فعل تجاوز كل ما هو مقدس، هذا ما خلق في ثقافتنا نوع من التوجس من الوافد الجديد، فانشطرت أنواع التلقي لهذا الوافد الجديد إلى مواقف، رافض له كلية ومتفاعل معه، وموقف وسطي توفيق بينهما. ومن بين المواقف التي آمنت بضرورة الانفتاح والتفكير في أفق كوني موقف الدكتور محمد عمارة الذي يقدم تصورا مغايرا عن باقي الأطروحات، لأنه يرى أن الشريعة الإسلامية تتقاطع

١ . المصدر السابق: ص ٨ .

والحادثة في المبادئ الإنسانية وتختلف عنها في المضامين الأيديولوجية. ومن هذا المنطلق سنخرج على مفهوم الحادثة الغربية لغة واصطلاحاً و نذكر أهم أسسها.

المطلب الأول: المفهوم اللغوي للفظ الحادثة

ورد في لسان العرب لابن منظور الحديث نقيض القديم، والحُدُوثُ نقيضها لِقَدَمَةٍ، حدث الشيء أي حدث حدوثاً وحادثة وأحدثه هو، فهو مُحَدِّثٌ وحديث، وكذلك اسْتَحْدَثَهُ^(١). وجاء في لسان العرب لابن منظور أن الحادثة هي اللفظة المشتق من الفعل حدث، بمعنى وقع، وَحَدَّثَ الشيءَ وَيَحْدُثُ حُدُوثاً وحادثةً فهو مُحَدِّثٌ وَحَدِيثٌ، وحدث الأمر أي وقع وحصل، وأحدث الشيء أي أوجده والمحدث هو الجديد من الأشياء^(٢). ولهذا كان استعمال كلمة حديث للدلالة على التفتح والحرية الفكرية، ويوجد في قاموس المحيط كلمة حادثة تعني حَدَّثَ حُدُوثاً وَحَدَاثَةً، نقيض قَدَمٌ وتضم داله إذا ذكر مع قَدَمٌ، وَحَدَّثَانُ الأَمْرُ، بالكسر، أوله وابتدأه كَحَدَاثَةٍ^(٣).

وقد استخدمت العرب حدث مقابل قدم أي ما يعني أن الحادثة تعني الجدة والحديث يعني الجديد، وجاءت كلمة الحديث في معجم تهذيب اللغة للأزهري: شَابَّ حَدَثٌ: فَتِي السِّنِّ، والحديث الجديد من الأشياء^(٤). والملاحظ أن لفظة الحادثة لا تخرج عن إطار التمرد والثورة عن كل ما هو قديم والدعوة إلى الجديد.

أما في الثقافة الغربية فيقع اللبس بين مصطلحين هما: (modernité) و (modernism) إذ تتم ترجمة كل منهما إلى اللغة العربية مقابلاً بمصطلح الحادثة الذي

١ . حمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين الأنصاري، لسان العرب، ط ٣ سنة ١٤١٤ هـ دار بيروت لطباعة والنشر بيروت لبنان ج ٢ ص ١٣١ مادة حدث ١٤١٤ هـ بيروت لبنان .

٢ . المصدر السابق، ج ٢، ص ١٣١.

٣ . مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، ط ٨ سنة ٢٠٠٥ م، مؤسسة الرسالة بيروت - لبنان ص ١٦٧.

٤ . أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة، تح: عبد السلام العرابوي، ج ٤ القاهرة د. ت، الدار المصرية للتأليف والترجمة مادة حدث.

يختلف عن التحديث (modernization)، ويشير البعض على أن الأولى " مشتقة من الجذر (mode) وهي الصفة والشكل أو هو ما يتبدأ به الشيء، فاللفظة العربية ترتبط بما له أكثر من دلالة عما يقع أنه يحدث، فالشكل ليس هو المهم وليس هو الصورة التي تبرز فإنما يحدث يتثبت بواقعيته وراهنيته^(١).

وجاء في بعض الموسوعات الفلسفية الأخرى تعاريف للحدث نذكر منها أن الحدث، في المعجم الفلسفي هي الحدث الذي يتضمن صفات المدح أو الذم، فالحدث، الذي يتضمن معني الذم صفة الرجل قليل الخبرة السريع التأثير المقبل على الأعراض التافهة، دون الجوهر العميق، والمعرض عن القديم لمجرد قدمه لخبطه وفساده، أما عن الحدث الذي يتضمن معنى المدح صفة الرجل المتفتح الذهن المحيط بما انتهى إليه العلم من الحقائق المدركة لما يوافق روح العصر من الطرق والآراء والمذاهب^(٢) ويشير هذا إلى أن الحدث لن يخلو من الشر لأن الحدث ذا صفة معيارية و نسبية تحاول جمع محاسن القديم والحدث، لتصبح رمزا الأصالة والإبداع والابتكار والتي تحمل الخير للعصر من أجل التخلي على كل التقاليد الجامدة والعادات البالية ويكون الحدث بهذا المعنى يرتبط بمفهوم التطور والإنماء في جميع الميادين. إن الفكرة المتوصل إليها في تحديد المفهوم اللغوي لمصطلح الحدث أنها ارتبطت دائما بصفة الحدث باعتباره رمزا لها للكشف عن كل جديد والتخلي عن كل قديم الذي لا يليق بانفتاح أصالتها^(٣).

المطلب الثاني: المفهوم الإصطلاحي للحدث

تعتبر الحدث أحد المفاهيم التي لها معان كثيرة ، ويشترك مفهومها مع مفاهيم مجاورة له من قبيل التجديد والتحديث وهذا ما يزيد من صعوبة تحديد مدلولها والوقوف على تعريف محدد للحدث إذ لا يمكن حصرها في اتجاه محدد، ومذهب معين و هذا ما أدى إلى

١ . صفدي مطاع، نقد العقل الغربي ، الحدث وما بعد الحدث مركز الإنماء القومي، بيروت لبنان، د ط ج ٢، ص ١٦٦.

٢ . جميل صليبا، المعجم الفلسفي دار الكتاب اللبناني بيروت - لبنان ، ط ١ سنة ١٩٨٢، ج ٢، ص ٤٥٤-٤٥٥.

٣ . جوادي الجيلاني، مذكرة لنيل شهادة الماستر نقد الحدث الغربية عند طه عبد الرحمان جامعة قاصدي مرباح ورقلة تاريخ

المناقشة ٢٠١٧/٠٥/١١م، ص ٨٠.

اختلاف بعض مواقف المفكرين، نظرا لتعدد تعريفاتها بحسب مقارباتها الفلسفية. وفي نظر الدكتور محمد عمارة أن الحداثة الغربية جعلت الكون المادي والواقع الديني فقط وليس -الغيب - هو مصدر المعرفة الحققة والعلم الحقيقي كما جعلت العقل والتجربة وحدهما دون "النقل" و " الوجدان" الطرق المعتمدة والمأمونة لتحصيل هذه المعرفة فكانت القطيعة المعرفية مع الموروث وبالذات الموروث الديني تلك التي تميزت بها ثقافة الحداثة الغربية، والحداثة الثقافية عندما عزلت علمانياتها السماء عن الأرض، بدعوى أن "العالم مكتف بذاته"، وأن "الإنسان مكتف بذاته وأن تدبير هذه الحياة الدنيا إنما يتم بالأسباب المادية والملكات الإنسانية المودعة في ظواهرها وعوالمها دونما حاجة إلى مدير مفارق ومتعال من وراء الطبيعة ن حتى لقد جعلت هذه الثقافة الحداثية التي تمحورت حول الإنسان دون الله جعلت من هذا الإنسان كائنا" طبعيا وسيدا للكون وليس ذلك المخلوق الرباني، الذي نفخ الله فيه من روحه، وجعله خليفة له... أي سيذا في الكون، وليس سيد الكون، وإنما عبدا لسيد الكون^(١).

المطلب الرابع: الحداثة بالمفهوم الغربي

مما سبق لاحظنا أن الغربيين المهتمون بدراسة الحداثة على أسسها وأصولها، وإن اختلف مصطلح بعضهم على هذا المصطلح وتفاصيله، فهم يجمعون على أن الحداثة منهج تغييري و مذهب انقلابي في المفاهيم والأفكار ويتطور مفهومها بتطور مفهوم الزمن، فما كان حديثا في السنة الماضية لا يكون حديثا في هذه السنة^(٢). يرى "أندريه لالاند" أن كلمة حداثة تقابل حديث "Moderne" ومشتقة من الجذر "Mode" وهي لفظ قديم مستعمل بكثرة منذ القرن العاشر في الحوار الفلسفي والديني، ويكاد يستعمل دوما بمعنى ضمني وهذا

١ . د. محمد عمارة، مستقبلنا بين التجديد الإسلامي والحداثة الغربية مكتبة الشروق، ط ١ سنة ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م، ص ٦.

٢ . أنظر: محمد بن أحمد عبد العزيز العلي، رسالة دكتوراه بعنوان الحداثة في العالم العربي، دراسة عقدية جامعة محمد بن سعود الإسلامية كلية أصول الدين قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، الرياض المملكة العربية السعودية، سنة ١٤١٤ هـ ١٩٩٤ م، ص ٢١١.

ما زاد في الحرية الفكرية ومعرفة أحداث الوقائع المكتشفة، أو بمعنى عامي خفة انشغال، وحب التغيير من أجل التغيير بلا حكم على الماضي وبلا تفكير فيه^(١) ويعرفها "جان بودريار"، حيث يقول: "إن الحادثة ليست مفهوم السيسولوجيا أو سياسيا أو تاريخيا يحصر المعنى، وإنما هي صيغة تعارض التقليد ومع ذلك تظل الحادثة موضوعا عاما يتضمن في دلالاته إجمالا الإشارة إلى التطور التاريخي بأكمله وإلى التبدل في الذهنية"^(٢). ويوضح هذا أن الحادثة ممارسة أرادت أن تناقض الأساس الثقافة الغربية في الماضي والتي كانت قائمة على الدين، وبهذا ابتدأت الحادثة في أوروبا منذ اللحظة التي تفككت فيها الثقافة الدينية و ظهرت الثقافة اللادينية، وهذا لأن الحادثة مختلفة ومتعددة الأوجه بتعدد تعريفاتها. فالحادثة بهذا المعنى مصطلح ثقافي ومفهوم يعبر عن لا محدودية المستقبل، عن شموليته، وعن كونه العام مقابل الخاص، أو ما قام منه، ومن هنا تحمل الحادثة إمكانية التبشير بالمختلف الذي سيأتي به الأفق اللامحدود المستقبلي^(٣) وبهذا تصبح الحادثة خطأ حضارياً متجهاً نحو المستقبل، داعياً إلى أفاق جديدة ترفض كل ملامح الثقافة التقليدية و مبشرة بالتغيير والتحول داخل المجتمع، من أجل تجاوز مظاهر التقليد الطاغية على الحاضر.

أما بودلير (١٨٢١م - ١٨٦٧م)^(٤) فالحادثة عنده هي العابر والهارب والعرضي إنها نصف الفن الذي يكون نصفه الآخر هو الأبدى والثابت، وللحادثة وجهان : سلبي وهو ما عكسه عالم المدنية الكبيرة بما فيه من غياب التحضر والذي يتجلى في التقدم القائم على التقنية المعتمدة على البخار والكهرباء، ووجه فاتن، وهو عنصر إثارة^(٥) ويؤكد الحداثيون الغربيون

١ . أندرية لاند، موسوعة لاند الفلسفية تعريب خليل أحمد خليل منشورات عويدات، -بيروت- ، باريس، ط ٢، سنة ٢٠٠١، ج ٢، ص ٨٢٢.

٢ . عبد الغني بارة، إشكالية تأصيل الحادثة في الخطاب النقدي المعاصر مقارنة حوارية في الأصول المعرفية، الهيئة المصرية العامة، مصر، سنة ٢٠٠٥م، ص ٣١٢.

٣ . مطاع صفدي، العقل الغربي للحادثة وما بعد الحادثة مركز الانتماء القومي، بيروت لبنان سنة ١٩٩٠م ص ٢٠٣.

٤ . شارل بودلير هو شاعر وناقد فني فرنسي ومن أبرز شعراء القرن ١٩ ومن رموز الحادثة في العالم، له كتاب الأعمال الشرعية الكاملة ترجمها رفعت سلامة في دار الشرق القاهرة سنة ٢٠٠٩م.

٥ . محمد برادة، إعتبارت لتجديد مفهوم الحادثة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ٢٠٠٦م، ص ١٢.

على أن أخص مفاهيم الحداثة، هو الثورة على كل ما هو قديم وثابت والنفور من كل ما هو سائد من أمور العقيدة والفكر والقيم واللغة والشؤون الأدبية والفنية، وهذا ما يؤكد على أنها ثورة على الواقع بكل ما فيه من ضوابط ويقول الروائي الفرنسي فلوبيير عن الحداثة: "الحداثة هي التعصب للحاضر ضد الماضي بمعنى أن الوعي الحداثي ليس تشيعا لسلطة ماضوية، وحيننا إلى أصل تليد وحقبة ذهنية، بل هو تمجيد للحاضر وافتتاح على الآتي"^(١). هذا يعني بأن الحداثة عبارة عن مذهب انقلابي في المفاهيم والأفكار يختفي تحت شعار التقدم والتطور في جميع الميادين، ولهذا فالحداثة لا تتقيد لا بعصر ولا بزمان عكس المعاصرة التي تتحدد بالزمان، فهي تسعى إلى نهوض الأمم دون غير. ومن أهم أفكاره التي تؤسس للحداثة في الأدب، قوله: ليس مواضيع جميلة أو بذئية إذا ابتعدنا عن قاعدة الفن الخالص، لأننا نستطيع بالإنشاء أن نغير نظرنا إلى الأشياء^(٢). ويعرفها الناقد الفرنسي "رولان بارت الحداثة هي انفجار معرفي لم يتوصل الإنسان إلى السيطرة عليه، ففي الحداثة تنفجر الطاقات الكامنة والإبداع المعرفي مولدة في سرعة وكثافة مذهشة أفكارا جديدة، وأشكالا غير مألوفة وأقنعة عجيبة، فيقف بعض الناس منبها بها ويقف بعضهم الآخر خائفا منها هذا الطوفان المعرفي يولد خصوبة لا مثيل لها، ولكنه يغرق أيضا^(٣).

المطلب الخامس: الحداثة بالمفهوم العربي

يقول الدكتور محمد عمارة : الحداثة هي قطيعة معرفية كبرى مع المورث ومع الموروث الديني، على وجه الخصوص فثقافة الحداثة التي جاءت إلينا في ركاب الغزو الإستعماري، نقلت الثقافة من التمحور حول الله تعالى إلى التمحور حول الإنسان، أي أنها أقامت قطيعة معرفية كبرى بين السماء والأرض بين الإنسان وخالقه، وجعلت الإنسان مكتفيا بذاته والدولة مكتفية بذاتها، ليست في حاجة إلى شريعة تنظمها وتحكمها، من وراء العالم الذي نعيش

١ . د. محمد الشيكري هايدغر وسؤال الحداثة قط المغرب سنة ٢٠٠٦ أفريقيا الشرق ص ١٢.

٢ . فيكتور برومبير غوستاف فلوبيير ترجمة غالية شملي، ط ١ لبنان ١٩٧٨م سلسلة أعلام الفكر العلمي المعاصر ص ٢٢.

٣ . عدنان رضا النحوي، الحداثة في منظور إيماني ط ٣ سنة ١٩٨٩م - ١٤١٠هـ دار النحوي للنشر والتوزيع - الرياض المملكة العربية السعودية، ص ٢٥-٢٦.

فيه. إذا فالحادثة هي الثقافة التي أنست الدين وجعلت الدين وضعاً بشرياً ولذلك الحداثيون يتحدثون على أن القرآن وأنه وضع إنساني^(١) يزعم بعض الباحثين أن الحادثة العربية تابعة للحادثة الغربية جملة وتفصيلاً، فمعناها واحد ومفهومها متطابق، فهي مستورد من المستوردات الغربية مصدرها الأول هو الحضارة الغربية لذا فإن ما تنطوي عليه من ملل وثنية ومذاهب فلسفية واتجاهات فكرية ومناهج، وضعية، فهي في الحقيقة غربية الأصل، والنشأة والتوجه والأهداف، ولكنها مترجمة إلى العربية ومنقولة إليها بأحرف عربية الحرف أجنبية الولاء^(٢).

يقول هشام شرابي: "الحادثة في جوهرها هي عملية انتقالية تشتمل على التحول من نمط معرفي إلى نمط معرفي آخر يختلف عنه جذرياً، وهي انقطاع عن الطرق التقليدية لفهم الواقع، وإحلال أنماط معرفية وفكرية جديدة"^(٣). ويرى محمد محفوظ "أن الحادثة ليست كياناً ثقافياً أو تاريخياً، بل هي نتاج تراكم تاريخي يبني فيه الإنسان نفسه من جديد وبصورة دائمة، وذلك بتصحيح أخطائه، وتسخير العقل في سبيل إعادة بعث وجوده الواعي"^(٤). مما سبق تبين لنا أن مصطلح الحادثة دخیل في حقل دائرة ثقافتنا العربية، وأخذ أبعاداً متعددة وتعريفات مختلفة، ويعد من المفاهيم التي اكتنفها الغموض واللبس، سواء على صعيد بيئتها الأولى ومنطلقها العالم الغربي، أو في العالم العربي.

١ . رابط الفيديو بعنوان الخلط بين الحادثة وتجديد الخطاب الإسلامي - الدكتور محمد عمارة سؤال وجواب .

https://www.youtube.com/watch?v=٤٠feTa_PKpo&ab_channel=١٨/١٢/٢٠١٦

٢ . د. سعيد بن ناصر الغامدي الانحراف العقدي في أدب الحادثة وفكرها - ط ١ سنة ٢٠٠٣م - دار الأندلس الخضراء - جدة المملكة العربية السعودية، ص ٧٦.

٣ . هشام شرابي النظام الأبوي واشكالية تخلف المجتمع العربي من ترجمة ماهر شريح دار نلسن السويد ط ٤ سنة ٢٠٠٠م ص ٨٩.

٤ . محمد محفوظ، الإسلام والغرب وحوار المستقبل، ط ١، المركز الثقافي العربي، بيروت سنة ١٩٩٨م، ص ٣٣.

الفصل الثاني: في الرد والنقد علي الإفتراءات

المبحث الأول: إشكاليات في قراءة النص الديني وتفسيره

تمهيد: بلغ بأصحاب مدرسة الفكر الحدائي إلى أنهم لم يتوقفوا عند الإساءة بالسياسات العامة، ونقد التراث الثقافي والاجتماعي، والطعن في عفة المرأة وردها إلى ميدان العبودية فقط، بل تناولوا على ذلك وبلغوا في طعنهم حتى السيرة النبوية المطهرة، وطعنوا في شخص النبي صلى الله عليه وسلم، وإذا تطلعنا في قراءة كتبهم، سنجد أن أكثرهم تعرض لشخصية النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، أو حتى في كلام الله تعالى المنزل عليه، ومن خلال هذا المطلب سنخرج على كتابين قيمين للدكتور محمد عمارة رحمه الله أما الأول فكان بعنوان "التأويل العبثي للوحي والنبوة والدين"، حيث كان هذا الكتاب بمثابة دراسة نقدية لكتاب: "بسط التجربة النبوية" للمؤلف الإيراني عبد الكريم سروش^(١)، والذي يرد عليه فيه الدكتور محمد عمارة على أهم الشبهات التي ذكرها في شخص سيد المرسلين. أما الكتاب الثاني فكان بعنوان: "قراءة النص الديني بين التأويل الغربي والتأويل الإسلامي"، والذي يرد فيه الدكتور عمارة أيضاً، وينقد تلك الفرق الحدائية التي ترى موت المؤلف (علم الهيرمينوطيقا)، و يشرح تأويل بعض المذاهب الإسلامية في القرآن الكريم والسنة النبوية.

أما نحن في هذا المبحث سنخرج على بعض النماذج النقدية للدكتور محمد عمارة التي نراها هامة جداً ونحاول تتبع عثرات هؤلاء الحدائيين، وننقد ما وضعوه من شبه ونلخصها في هذا المطلب وبالله التوفيق.

١. عبد الكريم سروش هو الاسم المستعار لحسين حاجي فرج الدباغ، أحد أبرز المثقفين في إيران ويكرس اهتمامه في الدين والديمقراطية والتنوير الديني؛ ولد في طهران سنة ١٩٤٥م ودّرس في الثانوية المسماة بـ«رفاه» وهي من المدارس التي كانت تحرص على الجمع في مناهجها بين الدروس الدينية وبين المواد العلمية المعاصرة؛ التحق بجامعة لندن في فرع الكيمياء وحصل على الدكتوراه. لكنه ترك تخصصه في الكيمياء والصيدلة واتجه إلى فلسفة العلم ودراسة تياراتها النقدية الحديثة وتراث المدرسة الوضعية. كان سروش قريباً من علي شريعتي ومرتضى مطهري، وهما وجهان محوريان في فترة ما قبل الثورة في إيران، وبعد الثورة عاد إلى بلده وشغل مناصب عليا في الدولة وأخرى بحثية أهمها الأبحاث والدراسات الثقافية.

المطلب الأول: الوحي بشرياً لا نبوياً محضاً، نقد نظرية الكاتب الإيراني عبدالكريم

سروش

يصور الدكتور عبد الكريم سروش، في كتابه بسط التجربة النبوية، شخصية النبي محمد صلى الله عليه وسلم أنه "العارف" الذي بلغ المرتبة العالية، و قدرة الكشف الذي تميز به على كثير من البشر، نتيجة للرياضات الروحية التي تمكنه من الإطلاع على أسرار الغيب، حيث يكون هذا الإطلاع بعد "غليان الشخصية" كما سماه الكاتب، فيفرز له هذا الغليان ما يمسى الوحي القرآني والرسالة. ويؤكد الدكتور سروش ان القرآن والوحي والرسالة، كله يكون نتيجة الغليان وينفي كونه تنزيل من الأعلى.

يذكر الدكتور محمد عمارة على لسان سروش حيث يقول: "عندما يوسوس الشيطان في واقع الإنسان، وعمقه الداخلي فكأنه يوحى إليه، والأنبياء بدورهم يتعرضون لـ "وسوسة الملك"، ثم تعرض عليهم الكشوفات"^(١). ويرى سروش أن الوحي يعتبر نوع من أنواع الإشراق، يحدث للنبي فيتعرف على حقائق و أسرار عالم الغيب وقد يحصل حتى للآخرين كما يقول إلا أن هذا الإشراق يكون ضبابي وغير تام، بينما كشف النبي يكون تام... وهذه ويسهب سروش في كتابه "بسط التجربة النبوية" حيث يقول: "لقد كانت شخصية النبي، بمثابة الخزانة التي تحوي أسراراً وعلوماً الشخصية عندما تغلي، وتنفجر يطفح الوحي الإلهي من مطاوي كلماتها بمعنى أن ما يقدمه النبي من معارف الوحي للآخرين، عبارة عن غليان بركان وجوده المؤيد والمُسَدِّد، وقطرة من بحر معارفنا ولذلك فإن هذا الغليان وهذا الكلام الوحياني، يكون تابعا له، وليس هو تابعا لهذا الكلام. ولقد كان النبي يمارس رياضة مدة أربعين سنة، ثم تجلت للنبي حقيقة النبوة، وصار منورا كبوذا...!"^(٢).

١. د. محمد عمارة، التأويل العبي للوحي والنبوة والدين، دراسة نقدية لكتاب بسط التجربة النبوية، ص ٣٢.

٢. عبد الكريم سروش، بسط التجربة النبوية ترجمة أحمد القبانجي، سنة الطبع ٢٠٠٦، دار الفكر الجديد، العراق، ص ١٩٧، ص ١٩٩.

مما سبق نرى أن الدكتور محمد عمارة بدأ يرد على هذه الشبهة ردا جليا، ويدحض وينتقد كلامه بأسلوبه الذكي والرصين، حيث من خلال كلامه انتقد هذا الأخير سروش، بأنه أله النبي وجعله مصدراً للوحي، والقرآن والرسالة، بعدما أعطاه صبغة الكاشف العارف.

بين الدكتور عمارة أيضا أن سروش من خلال كلامه هذا يكون قد عزل السماء عن الأرض، وأنزل السماء إلى الأرض لأن النبي بدلاً من أن يكون متلقياً للوحي، كان مصدراً له، وهذا بهتان عظيم في شخص النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، وافتراء كبير في حق الوحي الإلهي، لأن المتتبع جيداً لكلامه يعرف أن سروش يريد أن يذهب بفكره إلى أن الله تعالى ليس هو الذي يرسل جبريل الذي اصطفاه من ملائكته من السماء إلى النبي صلى الله عليه وسلم الذي اصطفاه على سائر البشر ويذهب سروش إلى أن النبي، هو من ينزل جبريل عليه السلام، وليس الله هو من يأمره بالنزول فيكون بذلك أنه أله النبي بكلامه هذا، حتى يستقل عن السماء تماماً، بل إلى تبريره إلى أن النبي هو الذي يأمر جبريل بالنزول وليس الله هو الذي ينزل جبريل استدلاله على أن النبي هو مصدر هذا الوحي ومنتجه لا متلقيه وبرهن على كلامه هذا، واستدل على هذه الهرطقة كما يقول الدكتور محمد عمارة بالآية الكريمة، التي يقول الله تعالى فيها: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾^(١). يقول الدكتور سروش معقبا على هذه الآية: "عندما يكون رمي النبي هو رمي الله تعالى، فيكون قوله أيضا قول الله تعالى ومن هنا، فإن فهم النبي بدوره هو فهم الله، والوحي ليس شيئا سوى نوع من الإدراك الخاص للنبي"^(٢) ومن حيث كلامه هذا تجاهل سروش انه ليس كل قول أو رمي من النبي هو قول و رمي الله تعالى، بل أن هناك أقول للنبي صلى الله عليه وسلم يكون قد اجتهد فيها، وربما يكون أخطأ فيها، فكل ابن آدام خطأ، ثم يعقب الدكتور عمارة فيقول: "إن الآية ومارميت إذ رميت ولكن الله رمى" تعنى أن الله تعالى، الذي يسدد رمي الرسول فرمي الرسول تابع الأصل هو رمي لرمي الله ... وليس العكس كما قال الدكتور سروش"^(٣). فالدكتور

١ . سورة الأنفال، الآية ١٧ .

٢ . المصدر السابق: ص ٢٤٣ .

٣ . د. محمد عمارة، التأويل العبي للوحي والدين والنبوة، ص ٣٥ .

سروش أيضا أراد أن يعزل الوحي عن السماء ويجعل النبي مستقلاً. عن السماء أيضا وبذلك يكون قد وصل إلى نتيجة بشرية الوحي ومنه ربطه بتاريخ معين و الكارثة العظمى أنه أله النبي لما جعله محيطا بطبقات وعوامل ومراتب جميع الوجودات، فجعله الأمر والنهي والفاعل في جميع هذه الوجودات ويكون بكلامه الخطير هذا قد أنسنا الألوهية، عندما أراد أن يؤنس النبوة والوحي والدين! وهذا لعمري افتراء وبهتان مبين.

ومن إفتراءات سروش الذي لفقها على شخص النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وذكرها الدكتور محمد عمارة ونريد أن نلخصها نحن أيضا أنه كان يقول ويتحدث، في كتابه "بسط التجربة النبوية" على أن الوحي بشري وتاريخي كما هو الدين، وأكد على أن هذا الوحي والرسالة أنهما مصدر من النبي، كما انكر سروش مفارقة النبوة للبشرية كما بينه من خلال كتابه. أن الرسول بشرا، ردًا على ما تزعمه الثقافة الإسلامية التي نظرت ويدعي إلى النبي كملك، وأهملت الجانب البشري فيه^(١).

ومن خلال تتبعنا لكتابات الدكتور سروش، نلاحظ تأكيده على أن القرآن إنتاج من النبي، هذا البشر العارف، ومنه كان من الممكن أن يكون حجمه أكبر من حجمه الحالي لو عاش النبي مدة أطول، و إمتد عمره، والعكس صحيح لو كان عاش النبي مدة أقل وحول هذا "العبث الفكري"، يقول الدكتور سروش: "فلو أن النبي استمر في حياته وكان له من العمر أكثر مما كان، و واجه من الحوادث والتحديات أكثر مما وقع فمن الطبيعي أن تزداد ممارسته ومواجهاته للحوادث، وهذا يعني أن يكون أكثر في حجمه من القرآن الموجود"^(٢). فمما سبق و تأييدًا، لكلام الدكتور محمد عمارة رحمه الله الذي يرى أن سروش في كلامه هذا، قد أخطأ خطأ جسيماً، وأنه تجاهل بكلامه هذا الحقائق القرآنية التي تنص على أن القرآن الكريم كما هو نصاً موجوداً، ومحفوظاً في اللوح المحفوظ قبل أن ينزل جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن القرآن الكريم نزل منجماً (مفرقاً)، لا بسبب الحوادث التي جرت زمن البعثة ومجتمعها، وإنما لِيُثَبِّتَ الله به فؤاد رسول الله صلى الله عليه وسلم،

١. د. عبد الكريم سروش، بسط التجربة النبوية، ص ٨.

٢. المصدر السابق، ص ١٦٣.

أمام التحديات البشرية، التي واجهت الدعوة الإسلامية، حيث يقول الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ۖ﴾ (١).

والمتتبع في كتاب الدكتور عبد الكريم سروش، يجده يبرر وبشدة إمكانية زيادة أو نقصان القرآن الكريم من الممكن جدا، حيث أنه زعم أن الآية الكريمة التي تقول: ﴿أَلَيْسَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ (٢) لا تعني اكتمال الدين، بل أن القصد منها اكتمال الحد الأدنى للدين، وفي هذا قدح عظيم في أن القرآن الكريم هو الكتاب الذي أحكمت آياته وأنه تنزيل من رب العالمين وأن آياته فصلت تفصيلاً. ولم أراد أن يبرر كلامه السابق أكد سروش أنه "في مسألة كمال الدين هناك فرق بين الكمال والجامع حيث أن الجامع يعني الشامل لكل شيء، ولكن الكامل يعني أن هذا الدين لا ينقصه شيء من الأدوات والمفاهيم" (٣). والمتمعن جيداً في هذا القرآن الكريم سيجده جمع بين الكمال والشمول، لأن الله تعالى لما قال اليوم أكملت لكم دينكم والذي قال أيضاً: ﴿مَا فَرَضْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ (٤) والناظر لحال هذه الأمة التي تفتخر بهذا الدين عندما خرجت من الجاهلية ومن عبادة الأوثان، التي أدخلتها في سداجة حضرية قبل عصور الإسلام، إنما كان هذا كله بفضل الدين والقرآن، ولم نسمع يوماً أنها شعرت بنقص في هذا الاكتمال والشمول، أو تحدثت عنه في الكتب ولو وافقنا فرضاً كلام سروش، أن هذا القرآن توقف في الحد الأدنى كما يزعم أو حتى في حده الأوسط. فلماذا لم نصل إلى قمة الحد الأعلى بعد أربعة عشرة قرناً، من الواقع الذي عشناه والأحداث التي نعيشها من حروب وتكنولوجيا وسياسة دول التي كان من المفترض أن تزيد من حجم هذا الكتاب. يقول الدكتور محمد عمارة ناقداً ومفنداً لهذه الشبهة كلاماً

١ . سورة الفرقان: الآية (٣٢).

٢ . سورة المائدة: الآية (٣).

٣ . د. عبد الكريم سروش، بسط التجربة النبوية، ص ١٦٤.

٤ . سورة الأنعام: الآية (٣٨).

رائعا: "إذا كانت أحداث مجتمع بسيط هو مجتمع النبوة، قد أُنْتَجَتْ في ثلاث وعشرين عاما " ٦٢٣٦ آية " هي حجم الحد الأدنى للقرآن كما يقول سروش، فكم كان هو حجم القرآن، الذي كان مفترضا على رأي الدكتور سروش أن تنتج أحداث خمسة عشر قرنا، في مجتمعات بلغت شأنًا بعيدا في التعقيدات والتحديات؟ أم أن رب العباد حشاه وتنزه عن ذلك تعالى قد تخلص عن عباده فتركهم للزمان وتحدياته، دونما هداية ولا حجة ولا تسديد^(١). ومن خلال ما سبق، يمكن أن نختم هذا المطلب الذي لو أردنا أن نتوسع فيه لأطلنا، حيث نستطيع أن نقول أننا توصلنا إلى مجموعة من النتائج التي تكون ردا لهذه الشبهة التي أنست الوحي، وألهة النبي، وسار مع ذلك سروش بهرطقاته، فنقول: أن ما أجمعت عليه كل الشرائع السابقة أن الوحي هو تنزيل إلهي، ينزله وعلمائها والله على رسله لتبليغ الناس كما ذكر ذلك أحبار الديانات السابقة. قديسيها من خلال ما ذكر الدكتور سروش في كتاباته كقوله مثلا: "إنني أعتقد أن النبي هو المُشْرِع للأحكام الفقهية، وأن النبي نفسه هو المقنن لهذه المسائل، وبالطبع فإن الله تعالى أمضى القوانين التي شرعها النبي^(٢)". فهو يُقر بأن التشريع نبوي، وأن الذات الإلهية، وضعها موضع من ختم على هذه التشريعات ولا حول ولا قوة إلا بالله . فهو بكلامه هذا يكون مكذبا لمحكم التنزيل الذي لا يقبل التأويل والذي يؤكد أن الشريعة أمر إلهي لا جدال فيه، وأن النبي صلى الله عليه وسلم مأمور باتباعها لقوله تعالى في العديد من الآيات القرآنية حيث نذكر منها: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا﴾^(٣) وقوله: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شَرِعَةً وَمِنْهَا جَاءَ﴾^(٤) وقوله: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾^(٥). فالمشروع للأحكام هو الله تعالى، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم، هو المبلغ والمبين والمنفذ

١ . د. محمد عمارة، التأويل العبي للوحي والنبوة والدين، ص ٤٣.

٢ . د. عبد الكريم سروش بسط التجربة النبوية، ص ٢٠١.

٣ . سورة الجاثية: الآية ١٨.

٤ . سورة المائدة الآية ٤٨.

٥ . سورة يونس الآية ١٠٩.

لشرح الله تعالى، ومتبعا له كما أمره. وفي هذا السياق فنحن نؤيد كلام الدكتور الذي رد فيه أيضا على الدكتور عبد الكريم سروش، الذي وجهه على شكل سؤال والذي ننتظر إجابته إلى يومنا هذا، حينما قال الدكتور عمارة: إذا كان أمر الله والحق الذي جاء به الدين قد انقطع بوفاة الرسول الأمين، فماذا بقي من الدين الإسلامي وما اسم هذا الدين الذي تدين به ويتدين به المسلمون منذ وفاة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، حتى الآن؟ وبأي حق، وبأي حجة ندين ونتدين يا دكتور سروش؟، أم أننا نعيش زمن "الفترة" منذ أربعة عشر قرنا؟.

المطلب الثاني: اللغة العربية لغة شعبية لا فصاحة قرآنية

المتتبع للغة القرآن الكريم يجد فيه حلاوة، كما قال الوليد بن المغيرة^(١) لما سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم: والله لقد سمعت من محمد أنفًا كلاماً، ماهو من كلام الإنس ولا من كلام الجن والله إن له لحلاوة، وإن عليه الطلاوة وإن أعلاه لمُثَمَّر به، وإن أسفله لمُعَدَّق، وأنه يعلو ولا يعلو عليه. فإن دل كلام الوليد هذا فإنه يدل على بلاغة القرآن وفصاحته، ونحن أمة الإسلام لنا كل الفخر، في أن لغتنا اللغة العربية هي لغة القرآن "نزل بلسان عربي مبين" ولكن من المؤسف أن الدكتور عبد الكريم سروش كان له موقف معادي، وغير موضوعي من اللغة العربية لغة القرآن، مع أن الباحث والمتتبع للغة القرآن يجدها تعجز أصحاب البيان والمجاز والإشارة والكناية، وتجدر الإشارة إلى أن اللغة العربية، استوعبت تراث الحضارات القديمة (إغريقية ورومانية وفارسية وهندية ومصرية بكل فنونها وعلومها)، كما أنها أصبحت لغة العلم وديوان الفلاسفة والمفكرين لأكثر من عشر قرون. وتواصلت المواقف المعادية للغة العربية، حيث أنه يرى فيها لغة شعبية كما يقول الدكتور محمد

١. الوليد بن المغيرة (٩٥ ق هـ - ١ هـ = ٥٣٠ - ٦٢٢ م) الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو ابن مخزوم، أبو عبد شمس: من قضاة العرب في الجاهلية، ومن زعماء قريش، ومن زنادقتها. يقال له "العدل" لأنه كان عدل قريش كلها: كانت قريش تكسو "الببت" جميعها، والوليد يكسوه وحده. وكان ممن حرم الخمر في الجاهلية، وضرب ابنه هشاما على شربها. وأدرك الإسلام وهو شيخ هرم، فعاداه وقاوم دعوته. قال ابن الأثير: وهو الذي جمع قريشا وقال: "إن الناس يأتونكم أيام الحج فيسألونكم عن محمد، فتختلف أقوالكم فيه، فيقول هذا: كاهن، ويقول هذا: شاعر، ويقول هذا: مجنون، وليس يشبه واحدا مما يقولون، ولكن أصلح ما قيل فيه "ساحر" لأنه يفرق بين المرء وأخيه والزوج وزوجته! "وهلك بعد الهجرة بثلاثة أشهر، ودفن بالحجون. وهو والد سيف الله خالد ابن الوليد. انظر: الأعلام للزركلي ج ٨/ص ١٢٢.

عمارة، معلقا على ذلك في قوله: بل لقد امتد هذا الموقف غير الودي للدكتور سروش من اللغة العربية إلى الحد الذي ادعى فيه دعواه غير المسبوقه حتى في إطار النزعات الشعبية، أن عربية القرآن الكريم هي أمر عرضي، وليست من ذاتيات القرآن وأن بالإمكان أن يرد النص المقدس، بلغة أخرى غير العربية^(١) ولكن الحقيقة لو تقصينا القرآن، ولغته جيدا لوجدنا أن الدكتور سروش خطأ جسيما من خلال كلامه هذا، لأن اللغة العربية والفصاحة التي جاء بها القرآن هي المخرج الوحيد الذي نستطيع أن نفك به لغز ما جاء به من إعجاز فالله تعالى قال: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾^(٢). فالآية دالة على العلاقة الخاصة بين عروبة النص، وبين ما فيه من إعجاز ولوجدنا أن الأمة جمعاء على إختلاف ألسنة شعوبها، تجعل من فقه العربية شرطا لمعرفة فقه إعجاز القرآن الكريم ومعرفته الجيدة. كما يقترح الدكتور سروش، في عروبة القرآن حتى أنه أنكر أنَّ القرآن نزل باللسان العربي، حيث أن العروبة طرئت عليه، حيث يقول "إن القرآن تمظهر وتجلي باللغة العربية، التي كانت لغة المحيط الثقافي للرسول"^(٣). فالمتتبع لكلامه يجده متناقض، لأن الدكتور سروش قال في بدايات نقده، أن القرآن هو نتاج نبوي، ثم أصبح يذكر أن اللغة العربية ليست لغة القرآن، فمن هنا نستطيع أن نقول للدكتور إذا لم تكن لغة القرآن العربية، فكيف كانت لغة النبي الذي جاء به ولكنها تناقضات للدكتور تستحق النقد والمتمعن جيدا في أسلوب عبد الكريم سروش يجد أنه يميل كثيرا إلى الهيرمينوطيقيا، التي اخترع أصحابها فكرة "موت المؤلف" حتى تكون لديهم قراءة النصوص ليست بحثا خالصا من أجل معرفة مقاصد المؤلف والمعاني التي يريد لها لنصه، الذي أبدع فيه. وإنما من أجل أن يكون القارئ له الحرية المطلقة فيما يريد بالنص الذي قرأه. ومن هنا رأينا أن هؤلاء الحداثيين الذين اتخذوا من ذلك ذريعة، أنهم طبقوا "النظرية الهيرمينوطيقيا، موت المؤلف" فاستباحوا النصوص الدينية وأولوا حقائقها، على ما يحلو لهم، وهذا ما رأيناه في أساليب الدكتور سروش، أو حتى في أساليب أساتذته الذين نهل من فكر

١ . د. محمد عمارة، التأويل العبثي للوحي والنبوة والدين، ص ٧٦.

٢ . سورة طه، الآية ١١٣.

٣ . د. عبد الكريم سروش، بسط التجربة النبوية، ص ١٩٥.

حدثتهم، كنصر أبو زيد، وحسن حنفي، ومحمد أركون ولو قرأنا ما جاء في الجدلية الماركسية التي تنص على أن كل مادة مستكفية بنفسها، مستغنية عن خالق، يوجد لها، وأن الفكر كله بما فيه الدين يعتبر انعكاسا للواقع الموضوعي^(١).

والقارئ لنصر أبو زيد كما يقول الدكتور محمد عمارة، يجد أنه إنطلق من الفلسفة المادية الماركسية والمادية الجدلية والمادية التاريخية، ليفسر الإسلام والوحي والنبوة فنصر أبو زيد أيضا هو الذي يتحدث على أن النبوة ما هي إلا تجربة خاصة، وأنها قوة مخيلة تكون في الأنبياء أكثر من سائر البشر الآخرين، فالنبي يأتي في قمة الترتيب ثم يليه الصوفي، ثم يليه الشاعر. كما أسند نصية القرآن الكريم للبشر، حيث كان تشكله من الواقع الذي عاشه ذلك النبي، فهو يراه منتجا ثقافي، وجاء في قوله: "إن القرآن كخطاب بشري هو خطاب تاريخي لا يتضمن معنى، مفارقا جوهريا ثابتا"^(٢). كما سار أيضا على نهجه أيضا الدكتور حسن حنفي، حيث كان يرى هو الآخر أن النبوات، ماهي إلا حلقة اتصال بين الفكر والواقع وأنها ليست غيبية، بل حسية، ويرى الدكتور حسن حنفي أن الإنسان عالم وحي وقادر وسميع وبصير ومريد ومتكلم، وهي صفات خالصة للإنسان ويرى قدرة الإنسان في خلق جزء من ذاته، فهو يستطيع أن يصبح إلهًا ن ويخلق المؤلَّه على صورته ومن ثم يقوم بعبادته فهؤلاء الحداثيون الذين تأثروا بالهيرومنوطيقيا، أصبحوا يرون أن الذات الإلهية هي الذات الإنسانية في أكمل صورها، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

المبحث الثاني: افتراءات حول الحاكمية والإسلام

تمهيد: لما كان الإنسان هو ابن عصره ومجتمعه وبيئته وحضارته التي نشأ فيها فإن عبقريته ونبوغه تقاس بما يكتشفه ويضيفه إلى تراث أمته وحضارتها وربما للحضارة الإنسانية كلها بحسن استخدامه للأدوات الفكرية التي ورثها عن سبقه في حل ما يواجهه الفكر الإنساني

١ . الموسوعة الفلسفية، ترجمة سمير كرم، طبعة بيروت، سنة ١٩٧٤م، ص ٢١٨.

٢ . د. نصر حامد أبو زيد، مفهوم النص (دراسة في علوم القرآن) طبعة الأولى، حزيران، دار المركز الثقافي العربي بيروت لبنان،

والإسهام في تجديده. وقد كان الدكتور محمد عمارة ثمرة لما ساد في مجتمعه الريفي أولاً والقاهري ثانياً، وما كان منتشرًا فيه من نشاط فكري وديني، وما عايشه من فكر ثوري اشتراكي في بيئته في ذلك الوقت، وقد ساهم ذلك في نضج فهمه واستيعابه إلى درجة كبيرة، مما مكنه من الجمع بين الموروث الإسلامي وبين الوارد من الغرب الأوروبي، مما أهله ليتبوأ مكانة علمية وفكرية تشهد بها مؤلفاته القيمة وأحاديثه المتنوعة، ويشهد بها معارضوه في الفكر قبل مريديه، مما ذكره المستشار طارق البشري من أن الدكتور عمارة ليس مجرد كاتب أو مفكر، فهو وإن كان فرداً فقد قام بعمل لا يقوم به إلا المؤسسات والمراكز البحثية ذات العديد من الباحثين والعلماء^(١). ويعد محمد عمارة أحد الأعلام الذين اجتهدوا وأفنوا حياتهم في سبيل علمهم، وأخلصوا في مشروعاتهم العلمية والفكرية، فأصبح من أبرز المفكرين المعاصرين في العصر الحديث. وقد ترك مكتبة علمية إسلامية غزيرة مكتوبة ومرئية، لا سيما فيما يتعلق بتناوله للقرآن الكريم وموضوعاته ومقاصده العامة والخاصة. ومن خلال ذلك استطاع أن يبين منزلة النصوص القرآنية وأهميتها ودورها في الواقع الذي يحياه الإنسان بيانا صعب على كثيرين ممن توجهوا إلى دراسة القرآن الكريم اكتشافه وكانت تلك القراءة القرآنية متأنية ومستقصية لموضوعاته ومقاصده إلى جانب رعاية الواقع والمستجدات التي تمر بها الإنسانية خير عون محمد عمارة للخروج بمشروع فكري إسلامي ينطلق من الوحي الإلهي في القرآن الكريم.

المطلب الأول: مفهوم الحاكمية ونشأتها

اختلفت الآراء حول تحديد المصطلح وتأصيله وأوردت معاجم اللغة العربية معاني متقاربة لمكونات جذر الحاكمية "حكم"، فحكم الشيء وأحكمه أي منعه من الفساد. جاء في لسان العرب والعرب تقول: حكمت واحكمت، وحكمت، بمعنى منعت ورددت، ومن هذا قيل للحاكم بين الناس حاكم؛ لأنه يمنع الظلم قال الأصمعي: أصل الحكومة رد الرجل عن الظلم، ومنه سميت حكمة اللجام؛ لأنها ترد الدابة^(٢). وقال ابن فارس^(١): "الحاء والكاف

١ . رضا جاد، المشروع الفكري للدكتور محمد عمارة (القاهرة: مفكرون الدولية، ٢٠١٨) ص ١٦-٧.

٢ . أبو الفضل جمال الدين محمد بن علي ابن منظور، لسان العرب (بيروت: دار صادر، ١٤١٤) ج ١٢/ص ١٤١.

واليم أصل واحد وهو المنع، وأول ذلك الحكم، وهو المنع من الظلم^(٢). وحكمت الرجل تحكيما إذا منعتة مما أراد، والحكم أيضا الحكمة من العلم والحكيم المتقن للأمور^(٣) لذا فقهمة أي حكومة مهما كان شكلها وميكلها الإداري هي منع الظلم وإقامة العدل، والحكم ما كانت غايته أو مقصده الأساس هو المنع من الفساد بغية الإصلاح، ولذلك فإنه لا بد أن يكون متقنا، وأن يؤسس على الحكمة بمعنى إصابة الحق، وأدوات الحكم هي النبوة والكتب السماوية والجمع بين العلم والعمل والقضاء بالعدل والحاكمة هي أفراد الله سبحانه وتعالى بالألومية وتقدير ربوبيته وحده سبحانه وتعالى وهي من أخص خصائص الألوهية، ونعني أن لا شريعة إلا من الله ولا سلطان لأحد على أحد، لأن السلطان كله الله سبحانه وتعالى^(٤). ورد عند من تناول مصطلح الحاكمية استخدامًا صحيحًا ووضعه في الموضع الذي أوردته نصوص الشرع وبينت ارتباطه بالعقيدة والإيمان، أنه من عصى الله مستكبرا كفر بالاتفاق ومن عصاه مشتهيا لم يكفر عند أهل السنة والجماعة ولا يكفره إلا الخوارج؛ لأن العاصي المستكبر متمرّد على حاكمية الله ومتعي حد العبودية التي خلق لها^(٥) وهكذا تكون الحاكمية تصورا عقدياً عن الله والكون والإنسان، تصورا ينبثق عنه شريعة وأخلاق تؤسس عليها نظم.

وأوضح رسول الله، أنه لا امتياز للحاكم من وراء حدود كتاب الله تعالى وسنة نبيه، ولا يمكن لحاكمينه أن ترفعه قيد شعرة فوق مستوى المنهج والحكم الإسلامي، إذ هو في الحقيقة ليس بحاكم ولا يتمتع بأي حاكمية حقيقية، ولكنه أمين من قبل المسلمين على تنفيذ حكم

١. ابن فارس (٣٢٩ - ٣٩٥ هـ = ٩٤١ - ١٠٠٤ م) أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين: من أئمة اللغة والأدب. قرأ عليه البديع الهمداني والصاحب ابن عباد وغيرهما من أعيان البيان. أصله من قزوين، وأقام مدة في همدان، ثم انتقل إلى الري فتوفي فيها، وإليها نسبته. من تصانيفه مقاييس اللغة في ستة أجزاء. انظر: الأعلام للزركلي ج ١/ص ١٩٣.

٢. أبو الحسين أحمد بن فارس البرازي، معجم مقاييس اللغة (القاهرة: دار الفكرة ١٩٧٩)، ج ٢/ص ٩١.

٣. إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (بيروت: دار العلم للملايين (١٩٨٧)، ١٩٠١ - ١٩٠٣.

٤. مرتضى شنتول ماهي، الفلسفة السياسية للحاكمية في الفكر السياسي الإسلامي المعاصر"، مجلة قضايا سياسية، كلية العلوم السياسية، جامعة النهدين عدد ٦٠ (٢٠٢٠)، ص ١٦٨.

٥. البوطي، محمد سعيد رمضان، فقه السيرة النبوية مع موجز التاريخ الخلافة الراشدة (دمشق: دار الفكر، ١٤٢٦)، ص ٤٨٤.

الله تعالى، ومن هذا لم تتعرف الشريعة الإسلامية على شيء مما يسمى بالحصانة أو الامتيازات لطبقة ما بين المسلمين في شؤون الحكم أو القانون والقضاء^(١)،

فالإنسان المخلوق لا خلود له مهما طال عمره أو تبوأ من المناصب في الدين، وكل ما بين يديه نسبي أمام ألوهية الله وحده وحاكميته، فهو سبحانه الذي تفرد بالبقاء، فالموت حقيقة تعلن على مدى الزمان والمكان، وفي أذن كل سامع وعقل كل مفكر، أن الله وحده هو الذي لا مرد لقضائه، ولا حدود لسلطانه، ولا مخرج عن حكمه، ولا غالب على أمره، أي حقيقة تنطق بهذه الدلالة نطقاً لا لبس فيه ولا غموض، أعظم من حقيقة الموت الذي قهر الله به سكان الدنيا كلها منذ فجر الوجود إلى أن تغيب خمسه^(٢). ذلك الإنسان الذي جعله الله خليفة له في الأرض وكرمه على سائر المخلوقات، وبوأه مكانته بين عبودية الله وسيادته على سائر المخلوقات؛ إذ أعطاه الله الكرامة والسيادة والحكم بما أوحى إليه الله وبتوظيف ما منحه من قدرات^(٣).

ففي الإسلام نبوة وخلافة على منهاج النبوة، أما الحاكمية فقد آلت إلى كتاب الله جل شأنه، الذي وصف بصفات لم توصف بها الكتب السابقة، وأحيط بضمانات إلهية لحفظ نصه؛ ليبقى محفوظاً غير الأجيال إلى يوم القيامة، إذ جاء القرآن الكريم مصدقاً لما بين يديه ومهيماً عليه، والشريعة التي يحملها شريعة تخفيف ورحمة ووضع الإصر والأغلال، وغير ذلك من خصائص جعلت القرآن الكريم هو الحاكم، وعلى الإنسان الاجتهاد في قراء له وفهمه وتطبيقه، فقد بدأت حاكمية الرسالة الخاتمة بنبوة تربي وتعلم وتركى النفوس بتلاوة آيات القرآن وتوظيفها واقعا عمليا، كما ورد في الحديث المشهور أن النبي صلى الله عليه وسلم كان الخللة القرآن، وأن الصحابة كانوا لا يتجاوزون ما يحفظونه حتى يطبقوه في

١ . البوطي، فقه السيرة النبوية، ص ٤٩٨.

٢ . أبو يوسف، مدحت بن الحسن آل فراج، العذر بالجهل تحت المجهر الشرعي (الرياض مكتبة دار الحميضي) ١٩٩٥، ص ١٣٧.

٣ . عمارة محمد، أبو الأعلى المودودي والصحة الإسلامية (القاهرة: دارالسلام، دون تاريخ ، ص ١١٧، محمد عمارة في النظام السياسي الإسلامي (القاهرة: مكتبة الإمام البخاري، ٢٠٠٩)، ص ٥٥-٥٧.

حياتهم، وكانت الممارسة شاملة لمتطلبات العمران والدور الحضاري، ولكن من منطلقات النبوة والخلافة، وألت الحاكمية فيها إلى كتاب الله تبارك وتعالى، المصدر الوحيد المنشئ للأحكام، الذي هو تبيان لكل شيء، فليست تنزل في أحد من أهل دين الله نازلة إلا وفي كتاب الله الدليل على سبيل الهدى^(١).

وقد ظهر مصطلح الحاكمية أول مرة في تاريخنا وتراثنا على يد الخوارج الذي تبلورت فرقته على يد كوكبة من القراء الذين حاربوا في صف علي بن أبي طالب قبل قبوله التحكيم، فلما قبله انشقوا على قيادته ورفضوا طاعته، واحتجوا بأن النزاع مع معاوية وأصحابه، قد حكم فيه القرآن الكريم، وهم الفئة الباغية، وفيها حكم القرآن قال تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ٩١﴾^(٢)، وما حكم القرآن فيه لا يجوز تحكيم الرجال فيه، فليس للإنسان حكم ولا سلطان فيما حكم فيه الله، ولما كان الله المنفرد بالحكم والحاكمية، فلقد صاح الخوارج في معسكر علي قائلين: (لا لحكم إلا لله) وأخذوا يرددون هذه الصيحة، ويدافعون عن فهمهم هذا، حتي لقد سموا بالمحكمة^(٣). وقد واجه علي بن أبي طالب هذا الفهم وهذا الشعار بكلمات هي أدق الكلمات الجامعة التي قبلت وتمكن أن تقال في مواجهة هذا المفهوم لهذا الشعار، وقال: إنها كلمة حق يراد بها باطل، نعم إنه لا حكم إلا لله ولكن هؤلاء يقولون: لا إمرة إلا الله وإنه لا بد للناس من أمير بر أو فاجر. وهكذا فإن حاكمية الله سبحانه وتعالى لا تعني تجريد الإنسان من السلطة والحكم في ميدان خلافته ونيابته عن الله، سياسة الدولة وتنظيم المجتمع وتنمية العمران، بل إن حكم الإنسان في هذه الميادين إذا التزم النهج الإلهي، إنما بعد التفيد لحكم الله أن يكون في الأرض خليفة عن الله: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي

١ . طه جابر العلواني، "حاكمية القرآن"، ص ٢١-٢٢.

٢ . سورة الحجرات: ٩.

٣ . عمارة، أبو الأعلى المودودي والصحة الإسلامية، ص ١٣١.

الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۗ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴿٣١﴾. فحاكمية الله حق لا نزاع فيها، وهي لا تنفي سلطان الإنسان السياسي وإمارته وحكمه أيا كان ذلك الحكم برا أو فجورا.

ومرت على المسلمين قرون طويلة اختفى فيها من واقعهم ومناقشاتهم السياسية شعار الحاكمية، حتي بعثه الأستاذ المودودي^(٢) من مرقده، وسلط عليه كل الأضواء، وجعله محور كل الفكر الذي خرج به على الناس دون أن يكون هو خارجي المذهب ولا متعاطفا مع الخوارج القدماء، لكن الشعار أثار وما زال يثير في واقعنا الإسلامي الراهن، ما أثار في الواقع الإسلامي القديم من غموض ولبس وشبهات. إنما المودودي، عندما تكلم عن الحاكمية يقول للإنجليز في بلاده ليس لكم صلة بالحكم. الحكم لله، أي للإسلام، فجاء بعض الناس ونقل هذا إلينا دون أن يعرف الملابس التي أحاطت بالكلمة هناك^(٣).

المطلب الثالث: مصطلح الحاكمية لدى الدكتور محمد عمارة رحمه الله

تفاعل عمارة كغيره من المفكرين مع الأحداث السياسية والاجتماعية المختلفة التي مرت بها الأمة الإسلامية، محاولا تقديم إجابات إسلامية لمختلف النوازل التي تحل بالبلاد، فكان له نصيب من دراسة هذا المصطلح على ما أنزله الله عز وجل في كتابه الكريم، وملابس ظهور المصطلح، والتوجيهات التي توجهها في الماضي والحاضر، وقد أجاب محمد عمارة حينما سئل: كيف يفهم مفهوم الحاكمية^(٤)، فقال: أنا أفهم شعار الحاكمية كما فهمه الإمام على بن أبي طالب-كرم الله وجهه، لا كما فهمه الخوارج الذين رفعوا هذا الشعار زاعمين أن الحاكمية الإلهية هي البديل الذي ينفي وينقض حاكمية الإنسان؟ لقد قال الإمام

١ . سورة البقرة: ٣٠.

٢ . المودودي زعيم الجماعة الإسلامية في باكستان والهند، مفكر وداعية إسلامي كبير، صاحب فهم ومدرسة إسلامية كبيرة، تطالب بتحكيم كتاب الله وتوحيد المسلمين وإحياء حضارتهم توفي سنة ١٩٧٨ م.

٣ . محمد عمارة، "نقد الغزالي لسيد قطب، عربي ٢١، (١٩-٢٠٢٢-٢٠٢٤، ١٥) و عمارة، أبو الأعلى المودودي والصحوة الإسلامية، ص ١٣٢.

٤ . محمد عمارة، "سؤال وجواب معني مصطلح الحاكمية" (٢٠٢٢-٠٦-١٥، ٣٦: ٢٩: ٢٢).

علي يومها: "نعم، إن الحكم الله، ولكن لا بد للناس من أمير، بما كان برا أو فاجرا، يسوس أمور الناس". وهذا الفهم الدقيق والعميق للحاكمية يلفت النظر إلى ضرورة التمييز بين المطلق والنسبي في الإسلام بالخوارج قد وقفوا عند المفهوم المطلق للحاكمية وهو الله وحده لا شريك له، وقد بدأوا أولى حلقات الغلو المنظم في الفكر الإسلامي الذي استنزف قوى المدارس الفكرية وكذلك قوى الدولة الإسلامية لمدة طويلة^(١).

وعلى الطرف الآخر من الغلو الفكري يقف العلمانيون والمتغربون عند المفهوم النسبي للحاكمية حاكمية الإنسان، مستبعدين مفهومها المطلق الذي هو الحكم بما أنزل الله. أما المفهوم الوسطى الجامع الحاكمية الله وحاكمية البشر، فهو الذي يجمع بين مفهومه المطلق ومفهومه النسبي، فالحكم المطلق الله، في الخلق والقضاء والتشريع، وكذلك للإنسان حاكمية نسبة في إنزال حكم الله على الواقع وفي الاجتهاد للمستجدات، وفي إبداع الفقه - علم الفروع في إطار فسفات وكليات ومقاصد الشريعة الإسلامية، وفي إبداع علم السياسة الشرعية فيما لا نص فيه تحقيقا للمصالح الشرعية المعتبرة، وجملا للتدابير السياسية أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد. والحاكمية في الثوابت هي الله سبحانه وتعالى، والحاكمية في الفروع والتطبيقات هي للإنسان، وهذا هو الذي يجعل الشريعة الإلهية واحدة. والعلاقة بين الثوابت والمتغيرات في القانون الإسلامي، تفتح الباب واسعا وتعبد الطريق عريضا لتوسيع دائرة الحاكمية الإنسانية التي منحها الله لخليفته الإنسان عندما حملة أمانة الخلافة ليكون حاكم الأرض نيابة عن الله^(٢).

بينما يرد التعدد في السياسات والاجتهادات الفقهية وشبه بهذا الفهم للحاكمية - الذي تميز بين ما هو مطلق وما هو نسبي - الفهم الذي يؤمن بأن العزة بمعناها المطلق في الله جميعا، مع الإيمان بأن للإنسان عزة نسبية، إذ العزة الله ولرسوله وللمؤمنين، وبذات الفهم تميز دون أن تفصيل بين القوة بمعناها المطلق، فهي الإيمان بأن للإنسان قوة نسبية تجعل للمؤمن

١ . محمد عمارة، ازالة الشبهات عن معاني المصطلحات (القاهرة: دار السلام (٢٠٠٩)، ص ٥٠-٥١.

٢ . عمارة، أبو الأعلى المودودي والصحة الإسلامية، ص ١٤٤.

القوي أحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وبهذا الفهم الذي يميز، دون أن تفصل بين الحاكمية بمعناها المطلق التي هي خاصة بالذات الإلهية والحاكمية بمعناها النسبي التي هي خصيصة إنسانية بهذا الفهم والتميز تخرج من الفهم المغلوط الذي وقع فيه الخوارج والعلمانيون جميعاً، وفي ذلك يقول الإمام ابن حزم قوله بليغة: "إن من حكم الله أن جعل الحكم لغير الله"^(١).

المطلب الرابع: الفهم الخاطئ لمصطلح الحاكمية وتفنيد الدكتور عمارة له

وكان لفهم بعض الفرق والجماعات وتفسيرهم آية السيف ومصطلحات الحاكمية والجاهلية والتكفير أثر في توجيهه للتغيير الآني المسلح الذي زاد الخلط والاضطراب في الاستيعاب وتوسيع الفجوة بين الفرقاء وزيادة الاتهامات بينهم. وقد تجرد عمارة للرد على الخلط الذي وقع فيه من استخدام مصطلح الحاكمية له في عرض المسألة الحاكمية وتبسيطها وتفنيدها من الناحية اللغوية ثم من الناحية التوظيفية لأصل المصطلح في القرآن الكريم والأدبيات في زمن نزول القرآن وعصر الصحابة والتابعين بأن الحديث في الفكر الإسلامي عن حق يعني حق المجتمع، وأن القول بأن المال مال الله معناه أن المال مال الأمة والمجتمع، ومن ثم فإن الحديث عن حكم الله وسلطانه إنما يعني في السياسة، حكم الأمة وسلطانها من منطلق خلافة الإنسان عن الله في عمارة الأرض، وما يلزم لذلك من إقامة الدولة التي يحكم فيها الإنسان خليفة عن الله فلا تناقض هنا بين أن يكون الحكم لله، وبين أن تكون السلطة السياسية والحكم في المجتمع الإسلامي لجماهير المسلمين^(٢).

وقع القائمون على تأسيس فكرة الحاكمية في عدة مزالق حين استشهدوا في تأسيس فكرهم بما لا يشهد له، ثم بنوا قاعدة نظريتهم الحاكمية لله، بتفسيرهم هذا على غير أساس فهم قد اشتقوا حاكمية الله سبحانه من مصطلح الحكم، ظانين أن القرآن وفكر الإسلام السياسي، يستخدمان مصطلح الحكم للدلالة على النظام السياسي والسلطة السياسية العليا في

١ . محمد عمارة، "سؤال وجواب"، الإسلاميون (١٥-٠٦-٢٠٢٢، ٠٨:١٥:٠٠).

٢ . محمد عمارة، الدولة الإسلامية بين العلمانية والسلطة الدينية (القاهرة: دار الشروق، ١٩٨٨) ص ٣٤-٣٥.

المجتمع، على حين أن أغلب الاستخدامات القرآنية لهذا المصطلح واردة بمعنى القضاء والفصل في المنازعات، وبمعنى الحكمة، أي الفقه والعلم والنظر العقلي، ولا علاقة لها بالخلافة أو الإمامة أو ما نسميه نظام الحكم في أدبنا السياسي الحديث^(١).

والمراد بالحكم في الآيات هو القضاء لأن سبب نزول الآيات يقطع بأنها جاءت تتحدث عن واقعة قضائية، احتكم فيها نفر من اليهود إلى الرسول صلى الله عليه وسلم طالبين قضاءه فيها، فحكم فيها ما أنزل الله في كتابهم التوراة^(٢). ويمكن إجمال الأمر في أن الحكم _مصطلحا قرآنيا_ لا يعني الحكم بالمعنى الذي نستخدمه اليوم في الدراسات السياسية، ومن ثم فإن اشتقاق حاكمية الله، بمعنى الحاكمية في النظم السياسية من هذا المصطلح إنما هو تأسيس على غير أساس^(٣).

ويزيد الأمر تأكيداً تلك الحقيقة التي يظهرها البحث في المصطلح الذي استخدمه القرآن الكريم، والأدب السياسي في صدر الإسلام، للتعبير عن السياسة ونظام الحكم والسلطة العليا في المجتمع الإسلامي؛ لأن هذا البحث سيكشف لنا أن مصطلح الأمر وليس مصطلح الحكم، هو الذي استخدمه القرآن للدلالة على مبحث السياسة ونظام الحكم إن الأمر مصطلح ذو صلة بالتشاور والشورى، التي هي: فلسفة الحكم في الإسلام ومنه سمي الحاكم بالأمير، والقادة بأولي الأمر، ومن هنا جاء قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٤)، وقال تعالى: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾^(٥). وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾^(٦) لمصطلح الأمر لا الحكم هو المصطلح الذي استخدمه القرآن الكريم واستخدمت السنة، واستعمل في الأدب السياسي في مصر

١ . عمارة، الدولة الإسلامية بين العلمانية والسلطة الدينية، ص ٣٥.

٢ . المصدر السابق، ص ٤٤.

٣ . المصدر السابق، ص ٤٥.

٤ . سورة النساء: ٥٩.

٥ . سورة الشورى: ٣٨.

٦ . سورة آل عمران: ١٥٩.

صدر الإسلام، تعبيرا عما تسميه اليوم نظام الحكم في المجتمع، ومن ثم فلا أساس لاشتقاق الحاكمية الإلهية من مصطلح الحكم والقول بأنفات العلي السلطة السياسية العليا والوحيدة في مجتمع الإسلام.

وإذا حاول أصحاب هذه النظرية _نظرية الحاكمية لله_ تأسيس نظريتهم على أن القرآن الكريم قد رسم للمسلمين نظام حكمهم، فالحكم والسياسة في الإسلام الهبة من عند الله، فهي حكمه، وهو الحاكم فيها، والحاكمية فيها له سبحانه، استنادا إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ (٣٨). وفهما منهم لقول الله سبحانه: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾، فإن معنى الكتاب ليس هو القرآن، بل هو اللوح المحفوظ الذي أحصى الله فيه ما يجري في العالم من الجليل والدقيق لم يهمل فيه أمر حيوان ولا جماد، فهو السجل الذي أثبت فيه ما يقع من الحوادث. ومن تكلم من المفسرين عن أن معنى الكتاب هنا هو القرآن، حدد أن ما اشتمل عليه ولم يفرط في شيء منه هو الأمور الدين لا أمور السياسة والدنيا وتنظيم المجتمعات^(٢).

كما أن الإسلام بشموليته وضع إلي بما فيه من دين وشريعة بأركانه الخمسة وكتابه المعجز وبسته التشريعية المفصلة ما أجمله الوحي، وهو بشموليته تلك لم يضع نمطا معيناً للحكم فهو الدين الخاتم مما يقتضي مسايرة التجدد والتطور الفكري للإنسانية، قدما إلى الشورى والعدل ودعا المسلمين أن يهيئوا لمجتمعاتهم ما يقربهم من تحقيق هذه المثل العليا، فدين الرسل جميعا واحد في كل مراحل التطور البشري، بينما تعددت الشرائع تبعا لتطور المجتمعات واختلاف البيئات وتعدد الرسالات، والقرآن الكريم مصدق لما بين يديه. وقد أجمل نظم الحكم والسياسة للمسلمين وعهد به إلى عقل الإنسان وتطوره^(٣). ربطا بين النص

١ . سورة الأنعام: ٣٨.

٢ . عمارة، الدولة الإسلامية بين العلمانية والسلطة الدينية، ص ٤٨-٥٠.

٣ . المصدر السابق، ص ٥٣-٥٤.

المروي والعقل هبة الله للإنسان مراعاة للمصاح المتجددة والمتطورة بتجدد الحياة وتطورها في دعوة دائمة للنظر في سنن الله وقوانينه الكونية التي تحكم تطور الحياة والمجتمعات للاستفادة في أمور ديانا بكل ثمار العقل الإنساني، سواء في الاقتصاد أو الاجتماع أو السياسة أو الإدارة، بصرف النظر عن العصر الذي ظهرت فيه هذه النظريات والعلوم^(١).

المطلب الخامس: رد الدعوى أن الدكتور محمد عمارة يدعو للعلمانية

وبعد كل ذلك التفصيل الدقيق الذي قدمه عمارة ودل عليه من أقوال المفسرين على مر التاريخ، فإنه قد أتهم بأنه ينكر أن يكون للإسلام الحق في تنظيم أمور المسلمين الدنيوية، ويحاول أن يقصر الإسلام على الاعتقاد بوجود الله، فهو يقرر أن اليهود والنصارى والمسلمين كلهم مؤمنون، ويركز على فصل الدين عن الدولة، وأن فكرته لا تخرج عن أنه لا وجود لأحكام شرعية في أمور الدنيا، وأن آيات الحكم نزلت في اليهود والنصارى فقط، وأن أمور الخلافة والسلطة ترجع للعقل والرأي لا للشرع^(٢)، ولا يقال ذلك بعد مطالعة دقيقة لما قدمه عمارة في هذا الصدد.

وقد ادعى عبد الحميد عمر معارضة الدكتور محمد عمارة جوانب متعددة من فكرة الحاكمية منهما دعائها باستغلالها للوصول إلى الحكم، حيث عبد المنادة بها كالمناداة بالحكومة الدينية، أو ما يسمى بالمصطلح الغربي الشيوعية، تلك الحكومة التي ظهرت في أوروبا في القرون الوسطى، واستغلت الدين لحكم الناس واستعبادهم تحت شعار التفويض الألفي الحاكمية الكهنة^(٣).

ونقل عن عمارة قوله: "وقد يتساءل بعض الباحثين وهم بالفعل يتساءلون: ألا يستلزم اشتراط إسلامية الدولة اشتراط أن يحتكرها حزب بعينه أو جماعة دون غيرها من الناس وألا يقودنا

١ . المصدر السابق، ص ٦٠.

٢ . محمد بن محمود، مصطفى تموس، محمد عمارة والرواد (القاهرة: دار فرنس لنشر والتوزيع، دون تاريخ)، ص ٢٣٢.

٣ . عبد الحميد عمر عبد الحميد عبد الواحد، الحاكمية في ظلال القرآن (فلسطين: جامعة النجاح الوطنية - كلية الدراسات العليا ٢٠٠٤)، ص ١٤٣.

هذا إلى الكهانة والكهنة والأكليروس الذي هو نظام كهنوتي خاص بالكنائس المسيحية ولم يظهر هذا النظام إلا في القرن الثالث الميلادي، في الواقع والتطبيق رغم غربة ذلك وغرابته في تصور الإسلام ومنهجه^(١) لكن عبد الحميد عمر لم يكمل النقل عن عمارة وأقفل ما قدمه عمارة من الحقائق التي تنفي التلازم بين إسلامية الدولة وبين احتكار الحكم فيها الحزب بعينه أو فئة بذاتها، فالدونة ليست من أصول الدين ولا عقائده وأركانه، لكنها من الفروع التي يرد فيها الاجتهاد، بل أكثر مسائلها ثمرة الاجتهاد، فالدولة بما في ذلك دولة النبي صلى الله عليه وسلم، التي أقامها بالمدينة، هي اجتهاد بشري، لا يحتكر التفكير لها ولا التنفيذ لدستورها وقانونها فيه من الناس دون غيرها، فهي حق لكل قادر على الوفاء بحقوقها، دون كهانة أو احتكار.

- والحاكم الأعلى في الدولة الإسلامية مجتهد، وتلك أرقى مراتبه، أي أنه غير معصوم، وكذلك كانت سياسة النبي صلى الله عليه وسلم للدولة اجتهادا غير معصوم وشورى تحكمها مقاصد الشريعة وحدودها، وهذا الحاكم تختاره الأمة بالشورى الإسلامية، وتبايعه وتفوض إليه سلطات لتنفيذ القانون الإسلامي لسياسة الدنيا وحراسة الدين بواسطة أجهزة الدولة ومؤسساتها وسائر أولي الرأي والأمر فيها، ولا عصمة لأي أو لأحد من هذه الأجهزة والقيادات، فلا خطر من الكهانة أو احتكار السلطة والاستئثار بالسلطان، بل إن العصمة في الإسلام بعد الرسول صلى الله عليه وسلم، هي للأمة التي لا تجتمع على ضلال.

- الفرائض الاجتماعية الإسلامية، فروض الكفاية التي هي جماع مهام الدولة الإسلامية، التكليف فيها وبها موجه إلى الأمة كافة، لا إلى فئة أو طبقة أو شريحة من الناس، فكل مسلم مكلف تكليفا اجتماعيا بالاشتراك في أداء هذه الفروض

١ . عماد الدين شاهين، معالم المنهج الإسلامي للمؤلف محمد عمارة، (مجلة الفكر الإسلامي المعاصر الإسلامية المعرفة سابقا) (١٩٩٥)، ص ١٧٤-١٧١.

ويسعى بدمتهم أذناهم، وهكذا فالإسلام أشد أعداء الكهانة في السلطة ولاحتكار لها.

- الدولة الإسلامية من الفروع وسياستها إجتهد بشرى وثيق الصلة بأصول الدين وأحكام الله، لكنه إبداع بشرى، لا يحق لمبدعيه الزعم بأن سياستهم هذه الدولة هي حكم الله، وقد حرص المنهج الإسلامى من أول لحظة في الدولة، على التمييز بين حكم البشر^(١).

- الأمة الإسلامية هي مصدر الدولة، تختار رأسها وأجهزتها الحاكمة بواسطة أهل الاختيار الذين يتحددون ويتعنون وفق المصلحة وأعراف الزمان والمكان، والأمة مصدر تقنين النصوص والتشريع لما لا نص له بواسطة أهل الحل والعقد، كما أن الأمة رقية وحسية على الدولة وسياساتها ومؤسساتها، فالأمة مصدر السلطات المحكومة بمقاصد الشريعة وحدودها، فالحكم في الدولة الإسلامية هو الله بواسطة الأمة المستخلفة عن الله، وفي تطبيق ذلك المنهج ضمان لعصمة الدولة الإسلامية من الكهانة والكهنوت. وعلى امتداد التاريخ الإسلامى الذى سادت فيه حاكمية الشريعة، لم يشهد هذا التاريخ حكومة الفقهاء بالمعنى الذى عرفه الغرب أي حكومة رجال الدين^(٢).

كما أن إمامة المفصول دينيا إذا كان أفضل في مهام ولايته، هو دليل انتفاء الكهانة واحتكار الكهنوت من منهج الحكم والسياسة في دولة الإسلام. وقد عمل المنهج الإسلامى على سد الذرائع وإغلاق المنافذ التي تلوح منها طلال الكهانة والكهنوت، أو تروح منها رائحة احتكار السلطة في الدولة الإسلام، فالخلافة لم تعط لعلى بن أبى طالب بعد انتقال الرسول إلى

١ . شاهين، معالم المنهج الإسلامى، ص ١٧١.

٢ . شاهين، معالم المنهج الإسلامى، ص ١٧١.

بارئه، ولم يطل الحكم السياسي في بيت النبوة، ولم يظهر أي شبهة احتكار السلطة في منهج الإسلام وتطبيقاته^(١).

وقد جاء التصور النظري التجريدي للباطنية الإمامية في مسألة الإمامة حلما مثاليا بالمخلص المثالي، على نحو لا علاقة بينه وبين الواقع والممارسة والتطبيق، وسبقهم الغلو الخارجي في الحاكمية والتكفير بالمعصية، الذي كان تجريدا ذهنيا صنعه الصلاح والتقوى والنسك في أذهان القراء الذين كانوا طلائع الخوارج قبل أن يعود معظمهم عن هذا الفكر بعد جلوسهم ومناظرتهم مع علي بن أبي طالب وعبد الله بن عباس ذلك الغلو الذي عز على التطبيق وكان وبالا على أصحابه وعلى الأمة جمعاء، عند محاولة تطبيقه بالسيف، وجاءت الدولة الإسلامية نموذجا فريدا، فالدولة إسلامية؛ لأن الحاكمية في سياستها موكل للشرعية الإسلامية التي هي وضع إلهي كما أنها مدنية في الوقت نفسه؛ لأنها اجتهاد إسلامي في الفروع محكوم بمقاصد الشريعة الإسلامية وحدودها، فجمعت بين ما يمكن ويجب جمعه من سمات الأقطاب التي هي متقابلات لا سبيل إلى الجمع بينها في نظر منهج الحضارة الغربية، فصلا عن المؤاخاة والتساند بينها^(٢).

وبعد كل هذا التفنيد لاتهام الدكتور عمارة بأنه يعارض الحاكمية، ومع هذا الاختلاف في فهم مصطلح الحاكمية الذي أراه اختلاف تنوع أكثر منه اختلاف تضاد نخلص إلى إن القول بحاكمية الله هو في مبدئه ومنتهاه تطبيق للقول بحاكمية البشر النسبية؛ فإن القائلين بمعنى حاكمية الله أنه لا حاكمية للبشر، هم في الأصل بشر توصلوا إلى هذا المعنى بفهمهم للنص الكريم: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾^(٣)، واصطحبوا في ذلك نصوصا أخرى صموها إلى بعضها، وطبقوا فهمهم وخرجوا بهذه الفكرة، وفي ذلك إقامة لحاكمية البشر في اجتهادهم لفهم مراد الله وتطبيقه.

١ . المصدر السابق، ، ص ١٧٢.

٢ . المصدر السابق، ص ١٧٣-١٧٤.

٣ . سورة الأنعام: ٥٧.

المبحث الثالث: إفتراءات حول الاسلام و حقوق المرأة

تمهيد: إن من سماحة الدين الإسلامي، أنه أولى اهتماما بالغا بالمرأة المسلمة، حيث يتضح لنا جليا من خلال آيات الكتاب العزيز التي وضعت، وأرست قواعد الرحمة، والمساواة، في التعامل مع المرأة بعد الظلم الذي كان واقعا عليها في الجاهلية، و المتأمل في كتاب الله تعالى، يجد أن القرآن قد أفرد سورة كاملة خاصة بأحكام النساء إكراما لها، فقد حافظ على حقوقها وصانها، من المهد إلى اللحد، و من عزة الإسلام أنه أقر لها حقوقا، لم ترد في الشرائع الأخرى أو القوانين سواءاً كانت شرقية أو غربية، فلم يأت أي منهم بما جاء به الإسلام، فمن الغريب والعجيب أن نرى دعوات غربية، داخل المجتمع المسلم مدعية تحرير المرأة من التقاليد الرجعية البالية بحسب زعمهم و الموروثة من تعاليم الدين الإسلامي التي لم تعد صالحة في عصرنا هذا الذي طغت عليه المدنية، ودعوات، الحداثة والتحرر، و رفع القيود عن المرأة. وهذا ما نلاحظه في عصرنا الحالي، أن المنهج الغربي يظل ينظر إلى المرأة المسلمة نظرة تحمل الكثير من التشوهات التي تجعله يحكم على الكثير من قضاياها وفق ما رسمته، صحافته، وإعلامه وحركاته الماسونية التي ترتدي لباس الحرية المزعوم، ساعياً إلى نشر الرذيلة والإباحية باسم حقوق الإنسان، مفتعلاً قضايا لا توجد في عالمنا الإسلامي لهدم الأسرة والمجتمع الإسلامي، ومعتمداً على ما يفرزه من أناسٍ من بني جلدتنا تزبوا في ظل حضارتهم الغربية، ورضعوا النزعة الحداثية في بلادهم، وأرادوا أن يسقطوا و يطبقوا ما درسوه من مناهج باطلة على المرأة المسلمة بدعاوى كاذبة. فخرجوا بذلك عن المنهج الشرعي، وأقحموا المرأة في مسالك أدت بها إلى المهالك. إن قضية المرأة تعد من أكبر القضايا التي تشغل العالم، حتى جعلها الغرب النصراني، معيارا لمدى تقدم الدول أو تأخرها، كما استخدمها للضغط على الدول وإحراج حكامها و وصفهم بالتخلف أو الظلم أو تقييد الحريات، بل ربط الغرب المساعدات التي يقدمها للدول المسلمة بمدى استجابة هذه الدول لمسألة تغريب المرأة.

المطلب الأول: القرآن الكريم ساوى بين الجنسين

إذا تصفحنا آيات القرآن الكريم فإننا نجد أغلبها صريحة تتحدث عن علاقة المساواة "الشقين المتكاملين"، لا مساواة "الندين المتماثلين" حتى تعم السعادة ويسود الاحترام ولا يحدث التنافر، وهذا ما سعى إليه شرعنا الحنيف على عكس نظيره في الفكر الغربي. يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝﴾ (١).

ويقول تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَنِةً أَزْوَاجًا يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ۝﴾ (٢). بل وذهب الشرع إلى أكثر من ذلك، حينما جعل بين الجنسين المودة، والرحمة حيث أصبحت الأنثى سكنا للرجل و استقراراً له، فتحققت سعادته وسعادتها في الحياة بهذه المودة والرحمة وقد جعل الله ذلك آية من آياته حيث يقول تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝﴾ (٣). ونحن لا نجد هذا التحقيق إلا بالمساواة والتمايز بين الأنوثة والذكورية وإعطاء لكل ذي دور دوره في الأسرة أيضا. نجد أن القرآن الكريم أكد على المساواة في الأهلية وخاصة في حمل أمانات التكليف الشرعي، حيث يقول الباري جل شأنه: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ...﴾ (٤). ومن ثم يكون كمال المساواة في الحساب والجزاء ولم يقف أمر المساواة في الإسلام عند الفروض فقط بل واصل حتى الفروع. إذاً هناك من فروض الكفايات التي توجه فيها

١ . سورة النساء: الآية ١ .

٢ . سورة الزمر الآية ٦ .

٣ . سورة الروم الآية: ٢١ .

٤ . سورة الأحزاب الآية: ٣٥ .

الخطاب إلى الأمة جمعاء حتى يؤكد على أهلية المرأة أيضا، في بناء المجتمع وشد لبناته، ومثال ذلك فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لم يقتصرها الشرع على الرجال دون النساء، بل كانت المساواة في هذا التكليف بين الجنسين فنجد القرآن يؤكد على ذلك، حيث يقول تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (١).

يقول الدكتور محمد عمارة وحتى لا تنشأ في العقل المسلم الملتزم بالمنهاج القرآني شبهة، تناقض بين المساواة والتمييز في علاقات النساء بالرجال (٢)، فقد قرن القرآن الكريم بين الأمرين في آية واحدة من آياته، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٣).

أما في السنة النبوية أيضا، جاءت لتجسد المنهج القرآني فقد أعطت للمرأة مكانتها، منذ صدر الإسلام وحررت المرأة المسلمة من قيود العبودية وبرائين الجاهلية، ومثال ذلك ما رأيناه في الاستجابة الخاتمة للرسالة من السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، وكانت سمية بنت خياط أم عمار بن ياسر أول شهداء الإسلام، وكانت أسماء بنت أبي بكر ثالثة الثلاثة الذين ائتمنوا على أخطر التحولات التي غيرت مجرى الدعوة الإسلامية هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة بل أسهمت في التدبير والتنفيذ لها (٤).

فالمراة صارت ركيزة أساسية في الأمة الإسلامية، وعضوا حيا فعالا ومشاركا في شؤون الناس ومثاله، عند صعد الرسول صلى الله عليه وسلم على المنبر نادى في الناس "أيها الناس" فتسمعه أمة سلمة رضي الله عنها التي كانت جارياتها تمشط لها شعرها، فطلبت منها أن

١. سورة التوبة الآية: ١٧.

٢. د. محمد عمارة، حقائق وشبهات حول مكانة المرأة في الإسلام، ص ١٨.

٣. سورة البقرة الآية: ٢٢٨.

٤. المصدر السابق: ص ٢٢.

تجمع لها أطراف شعرها لتسرع إلى المسجد ملبية نداء النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت لها الجارية، إنما دعا الرجال ولم يدعُ النساء، تقول أمة سلمة "إني من الناس"^(١). وما يروي البخاري كيف كانت شورى أمة سلمى رضي الله عنها، يوم الحديدية، الباب الذي فتح على المسلمين به طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فتحللوها من إحرامهم ورضوا بما عاهدوا عليه نبيهم بعد أن ظنوا أن المعاهدة قد جارت على ما يستحقون، فمنع الله بشورة أم سلمى الفتنة على المسلمين في الشأن السياسي العام^(٢).

● هذا كله نستطيع أن نستخلص منه أن الإسلام، قد أعطى للمرأة مكانة عظيمة، وشاركها مع الرجل في العام والخاص، إلا أن بعض الغربيين الذين يكدون لهذا الدين، وغلمانهم من الحداثيين ممن يسعون دائما إلى تخريب البني التحتية لديننا الحنيف، برمي الصورة التي يريدها الغربيون والحداثيون بزعمهم تحريرا للمرأة: أراد الغربيون وعلى إثرهم الحداثيون في العالم العربي والإسلامي، أن يحرروا المرأة بزعمهم من القيود التي تكيلها، والتخلف الذي كان يغمرها، فجعلوا لها صوراً تُحررها في جوانب عدة نذكر على سبيل المثال:

● تحرر المرأة في لباسها وسترتها حيث أنهم أباحوا لها أن تلبس ما يصف بدنها إن لم يكن فتنة، بل وطالبوا الفقهاء بأن يجدوا مخرجا لإجازة كشف العنق وبعض الذراع وجزء من الساق في حال عملت خارج بيتها وشق عليها أن تستر كل بدنها، بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك بوجوب التزام المرأة، بقدر من الزينة الظاهرة حتى خارج بيتها^(٣).

١. الأستاذ عبد الحليم محمود أبوشقة، تحرير المرأة في عصر الرسالة، ج ٢ طبعة الكويت، تاريخ ١٤١٠هـ، ص ٤٢٩.

٢. د. محمد عمارة، حقائق وشبهات حول مكانة المرأة في الإسلام، ص ٢٣.

٣. د. عادل بن حسن الحمد المرأة بين الإسلام والعصرانية، مختصر كتاب تحرير المرأة عند العصرانيين، ط ١، مؤسسة الدرر السنية للنشر، الكويت سنة ١٤٣٣هـ، ص ٢٠.

● تحرير المرأة في الزواج: هتفوا بحريتها في الاختلاط بالرجال من أجل معرفة شخصية الرجل، ونظموا مصطلحا جديدا في ذلك سموه (الباحث) حتى يرى تحريرها من المكوث في بيتها.

● تحريرها من المكوث في بيتها فحثوها على الخروج من المنزل، قالوا أن القرار في البيت سبب نقص عقل المرأة، وأن المرأة لا يزداد وعيها وتنضجها إلا بالخروج^(١). ومما سبق يمكن القول أنه مهما فصلنا، وتكلمنا على ما أحاكه الغريون في هذا الجانب، فإننا لازلنا مقصرين في ذلك الجانب، لأنهم كانوا معاول هدم لكثير من المجتمعات في كثير من الدول العربية والإسلامية خاصة تلك التي تأثرت بالحدثة، والحدائين كثيرا، وجرعت مجتمعاتها من سمومهم.

ومن خلال بحثنا أردنا أن نعرض على مجموعة من الشبهات، التي أثارها هؤلاء أيضا، والتي فصل فيها الدكتور محمد عمارة، وكان له الرد عليها، وحاولنا أن نختصر بعضها بالتحليل والتفصيل على قدر المستطاع فنقول وبالله التوفيق.

المطلب الثاني: نقد شبهة ميراث المرأة نصف ميراث الرجل

انطلاقا من الآية الصريحة والصحيحة من قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾^(٢)، لاحظنا أن الكثير من المشككين يطرحون هذه الآية كشبهة في عدم المساواة الشرعية في الموارث، ويقترحون في العدالة الإلهية، ولكنهم لا يفقهون أن توريث المرأة على النصف من الرجل موقفا عاما، ولا قاعدة مطردة في توريث الإسلام لكل من الذكور وكل الإناث فالقرآن الكريم لم يقل يوصيكم الله في الموارث والوارثين، للذكر مثل حظ الأنثيين، وإنما قال: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾^(٣).

١ . المصدر السابق ص ٢١.

٢ . سورة النساء: الآية ١١.

٣ . سورة النساء: الآية ١١.

أي أن هذا التمييز لا يكون إلا في حالات خاصة بل ومحدودة من حالات الميراث^(١). ففي ديننا الحنيف نجد أن تقسيم الميراث، لم يكن مبنيًا على مقياس الذكورة والأنوثة، إنما هناك بعض الحكم الإلهية الأخرى، والمقاصد الربانية التي خفيت على هؤلاء الحداثيين الجاهلين بمسائل العقيدة والدين لعل بعضها تقوم القسمة في النصيب للوارث من الموروث على حساب درجة القرابة فكلما اقترب الوارث من الموروث كان الميراث أوفر وأكثر نصيبًا.

الأجيال التي تستقبل الحياة، وتتحمل المسؤولية الأعباء في ما بعد موت المورث يكون لها نصيب أكثر من الأجيال التي تستدبر الحياة، وتبتعد على المسؤولية، فنجد مثلاً أن البنت ترث أكثر من الأب ولو كانت رضيعة، ولو كان الأب هو مصدر الثروة لابنه. ت ومما سبق فيمكننا أن نقول تفاوت الأنصبة للوارثين والوارثات في هذه المسألة التي يغفل عنها كثير من الغالين الذين يحسبون أنها شبهة تضر بأهلية المرأة فإن المتتبع لمسار الميراث في علم الفرائض، وضح ذلك وبين الأفكار المغلوطة لهؤلاء، فلو ركزنا على الموضوع الذي يثير شبهة لديها لوجدنا:

١. هناك أربعة حالات فقط ترث فيها المرأة نصف الرجل.
 ٢. هناك حالات أضعاف هذه الحالات الأربع ترث فيها المرأة مثل الرجل تمامًا.
 ٣. هناك ما يزيد على عشرة حالات ترث فيها المرأة أكثر من الرجل
 ٤. هناك حالات ترث فيها المرأة، ولا يرث نظيرها من الرجال أصلاً^(٢).
- ففي المجمل نستطيع القول أنه يوجد أكثر من ثلاثين حالة تأخذ فيها المرأة مثل الرجل أو أكثر منه وفي بعض الأحيان ترث هي ولا يرث هو، فتلك إلا فيما يقابل الأربع حالات محدودة، ترث فيها المرأة نصف الرجل^(٣)، هي ثمرات التتبع إذا نظرنا بجد لمسألة الميراث،

١. د. محمد عمارة، حقائق وشبهات حول مكانة المرأة الإسلام، ط ١، سنة ١٤٣١ هـ ٢٠١٠ م، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ص ١١٨.

٢. المصدر السابق، ص ١١٩.

٣. د. صلاح الدين سلطان، ميراث المرأة وقضية المساواة، تقديم الدكتور محمد عمارة، طبعة القاهرة دار نهضة مصر، سلسلة في التنوير الإسلامي سنة ١٩٩٩ م، ص ٤٦.

وعلم الفرائض التي قسمت فيها الشريعة الإسلامية، وحكمت فيها بمعاييرها وحددت فيها فلسفة الإسلام حيث أنها لم تحكم كما يدعيه الغرييون والحداثيون المشوهون لصورة الإسلام فهنا نرى أن أولى الشبهات سقطت وأن أهلية المرأة باتت مرفوعة كما أقرتها الشريعة الإسلامية رغم كيد الكائدين.

المطلب الثالث: الرد على شبهة القضاء وولاية المرأة

البعض من الحداثيين اعتقدوا أن ولاية المرأة " كما صورها بعض الفقهاء دليل على عدم المساواة بين الرجال والنساء، في ديننا الحنيف و مجتمعنا المسلم وجعلوا من ذلك شبهة في شريعتنا وتشكيكا فيها، بل يوجد شريحة كبيرة من هذا المجتمع، الذي يظن أن تولي المرأة لهذه المهام والفصل في المنازعات ما بين الناس من المسائل الشائكة حيث يرون ألا ولاية لها وموقف الشرع فيها بالرفض على توليها للقضاء، والحكم بين الناس ولا اجتهاد في ذلك مع النص. لذا إذا نظرنا إلى هذه المسألة، نجد أن واقع هذه المسألة إسلاميا، يؤكد أن هذا الظن لا يقوم على أساس، فضلا عن أن يكون هذا الأساس إسلاميا ومتينا^(١).

إن الذي عليه أن ينظر إلى هذه المسألة يجب أن يسלט الضوء عليها من جانب الموقف العام، الذي وقفه الإسلام من المرأة، حيث كان ولا يزال محرر لها ويكفي الشريعة شرفا أن القرآن صرح بتلك المساواة، ففي الآية الكريمة التي تقول: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾^(٢).

وبالنسبة للقوامة التي قررها الإسلام للرجال على النساء، ففي بقية الآية: ﴿ وَالرِّجَالُ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾، فإنها دالة على الرياسة التي لا تنتقص من حرية المرؤوس، فكانت هذه نظرة الإسلام للمرأة، وهذا ما ينبغي معرفته قبل الدخول في باب قضية المرأة لمنصب القضاء. ومما سبق يمكن أن نلخص الاعتبارات التي كانت متباينة، والنقاط التي كانت محل خلاف

١ . د. محمد عمارة، شبهات واجابات حول مكانة المرأة في الإسلام، ط ١، مارس ٢٠٠٨ نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ص ٧٩.

٢ . سورة البقرة الآية: ٢٢٨.

بين الفقهاء، والتي فصل فيها الدكتور محمد عمارة، وحاولنا أن نلخصها في جزئيات إلى ما يلي:

١. إن قضية تولي المرأة لمنصب القضاء، ماهي إلا فكر إسلامي وآراء فقهية واجتهاد فقهاء، وليس ديناً إلهياً أو وحياً منزلاً، على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، أما القرآن فلم يرفض هذه القضية، كما لم تعرض لها السنة النبوية الشريفة، لأنها مسألة لم تكن عند ظهور الإسلام فلا نصوص دينية فيها قطعية كانت أو ظنية، فهي مسألة خاضعة للاجتهاد.

٢. تعد القضية عند الفقهاء محل خلاف باختلاف اجتهادهم، حيث بقي هذا الاختلاف بعدهم جيلاً بعد جيل، فالقضية لا إجماع فيها حتى يكون هناك الزام للخلف بإجماع السلف.

٣. إذا نظرنا إلى العصور الإسلامية، التي سبقت وجدنا عدم توليها للقضاء فإن هذا لا يعني "التحريم" بل لم تكن الحاجة في ذلك إلى ولايتها وفي المقابل نجد أنها شاركت في عصر النبوة، في أغلب الغزوات، وعاونت الجند، وداوت الجرحى، وأمدتهم بالسلاح ودفنت الشهداء كما حدث ذلك في غزوة أحد وغزوات أخرى مع النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته، فكان ذلك على حساب العادة والحاجة إلى ذلك.

٤. كانت علة الاختلاف في ذلك، في ظل غياب النصوص الشرعية، حيث منهم من اشترط في تولي الحكم، شرط "الذكورية" كالإمام الشافعي ولذلك أسقط منصب القضاء للمرأة وتفرد به للرجل أما الذين أجازوا لها ذلك فيما عدا القضاء، في قضايا "القصاص" و "الحدود" كأبي حنيفة وفقهاء مذهبه، لأن غلبة العاطفة قد تحول بين وبين الموضوعية في قضايا الدماء وقد أجاز الإمام محمد بن جرير الطبري قضاءها في كل القضايا، وأجمعوا على توليها منصب "الإفتاء" وهو أخطر وأدق المناصب الإسلامية.

وهم قد عللوا ذلك بتقريرهم أن الثابت في شرط القاضي إنما يحكمه القصد والهدف من القضاء، وهو ضمان وقوع الحكم بالعدل بين المتقاضين وبعبارة أبي الوليد بن رشد فإنه يقول: "من رأى حكم المرأة نافذا في كل شيء قال: إن الأصل هو أن كل من يأتي منه الفصل بين الناس فحكمه جائز، إذا ما خصصه الإجماع من الإمامة الكبرى والخلافة ورئاسة الدولة الجامعة لأمة الإسلام"^(١).

وذكر الماوردي مثلاً في رفضه مذاهب الذين يجوزون قضاء المرأة، حينما أورد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي يقول: "ما أفلح قوم أسندوا أمرهم إمرأة". وحتى نبين من هذا الحديث الذي اتخذه أغلبهم ذريعة وحرّموا به المرأة توليها القضاء، وحرّموها من حقوق كثيرة بإسم السنة النبوية الشريفة، وحقيقة هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم لم سأل وكان راوي الحديث أبوبكر الصديق رضي الله عنه، حيث قال النبي صلى الله عليه وسلم "من يلي أمر فارس؟" قالوا: امرأة قال: "ما أفلح قوم يلي أمرهم امرأة".

ومما سبق يمكن أن نقول أن صورة المرأة، كانت تأخذ حقوقها كما أقرها الإسلام لها، وكانت بالمساواة مع نظرائها من الرجال ولهذا يجب نُقَر بشبه الغريبيين وسموم الحداثيين الذين رضعوا معهم، من نفس الفكر الحاقّد على الإسلام والمسلمين، وأن نبطل شبههم كما نقدّها العلماء، بالحجة والبرهان فلا حجة لهم ولا دليل في ظل السنة الشريفة والتنزيل الرد على شبهة الشهادة ونقدّها مما يزيّفه هؤلاء الحداثيين الغالين ويجعلون شبهه للقدح في صميم الدين، أن هذا الأخير جعل المرأة نصف إنسان، وذلك لأنه جعل شهادتها نصف شهادة الرجل، واستدلوا على ذلك بما جاء في آية المكاتبة في أواخر سورة البقرة وكان ذلك في قوله: {فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ} فجعلوا من ذلك شبهة بجعل شهادتها تعدل نصف شهادة الرجل، فأخلطوا في ذلك بين "الشهادة" و "الإشهاد" الذي تحدثت

١ . أبي الوليد بن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ج ٢، طبعة القاهرة، سنة ١٩٧٤م، ص ٤٩٤.

عنه الآية الكريمة. فالشهادة تكون فيما يعتمد عليه القضاء في اكتشاف العدل المؤسس على البيئة، واستخلاصه من ثنايا دعاوى الخصوم^(١).

إذا فمعيار الأنوثة والذكورة في نظر الدكتور محمد عمارة، لا يكون جزء وشرطا في الشهادة، وإنما تكون الشهادة باطمئنان القاضي لصدق الشاهد بصرف النظر عن جنسه ذكرا كان أو أنثى، وعن عدد الشهود أيضا، فإذا اطمئن القاضي إلى الشهادة اعتمد على ذلك ولو كان بامرأة واحدة، أو رجل. أما الآية الكريمة فهي تتحدث عن الإشهاد الذي يكون من صاحب الدين للإستيثاق من الحفاظ على دينه وليس الشهادة التي يعتمد عليها القاضي في الحكم بين أهل النزاع. كما يبدو أيضا أن هذه الآية نصيحة وإرشاد لصاحب الدين وليست تشريعا موجها إلى القاضي، وقد فقه العلماء والفقهاء المجتهدون ذلك، كشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم من القدماء والأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده والشيخ محمود شلتوت وغيرهم من المحدثين المعاصرين^(٢). وقال إسحاق ابن منصور، قلت لأحمد في شهادة الاستدلال: "تجوز شهادة امرأة واحدة في الحيض والعدة، والسقط والحمام، وكل ما يطلع عليه النساء فقال: تجوز شهادة امرأة إذا كانت ثقة، ويجوز القضاء بشهادة النساء منفردات في غير الحدود، والقصاص عند جماعة من الخلف والسلف" وفصل الإمام ابن القيم كثيرا في هذا الموضوع رحمه الله، في كتابه "إعلام الموقعين عن رب العالمين" جزء الأول ص (٩٠) إلى (١٠٤) طبعة بيروت، إلى أن البحث يطول، ولكن مطلوب منا الالتزام كما أظن في هذه المسألة جمع من المتأخرين من الفقهاء، كالإمام أحمد عبده^(٣). ولم يتوقف هؤلاء العلماء المجتهدون عند هذا الحد وبينوا أنواع الشهادات بين الرجال والنساء ووضحوا موقف الشرع، وما قاله ذلك، لأن ذلك هو منطق الشريعة، وهذا هو العدل بين النساء والرجال. ويذكر الدكتور محمد عمارة أنه تعمد في إزالة هذه الشبهة لأمرين اثنين^(٤):

١ . د. محمد عمارة، شبهات وإجابات حول مكانة المرأة في الإسلام، ص ١٢٠.

٢ . المصدر السابق: ص ١٢٢.

٣ . د. محمد عمارة، سلسلة الأعمال الكاملة، الدراسة والتحقيق، الطبعة القاهرة ١٩٩٣، المجلد الرابع، الصفحة ٧٣٢.

٤ . المصدر السابق: ص ١٣١.

أولهما: يجب أن نترك نصوص الاجتهاد للأئمة التي تبدد غيوم هذه الشبهة ولا تكون بنصوصنا نحن كي لا تكون شبهات جديدة في هذا الموضوع.

ثانيهما: أن تكون هذه النصوص للأئمة المبرزين في إطار السلف والسلفيين حتى نقطع الطريق على غلاة العلمانيين والعلمانيات، الذين استبدلوا البدع الفكرية الوافدة بحقيقة الإسلام. ويبقى في الأخير أن مناصفة المرأة وإعطائها كامل الأهلية، موقف إسلامي نزل به الروح الأمين على قلب سيد الأولين والآخرين، وهو موقف للاجتهاد الإسلامي عبر عصور التاريخ الإسلامي.

المطلب الرابع: كيف يريد الغرب والحداثيون تحرير المرأة؟

يحمل أصحاب دعوات التحرير والتحرر للمرأة ألوية وشعارات رنانة يظنون بها، إنصاف المرأة، ورفع الغبن عنها في الميدان التاريخي، والاجتماعي، وإخراجها من المآسي التي لحقت بها، والتي عانت منها، ولا تزال تعاني في المستقبل، بل ويجب المساواة بينها وبين الرجال حفاظا على شوق كل جنس للآخر، واحتياجه وأنسه به حيث بدأت هذه الدعاوى الغربية للتحرر منذ القرن التاسع عشر، وكان أثر من آثار الحداثة الغربية، التي رادت به أن تخرق قوانين التراث الفلسفي والاجتماعي والقانوني الغربي المحمر لشأن المرأة. أما النزعة الأنثوية المتطرفة (feminism)، والتي تبلورت في ستينيات القرن العشرين فإنها أثر من آثار مابعد الحداثة الغربية التي تحمل كل معالم تطرفها، الذي بلغ بها حد الفوضوية والعدمية، واللاأدرية، والعشوائية والتفكيك لكل الأنساق الفكرية الحداثية التي حاولت تحقيق قدر من اليقين الذي يعوض الإنسان عن طمأنينة الإيمان الديني، التي هدمتها الحداثة بالعلمانية والمادية والوضعية منذ عصر التنوير الغربي العلماني، في القرن الثامن عشر^(١). ولذا فقد باتت هذه النزعة الأنثوية نزعة متطرفة، وكانت لها ثورة فوضوية، خرجت على نهج الإصلاح والأخلاق، وطارت من ثمرات الفضيلة وحطت على أشواك الرذيلة، خاصة في مجتمعاتنا العربية والإسلامية. كما دعت هذه النزعات الحداثية إلى الثورة على الدين وعلى

١ . المصدر السابق: ص ١٩١.

الله وعلى اللغة والثقافة والتاريخ، وحتى على العادات والتقاليد والأعراف أيضا . وباتت تطالب الأنثى بالاستقلال عن الرجال والتحرر الانحلالي، حتى بلغ هذا التحرر كما يزعمون أكبر قمة الوبال على المرأة وعلى المجتمع الإنساني بأكمله ولو عرجنا على بعض النماذج الشاهدة التي تمثل نزعات متطرفة لهذه الحركات الأنثوية، لعرفنا أن هذه المنظمات لا تريد إلا الفساد ما استطاعت بالمرأة والمجتمع.

فأبو النزعة الأنثوية الفرنسية الاشتراكي الفرنسي "فورييه"^(١) قد دعا إلى تحرير المرأة على جميع الأصعدة: البيت المهنة، المدني، والجنسي وقال: "إن العائلة تكاد تشكل سداً في وجه التقدم"، وفيلسوف هذه النزعة "ماركيوز هاربرت" (١٨٩٨م، ١٩٧٩م) قد جعل من أسس "نظريته النقدية" التأكيد على اعتناق الغرائز الجنسية، وإطلاق الحرية الجنسية بلا حدود، سواء من ناحية الكم أو الكيف، أي حتى حرية الشذوذ، بل وتمجيده و بإعتباره ثورة وتمرداً، ضد قمع الجنس، وضد مؤسسات القمع الجنسي، معتبرا التحرر الجنسي عنصراً مكملًا، ومتمم العملية، التحرر الاجتماعي رافضاً ربط الجنس بالتناسل والإنجاب^(٢).

أما فيلسوف النزعة الأنثوية الكاتبة الوجودية "سيمون ديوفورار"^(٣) فلقد اعتبرت الزواج: السجن الأبدي للمرأة، ويقطع آمالها وأحلامها واعتبرت الزواج مؤسسة لقهر المرأة ويجب

١. شارل فورييه (بالفرنسية: Charles Fourier) ١٧٧٢-١٨٣٧م، كان رجل اقتصاد وفيلسوف فرنسي، صاحب نظرية اجتماعية واقتصادية عُرفت باسمه، تأثر في حياته بالأفكار الاشتراكية التي سبقت أفكار وأديبات كارل ماركس. ولكنه لم يكن اشتراكياً بالمعنى الدقيق فهو لم يطالب بإلغاء الملكية وإنما كان يدعو إلى الاتحاد في الإنتاج بطريق المشاركة الاختيارية وأن يتاح لكل شخص العمل حسب قابليته الشخصية وله الحق في تغيير نوع العمل.

٢. د. محمد عمارة، تحرير المرأة بين الغرب والإسلام، ط١، دار مكتبة البخاري القاهرة، سنة ٢٠٠٩م، ص ٣٩ و ٤٠.

٣. سيمون-إرنستين، لوسي ماري برتراند دي بوفوار، تدعى سيمون دي بوفوار (٩ يناير ١٩٠٨ - ١٤ أبريل ١٩٨٦) كاتبة ومفكرة فرنسية، وفيلسوفة وجودية، وناشطة سياسية، ونسوية إضافة إلى أنها منظرة اجتماعية. ورغم أنها لا تعتبر نفسها فيلسوفة إلا أن لها تأثير ملحوظ في النسوية والوجودية النسوية. كتبت دي بوفوار العديد من الروايات والمقالات والسير الذاتية ودراسات حول الفلسفة والسياسة وأيضاً عن القضايا الاجتماعية. اشتهرت سيمون دي بوفوار برواياتها -والتي من ضمنها «المدعوة» و«المثقفون» كما اشتهرت كذلك بكتابها «الجنس الآخر» والذي كان عبارة عن تحليل مفصل حول اضطهاد المرأة وبمثابة نص تأسيسي للنسوية المعاصرة.

هدمها وإلغاؤها بل ولقد باتت هذه الحركات التي تحمل نزعات ،ذميمة، خاصة الغربية منها تضغط على المؤسسات الدينية الغربية حتى خانت رسالة أمتها، حيث أنه صدر سنة (١٩٩٤م) طبعتين للعهد القديم والجديد وسميت "الطبعة المصححة"، وقد تم في هذه الطبعات تغيير الضمائر المذكورة وحولت إلى ضمائر أخرى مغايرة ورأوا في "الإنجاب" عبودية للمرأة. فبعد هذا كله، هل يعقل مما قرأناه أن الغربيين، ومن تأثروا بهم من أصحاب الحداثة في العالم العربي هل فعلا حرروا المرأة، وأعطوها المساواة مع الرجل كلا وألف كلا، بل كانوا حريصين كل الحرص على إهانتها ورميها في أحوال الرذيلة التي تقلل من شأنها وإنسانيتها وتحط من مكانتها في المجتمع بل والمتقصي لتلك الآثار، الاحتقارية للمرأة من هؤلاء يجدها منذ البدايات الأولى لتراثهم الديني للحضارة الغربية، حيث كان هذا الموقف من المرأة ثابتا، فلو نرجع على بعض النماذج لهذه المقولات التي تحدثت في نظرهم على المرأة، فنقول: كان القديس "بونافنتيرا" (١٢٢١م، ١٢٧٤م) يقول: "إذا رأيت المرأة فلا تحسبوا أنكم شاهدتم موجودا بشريا، ولا موجودا موحشا، لأن ما ترونه هو الشيطان نفسه، وإذا تكلمت فإن ماتسمعونه هو فحيح الأفعى" ^(١). ويرى القديس "توما الإكويني" (١٢٢٥م، ١٢٧٣م) أن المرأة ذكر ناقص ولا وجود للمرأة أصلا، ويسميتها "الخطيئة الأولى". كما دعا أوغسطين (٣٥٤م ٤٣٠) إلى إخضاعها للوصاية، كما يخضع العقل الضعيف للعقل الأقوى ^(٢).

ومما سبق يمكن القول والتعريض على كل هذا أن أسس الحداثة التي تقوم عليها تلك الحرية كحرية التفكير، وحرية المعتقد وحرية السلوك، التي جعل منه الحداثيون العرب خاصة شعارات رنانة ومجدوا هذه الشعارات، ولكن في الحقيقة هي ادعاءات مزيفة. فلو تمعنا جيدا في أعظم قواعد وأسس وقواعد الإسلامية، لوجدناها قامت على مبدأ "لا إكراه في الدين" وعلى أن المرأة قد منحها الإسلام الحرية المطلقة في كل ما يهمها وحدها كالذمة المالية . فالمشروع الحداثي ضربه التناقض، بأبشع الصور في مبدأ الحرية هذا بالذات وإلا

١ . المصدر نفسه: ص ٥٩.

٢ . المصدر نفسه: ص ٦٢.

فيما نفسر رفض الكثير من الدول الأوروبية وعلى رأسها فرنسا، لارتداء الحجاب لدى المسلمات في المدارس، والأماكن العامة، أليست حرية اللباس حرية شخصية ؟ بل يجب أن تكون أولى الحريات الشخصية ^(١).

فإذا تمعنا جيدا لهذه التناقضات نجد أن الحداثة ترى في بيع المرأة لجسدها حرية شخصية، حيث أنه في الواقع لا حرية لها ولا كرامة ولا يمكن لأي مثقف أن يدافع عنها أبدا لأن ذلك يعد صورة من صور العبودية، لا الحرية التي يتغنون بها، والمرأة المحجبة التي تُخفي القيم العتيقة تعتبر أئمة في نظرهم . فبالمختصر المفيد، وكما يقول الدكتور مصطفى الولي: "الحداثة دفعت النساء إلى الاسترجال، وكلما أردنا أن يَكُنَّ كالرجال ابتعدن عن أنوثتهن، فإنهن عاجزات عن تصور أن الأنوثة، والمرأة، يمكن أن تكونا مزيتين، إنهن رجال خائبون ونساء فاشلات ويتعرضن إلى الخطر، يائسات ودون هدف في متاهات الشعور بالدونية، إنها ببساطة الحداثة وتناقضاتها، التي أتعست المرأة وهي توهمها أنها تسير على طريق السعادة" ^(٢).

المبحث الرابع: افتراءات حول الإسلام والإرهاب

تمهيد: إستغلت بعض الدوائر المعادية للإسلام والمسلمين في ديار الغرب، ظاهرة العنف والإرهاب، التي تضررت منها أقطار العالم العربي والإسلامي، ولم تسلم منها بعض الأقطار الغربية، وأخذت تحيي روح العداء للإسلام، وتخوف من انسياب دعوته في أوروبا وغيرها من دول الحضارة الغربية، وقد عرف هذا النزوع بظاهرة "الإسلاموفوبيا" أي: الخوف والهلع من الإسلام. ولعل ما يشير اللوعة ويبعث على الأسى في هذه المسألة، أن "رجال الدين" المسيحي انخرطوا بقوة وعنفوان في تأجيج أوار هذه النار المستعرة وراحوا يثيرون اللغط حول من اقتنع بعقيدة "الجزء بدل عقيدة" الفداء" .. وقبل حوالي أربع سنوات، أطلق القسيس جورج "جاينز فاين" الذي يعمل سكرتيراً خاصاً وقائماً بأعمال البابا "بندكت السادس عشر"

١ . فاطمة عبد الرؤوف كاتبة مصرية، المرأة وتناقضات الحداثة، الراصد ، سلسلة إلكترونية شهرية متخصصة بشؤون الفرق من

منظور أهل السنة العدد، ١٦٩ شوال ١٤٣٣ هـ الخميس ٢٢ يونيو ٢٠١٧ م.

٢. المصدر نفسه، ص ١٦٧.

في الفاتيكان، تحذيراً شديد اللهجة من موجة ما أطلق عليه: "أسلمة أوروبا" وقد سارع - عقب ذلك التحذير - مركز العلاقة مع الإسلام التابع إدارياً للكنيسة الكاثوليكية بفرنسا إلى عقد مؤتمر حاشد ليجيب على سؤال جوهرى هو، لماذا هذا الإقبال الكبير على الإسلام دون غيره من الأديان والعقائد؟

ما كان ينبغي على قساوسة مسيحية بولس ورهبانها في أوروبا، أن يساهموا في حملة التخويف من الإسلام.. ولو كانوا على شيء من الحق الذي كانت عليه النصرانية قبل مؤتمر نيقية المنعقد في العشرين من شهر مايو أيار (سنة ٣٢٥ م) لظاهروا حركة انتشار الإسلام في بلدانهم، فإنّ كتاب هذا الدين القرآن الكريم يقول عن السيد المسيح ﷺ: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرُؤُكُمْ إِنَّ اللَّهَ يَبْشِرُكُمْ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ٤٥﴾ ^(١)، ويقول أيضاً: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ٤٦﴾ ^(٢). لكنهم للأسف يلفون بصمت أهل القبور أمام انتشار الإلحاد والشذوذ الجنسي والعلاقات الأثمة، والجرائم المختلفة والحروب الظالمة وترويع الأمنين ونهب خيرات الشعوب بالباطل تحت التخويف بالقوة العسكرية والحصار الاقتصادي، والتدخل في الشؤون الداخلية للدول والشعوب المغلوبة على أمرها.. إلخ.. إنهم لا يتحركون إلا عندما يشاهدون انتشار الإسلام وإقبال الفلاسفة والمفكرين والباحثين والأدباء والفنانين والسياسيين والدبلوماسيين في كل بقاع المعمورة على دراسته، والافتناع بصلاحيته الأبدية للزمان والمكان والحاضر والمستقبل. إن هذا النزوع يعني بوضوح أن روح بطرس الناسك الموروثة عن نصرانية بولس، ما تزال مع كل أسف، تسري في قلوب أصحاب القرار من ساسة ورجال دين في قارة أوروبا، وفي ديار الغرب بصفة عامة. وقد أدركت منظمة المؤتمر الإسلامي (التعاون الإسلامي حالياً) مدى خطر هذه المسألة، وتدابيرها وأثرها على الدعوة الإسلامية، داخل البلدان الإسلامية وخارجها، فوجهت مؤتمر

١ . سورة آل عمران: ٤٥ .

٢ . سورة النساء: ١٧١ .

وزراء خارجيتها المنعقد بباكستان خلال الأسبوع الثالث من شهر مايو سنة (٢٠٠٧م) إلى الاهتمام بهذه المسألة ودراستها دراسة عميقة مستفيضة خاصة بعد أن سعت الكثير من دوائر الكيد المتربصة بالدعوة الإسلامية، إلى الربط بين الإرهاب وغيره من الشرور وبين الإسلام ذاته^(١).

المطلب الأول: السماحة الإسلامية

قدم المفكر الاسلامي محمد عمارة في كتابه "السماحة الإسلامية.. حقيقة الجهاد والقتال والإرهاب" معركة فكرية تهدف لجلاء الغموض عن مصطلحات شائكة. فقد جمع في أسلوب مناقشته للأفكار بين الفلسفة العالية والتبسيط، ليقدمها بطريقة مختلفة عما تناولها سابقوه، خصوصاً أنه يبحث في مصطلحات شائكة بالنسبة للمسلمين خاصة والمجتمع الدولي عامة، فأى انزلاق في أي تعريف يؤدي إلى تشويه هذه المصطلحات في الفكر الإسلامي. إلا أنه استطاع أن يعطي كل مصطلح حقه من الفكر الإسلامي، مؤسساً لهذه المصطلحات بمصطلح مناقض لها تماماً، وهو السماحة الإسلامية.

يقسم الباحث كتابه إلى جزأين، الأول تحت عنوان السماحة الإسلامية. والجزء الثاني حقيقة الجهاد والقتال والإرهاب، مستنداً فيه إلى ٣٤ ما بين مصادر ومراجع. يصف محمد عمارة السماحة في الإسلام بأنها ليست فقط المساهلة واللين في المعاملات والعطاء بلا حدود، بل هي دين مقدس ووحى إلهي وبيان نبوي، أي منهاج الدين والشرعية. وقد بين الكاتب كيف أسس لها القرآن وفقاً لرؤية فلسفية إسلامية للكون والوجود. قال: "إن السماحة - التي تعنى: المساهلة واللين فى المعاملات، والعطاء بلا حدود ودونما انتظار مقابل، أو حاجة إلى جزاء. إن هذه السماحة - في النسق الإسلامي ليست مجرد كلمة تقال ولا شعار يرفع ولا حتى صياغة نظرية تأملية ومجردة، كما أنها ليست مجرد فضيلة إنسانية، يمنحها حاكم ويمنعها آخر، وإنما هي دين مقدس، ووحى إلهي وبيان نبوى لهذا الوحي الإلهي وتجسيد وتطبيق لهذا الدين في دولة النبوة وفي دولة الخلافة الراشدة وفي التاريخ الحضارى للشرق

١. عبدالله الأشعل، قضايا الفكر الإسلامي المعاصر، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ط١، ٢٠١٠م، ص ١٤١.

الإسلامي منذ ما قبل أربعة عشر قرناً، وحتى هذه اللحظات.. بل، لأن هذه السماح هي ثمرة للدين الخالد والشرعة الخاتمة، فإنها ستظل منهاجاً للإسلام والمسلمين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها" (١).

كون هذا الوجود يوجد فيه حق هو الله، والخلق أي جميع عوالم المخلوقات. وهناك واجب الوجود وهناك الوجود أي المخلوق لواجب الوجود. وفي هذا التصور الفلسفي الإسلامي تكون الوحدانية والأحادية فقط للحق واجب الوجود، بينما تقوم كل عوالم الخلق على التعدد والاختلاف والتمايز باعتبار هذا قانوناً إلهياً تكوينياً، الأمر الذي يستلزم لبقاء هذه السنة تعايش كل الفرقاء المختلفين، أي سيادة خلق السماح في العلاقة بين الشعوب. فبدون السماح يحل الصراع الذي ينهي ويلغي التعددية، حسب نظرية الكاتب. لتكون هذه هي الرؤية الفلسفية الإسلامية للكون والوجود، وأما عن التأسيس القرآني لها فقد استشهد ببعض الآيات في كل من (سورة الحجرات: ١٣، الروم: ٢٢، هود: ١١٨-١١٩). إنطلاقاً من هذه النظرة يرى الكاتب أن العدل هو معيار النظرة القرآنية وأساس السماح حتى في رد العدوان وإنزال العقاب، ويستشهد بالآيات (سورة النساء: ١٣٥، سورة الأنعام: ١٥٢، سورة المائدة: ٢، سورة البقرة: ١٩٤، سورة النحل: ١٢٥-١٢٨). وتأسيساً على هذا العدل الإلهي أسس القرآن سماحة الإسلام في النظر للموارث والنبوات والرسالات، كون القرآن لم يأت منافياً لما سبقه، بل مصداقاً له مستوعباً لأركان العقيدة فيها ومصححاً لما طرأ عليها.

لقد صرح الدكتور عمارة: "لقد بدأ القرآن الكريم فأسس للسماحة الإسلامية على قاعدة الرؤية الفلسفية الإسلامية للكون والوجود. ففي هذا الوجود هناك: «حق» هو الله - سبحانه وتعالى - و «خلق»، يشمل جميع عوالم المخلوقات. هناك: «واجب الوجود»، وهناك «الوجود» المخلوق لواجب الوجود.. وفي هذا التصور الفلسفي الإسلامي تكون «الوحدانية والأحادية» فقط للحق.. الله سبحانه وتعالى.. واجب الوجود. بينما تقوم كل عوالم الخلق - المادية والنباتية والحيوانية والإنسانية والفكرية - أي كل ما عدا الذات الإلهية - ومن عدا

١. محمد عمارة، "السماحة الإسلامية.. حقيقة الجهاد والقتال والإرهاب" ص ٩.

الذات الإلهية على التعدد، والتنوع، والتمايز، والاختلاف. باعتبار هذا التنوع والتعدد والتمايز والاختلاف قانونا إلهيا تكوينيا، وسنة من سنن الله التي لا تبديل لها ولا تحويل، الأمر الذي يستلزم . لبقاء هذه السنة الكونية قائمة ومطرده -تعايش كل الفرقاء المختلفين، وتعارف جميع عوالم الخلق.. أي سيادة خلق السماحة في العلاقات بين الأمم والشعوب، والثقافات، والحضارات، والمذاهب، والفلسفات، والشرائع، والملل، والديانات، والأجناس، والألوان، واللغات، والقوميات.. فبدون السماحة يحل الصراع الذي ينهي ويلغى ويفني التعددية محل التعايش والتعارف، الأمر الذي يصادم سنة الله -سبحانه وتعالى- في الاختلاف والتنوع بكل عوالم المخلوقات" (١).

على هذه الرؤية الفلسفية الإسلامية للكون والوجود أقام الإسلام مذهبه في السماحة، باعتبارها فريضة دينية، وضرورة حياتية، لتكون جميع عوالم الخلق على هذا النحو الذي أراده الله. وفي التأسيس القرآني لهذه الرؤية الفلسفية الإسلامية للكون والوجود ، نقرأ في آيات الذكر الحكيم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ٥١﴾ (٢). فالإنسانية تتنوع إلى شعوب وقبائل.. والسماحة هي السبيل إلى تعايشها وتعارفها في الإطار الإنساني العام. وهذه الأمم والشعوب والقبائل تتنوع أجناسها وألوانها وألسنتها ولغاتها -ومن ثم قومياتها- كآية من آيات الله ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ السِّنِّ وَالْوِلْدَانِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ٥٢﴾ (٣). والسماحة هي السبيل لتعايش الأجناس والقوميات في إطار الحضارات الجامعة لشعوب هذه القوميات وهذه الأمم والشعوب تتنوع دياناتها وتختلف مللها وشرائعها، وتتعدد مناهجها وثقافتها وحضاراتها، باعتبار ذلك سنة من سنن الابتلاء والاختبار الإلهي لهذه الأم والشعوب. وحتى يكون هناك تدافع وتسابق بينها جميعا على

١. المصدر السابق: ص ١١-١٣.

٢. سورة الحجرات: ١٣.

٣. سورة الروم: ٢٢.

طريق الحق وفي ميادين الخيرات ﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لَيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ (١)، ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴿١١٩﴾ ﴾ (٢). والمفسرون لهذه الآيات يقولون عن هذا الاختلاف وذلك التنوع وتلك التعددية في الشرائع والمناهج والثقافات والحضارات ، إنها علة الخلق وأن المعنى: «وللاختلاف خلقهم» (٣).

وبدون السماحة يستحيل تعايش هذه التعددية، التي هي علة الوجود، وسر التسابق في عمران هذا الوجود. وانطلاقاً من هذا الموقف القرآني، الذي جعل هذا التنوع سنة إلهية وقانوناً كونياً، كان العدل . الذي هو معيار النظرة القرآنية وروح الحضارة الإسلامية، هو أساس السماحة الإسلامية في التعامل مع كل الفرقاء المختلفين. ففي التأسيس لهذه السماحة العادلة يطلب القرآن الكريم منا العدل مع النفس والذات: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ ﴾ (٤). ويطلب منا العدل مع الآخر: ﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ (٥)، و ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ سُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوْا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٥﴾ ﴾ (٦)، ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ

١. سورة المائدة: ٤٨.

٢. سورة هود: ١١٨ ، ١١٩.

٣. الامام القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٩، ص ١١٤-١١٥.

٤. سورة النساء : ٩٧.

٥. سورة الشورى: ١٥.

٦. سورة النساء: ١٣٥.

وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴿١﴾. بل ويوجب الله سبحانه وتعالى علينا العدل حتى مع من نكره ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ ءَلَّا تَعْدِلُوا ءَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ ﴿٢﴾، وأيضا: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ ﴿٣﴾. ذلك هو "التأسيس القرآني للسماحة الإسلامية على الرؤية الفلسفية للكون والوجود، المحكومة بسنة التعدد والتنوع والتمايز والاختلاف، كقانون تكويني أزلي أبدي، الأمر الذي يجعل السماحة ضرورة لازمة وفريضة واجبة لبقاء قانون التنوع والاختلاف عاملاً ومرعياً في عوالم المخلوقات والفلسفات والشرائع والديانات والثقافات والقوميات والحضارات" (٤).

المطلب الثاني: حقيقة الجهاد والقتال والإرهاب

تعاني هذه المصطلحات الثلاثة من خلط كبير في المضمون، حسب نظرية الكاتب، وخاصة مصطلح الجهاد الإسلامي، ورجح الكاتب السبب في النظر للآخر من خلال الذات، كون هذه النظرة تؤدي إلى صب الآخر في قوالب الذات، أي إلغاء وتجاهل الفروق بين الديانات والثقافات والحضارات، وذلك بدلاً من التمييز بين الأشباه والنظائر التي تجمع النماذج الثقافية والفروق التي تمايز بينها. يرى الكاتب أن المصطلحات هي بمثابة أوعية يستخدمها ويتداولها الجميع، لكن محتويات هذه الأوعية (مضامين المصطلحات) تختلف وتتمايز لدى أصحاب الأنسق الفكرية رغم وحدة المصطلح. يعتبر الكاتب أن بعض العلماء الغربيين الذين قاموا بدراسة الحضارة الإسلامية، وقع معظمهم في خطأ النظر إلى الذات الإسلامية، من

١. سورة الأنعام: ١٥٢.

٢. سورة المائدة: ٨.

٣. سورة المائدة: ٢.

٤. محمد عمارة، "السماحة الإسلامية.. حقيقة الجهاد والقتال والإرهاب"، ص ١١-١٣-١٦.

خلال منظار المعايير التي حكمت مسيرة الحضارة الغربية (الكنيسة) والتاريخ الحضاري الغربي وما شهدته من صراعات. ثم يسرد فحوى الحرب الدينية المقدسة التي شنها الصليبيون على المسلمين، حيث غلفتها الكنيسة بالدعوى الدينية، ذلك أنها اعتبرت حرباً ضد الكفار لتخليص قبر الله (المسيح) من أيدي هؤلاء الكفار. معلنة أنها حرب إلهية لذات الله، وفرسانها يحملون مفاتيح الجنة، وأن دم المسلمين أعظم قربان لله الخالصة. لتحجب مقاصدها الإمبريالية، وكانت فكرة هذه الحروب هي التي قاس عليها الغربيون مصطلح الجهاد الإسلامي.

المطلب الثالث: الحرب الديني المقدس وحقيقة الجهاد الإسلامي

إدعي المدعون المغرضون والجاهلون المتجاهلون أن الجهاد في الاسلام عبارة عن حرب ديني مقدس و ينفي الكاتب صفة الحرب الدينية على الجهاد الاسلامي، فالإيمان تصديق قلبي يبلغ مرتبة اليقين، وهو سر بين المؤمن وخالقه، لا يتأتى إلا من خلال الفهم والإقناع، ولا يمكن أن يكون ثمرة لأي لون من الإكراه، مستشهداً بـ(سورة الكافرون: ٦، وسورة الكهف: ٢٩). بالإضافة إلى أنه لا يمكن حصر الجهاد في القتال فقط، بل هو في كل ميادين الحياة كمجاهدة العدو والشيطان والنفس. ويستفيض الكاتب هنا من خلال تبيان حقيقة الجهاد، مبيناً مفهومه اصطلاحياً في اللغة العربية والقرآن، مستشهداً بذلك من القرآن والسنة وتعريف العلماء والفقهاء وحتى مفكري الغرب الذين أنصفوا هذا المصطلح.

قال: "إن الجهاد الإسلامي ليس حرباً دينية مقدسة؛ لأن الإسلام ينكر ويستنكر أي حرب دينية، فالإيمان الإسلامي تصديق قلبي يبلغ مرتبة اليقين. وهو سر بين المؤمن وبين خالقه، لا يتأتى إلا بالفهم والعلم والإقناع والافتناع، ولا يمكن أن يكون ثمرة لأي لون من ألوان الإكراه -فضلاً عن أن يكون هذا الإكراه عنفاً قتالياً- ولذلك، قر القرآن الكريم القاعدة المحكمة والحاكمة: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾^(١) والتي لا تعني فقط «النهي عن الإكراه في الدين، وإنما تعني -أيضاً- «نفى» أن يكون هناك دين أو تدين عن طريق الإكراه! إذ الإكراه يشمل

١. سورة البقرة: ٢٥٦.

«نفاقاً» وهو أخطر من «الشرك» الصراح والكفر البواح، ولا يمكن أن يثمر «إيماناً» بحال من الأحوال. ولذلك، شاعت في القرآن الكريم الآيات التي تقول للمخالفين: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۖ﴾ (٦) ﴿١﴾. ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ (٢)، والتي تحدد مهمة الرسالة في الاعتقاد ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَلُغُ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ (٣) ﴿١٩﴾. ﴿تَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ (٤) ﴿٢٠﴾. ﴿وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ (٥) ﴿٢١﴾.

وإذا كان الخلط بين الجهاد الإسلامي وبين الحرب الدينية المقدسة هو أثراً من آثار سوء الفهم للإسلام، أو سوء النية في تصوير الإسلام، فإن هناك خطأ آخر يقع فيه الذين يختزلون الجهاد الإسلامي في القتال الذي تحدث عنه القرآن الكريم، ومارسه المسلمون في عصر النبوة، وعلى امتداد تاريخ الإسلام.

وذلك أن الجهاد الإسلامي الذي هو فريضة إسلامية -أعم من القتال الذي شرعه الإسلام- فكل قتال جهاد وليس كل جهاد قتالاً، إذ القتال هو الجانب العنيف من الجهاد، وليس كل الجهاد (٦) ثم تكلم عن معنى الجهاد و بيان أنواعه و مصاديقه.

المطلب الرابع: حقيقة القتال في الإسلام

يميز الكاتب بين الجهاد والقتال، كون الأخير شعبة من شعب الأول، فالجهاد أعم من القتال، ثم بين الكاتب من خلال الشرح المطول والمسند للمنطق أن في الإسلام تشريعاً مضبوطاً يجوز القتال أو يوجبه في بعض الحالات. ذلك أن الإسلام دين ودولة ووطن،

١. سورة الكافرون: ٦.

٢. سورة الكهف: ٢٩.

٣. سورة المائدة: ٩٩.

٤. سورة ق: ٤٥.

٥. سورة الأنعام: ١٠٧.

٦. محمد عمارة، "السماحة الإسلامية.. حقيقة الجهاد والقتال والإرهاب"، ص ٥١-٥٢.

والإخراج من هذا الوطن يعتبر موتاً للإنسان مستشهداً بـ(سورة البقرة: ٨٥ - ٨٤، ٢٤٣ - ٢٤٤). لذا يتطلب الدفاع عنه، فالإسلام لا بد له من وطن حر، وهو شرط لإقامة الدين والقيام بأمانة العمران، وهي المهمة العظمى من وراء استخلاف الله لجنس، لهذا وقف الإسلام القتال عند هذه المواضع و هي الحفاظ على الدين وحرية الدعوة إليه وتحرير ضمائر المؤمنين به من الفتن أولاً والحفاظ على الوطن من العدوان في المرتبة ثانياً.

يقر المفكر الدكتور محمد عمارة بأن الإسلام لا يريد الصراع، فهذا الأخير مبني على المنطق الذي ينهي الآخر، بل مبني على التدافع الذي هو حراك يحل التوازن محل الخلل الذي يصيب علاقة الفرقاء المتمايزين. لا يمكن أن يتحدث الكاتب عن القتال في الإسلام دون أن يذكر الآيات التي جاءت في (سورة التوبة ١ - ١٦)، كون هذه الآيات تستعمل كدليل من القرآن للحض على قتال المشركين وإرهابهم أينما وجدوا، ولكن ببراعة يبين الكاتب فقه هذه الآيات. حيث بين أن الآيات تميز المشركين وصنفهم في ثلاثة توجهات^(١):

١. مشركون يعاهدون المسلمين يحترمون الوعود، الآية ٤/

٢. مشركون محايدون لا يعرفون الحقيقة ليتخذوا لهم موقفاً، الآية ٦/

٣. مشركون ينقضون العهد ويقاثلون المسلمين، الآية ١٢ - ١٠ وهذه الفئة هي من يتوجب فيها القتل.

يقول الدكتور: "وإذا كان الجهاد في الإسلام أعم من القتال، فإن القتال الذي هو الجهاد العنيف، والذي هو شعبة واحدة من الشعب السلمية التي لا تحصى للجهاد متميزة ثمرته - وهي القتل - عن الموت الطبيعي، فالموت: هو قوت الحياة، بينما القتل: هو إزالة الروح وإزهاقها، وقوت الحياة بفعل فاعل من الخارج يتولى هذا الإزهاق وليس هناك شك - بل ولا غرابة - في أن تجد في الإسلام تشريعاً مضبوطاً يجوز القتال أو يوجبه في بعض الحالات،

١. المصدر السابق، ص ٦٣-٦٤.

ذلك أن الإسلام دين ودولة. وأمة ووطن واجتماع ونظام"^(١). فالدين في الإسلام لا بد لإقامته من وطن يقام فيه؛ لأن هذا الدين ليس مجرد تكاليف فردية، يستطيع المكلف بها أن يقيمها بمعزل عن الناس، أو بإدارة الظهر للناس، وإنما فيه -إلى جانب التكاليف الفردية- تكاليف اجتماعية لا تؤدي إلا في أمة وجماعة ونظام ومؤسسات وسلطة واجتماع، أي لا بد له من وطن ودولة وهذه التكاليف الاجتماعية والكفائية، هي أكد وأهم من التكاليف الفردية؛ لأن الإثم في التخلف عن التكليف الفردي يقع على الفرد فقط، بينما إثم التخلف عن التكليف الجماعي والاجتماعي -الكفائي- يقع على الأمة جمعاء. بل إن أغلب التكاليف الفردية في الإسلام تؤدي وتقام في جماعة، وثوابها في الجماعة أضعاف أضعاف إقامتها خارج الجماعة. ولهذه الحقيقة التي تميز بها الإسلام عن النصرانية التي تتمثل ذروة إقامتها كاملة في الرهبانية التي تدير الظهر للعالم والدنيا والناس، كأن الوطن هو الوعاء الذي بدونه لا تُقام جملة شعائر الإسلام وفرائضه وتكاليفه ولهذه الحقيقة -أيضا- رفع الإسلام قيمة الحفاظ على حرية الوطن واستقلاله وسيادته، وحق المواطن -بل واجبه في أن يعيش حرا في وطن حر. رفع هذه القيمة إلى مقام الحياة. فجاء في القرآن الكريم حديث عن أن الإخراج من الديار معادل ومساو للقتل الذي يخرج الإنسان من عداد الأحياء: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثِيْبًا ۖ﴾^(٢). وجاء في القرآن الكريم - كذلك - الإشارة إلى بنود المواثيق التي أخذها الله - سبحانه وتعالى - على بعض الأمم، ومنها نتعلم أن الإخراج من الديار، والحرمان من الوطن، هو معادل لسفك الدماء والإخراج من الحياة: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ۚ﴾^(٣) ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسْرَىٰ تَقْدُوهُمْ وَهُمْ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ

١ . المصدر السابق: ص ٦٨.

٢ . سورة النساء: ٦٦.

إِخْرَاجُهُمْ أَفْتَوْنُونَ بَعْضُ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ ﴿١﴾.

ولذلك جعل القرآن الكريم استقلال الوطن وحرية الذي هو ثمرة لوطنية أهله ويسالته في الدفاع عنه، وجعل ذلك حياة لأهل هذا الوطن. بينما عبر عن الذين فرطوا في استقلال وطنهم بأنهم «أموات» وجعل من عودة الروح الوطنية إلى الذين سبق لهم التفریط فيها، عودة لروح الحياة إلى الذين سبق وأصابهم الموت والموت. قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٢﴾ وَقَتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٣﴾ ﴾ (٢). فالذين خرجوا من ديارهم وليس الذين أخرجوا لضعف في وطنيتهم، وجبن عن مقابلة أعداء وطنهم، هم أموات، مع أنهم أُلُوف يأكلون ويشربون. وعودة الوطنية إليهم، واستخلاصهم لوطنهم، هو إحياء لهم بعد الممات. ولأن هذا هو مقام الوطن وضرورته لإقامة دين الإسلام وشريعته كان الجهاد القتالي واردا وأحيانا واجبا للحفاظ على الوعاء الوطن الذي بدونه لا يقام كامل الإسلام.

تلك هي حقيقة القتال في الإسلام وتلك هي مقاصده أي رد العدوان عن حرية الاعتقاد والضمير، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين والتدين كله لله. رد العدوان عن حرية الوطن، الذي بدون حريته لا يمكن أن يكون هناك مواطن حر، والذي بدون حريته لا يمكن أن تتحقق حرية إقامة فرائض الإسلام إنه مجرد شعبة من شعب الجهاد، وهو الاستثناء لا القاعدة والضرورة التي تقدر بقدرها وهو الفريضة المكروهة وليس الجبلية التي تقود إلى التقدم كما زعمت فلسفات وثقافات خارج نطاق الإسلام.

١. سورة البقرة: ٨٤-٨٥.

٢. سورة البقرة: ٢٤٣-٢٤٤.

المطلب الخامس: حقيقة الإرهاب

يبين الكاتب من خلال هذا الجزء، كيف أن الإسلام برأ سائر الديانات من أن يكون العنف والإرهاب والإكراه وترويع الآمنين سبيل أي منها إلى الدعوة اليهودية أو النصرانية أو الإسلام. يعود الكاتب إلى آيات سورة الأنفال، مبيناً أن القرآن دعا المسلمين لإعداد العدة لردع وتخويف المخادعين والغادرين، وهو تخويف يثمر إعداد القوة الرادعة، أي أنه العنف الذي ينفي العنف والإكراه والقتال. فهو كالعقوبة الرادعة إعلانها يمنع ويردع عن الجريمة، ومن ثم يمنع تطبيقها، ولا علاقة لهذا الإرهاب بترويع الآمنين وإكراههم بالعنف والقتال. والإكراه الذي هو معنى مصطلح (الإرهاب - Terror) في الفكر الغربي^(١).

وهنا يكون الإرهاب بمعنى التخويف الرادع للأعداء، وهو الضمان لتحقيق الأمن والسلام للجميع. ثم يستعرض الكاتب الاتهامات التي وجهت للإسلام ودعوته للعنف والإرهاب، من طرف كل من القس بات روبرتسون مؤسس جماعة "التحالف السياسي المسيحي" والكاتب برنارد لويس ومارغريت تاتشر، والتي رد عليها الكاتب بضرب أمثلة في معاناة الشعوب التي مورس عليها الاستعمار في كل من العراق والشيشان وفلسطين وبورما. والحروب الصليبية ومئات الشركات العابرة للقارات، التي تنهب ثروات الشعوب المسلمة، كذلك الاضطهاد والتمييز العنصري الذي يعاني منه المسلمون في الدول الغربية بعد هجمات ١١ سبتمبر/أيلول ٢٠٠١.

ثم ينتقل المفكر محمد عمارة إلى ما سماه التراث اليهودي (فهو يرى أن ما يدعو إليه اليهود اليوم ليس شريعة موسى عليه السلام. ما جاء فيه من دعوة لقتل الشعوب دون رحمة، وبعض الفتاوى الحاخامية التي تضع هذا التراث الدموي في الممارسة والتطبيق على أرض فلسطين وغيرها من الأمثلة التي استفاد منها الكاتب^(٢)). في الأخير، يقول الدكتور أن المسلمين لو

١. انظر: د. محمد عمارة، "السماحة الإسلامية.. حقيقة الجهاد والقتال والإرهاب"، ص ٦٩.

٢. محمد عمارة، "السماحة الإسلامية.. حقيقة الجهاد والقتال والإرهاب"، ص ٧٣-٧٧.

أعدوا العدة التي أمرهم الله بها واتخذوا أسباب القوة والعزة فأخافوا الطامعين في الأوطان
والشروات لما حدث هذا الإرهاب الذي أصبحوا أول ضحاياه وأول المتهمين به^(١).

أهم النتائج:

بعد انتهائي من هذا البحث المتواضع الذي تتضح فيه أهمية الموضوع وقد بذلت فيه جميع
جهودتي التي يمكنني بذلها لإتمامه لهذا المستوى، من خلال تطريقي لموضوع منهجية
الدكتور محمد عمارة رحمه الله في تناول مشاكل الدعوة، حاولت أن أستخلص جملة من
النتائج تمثلت في:

١. المصدر السابق: ص ٧٨.

١. محمد عمارة هو مفكر إسلامي ومؤلف ومحقق وداع. عضوا مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف. حفظ القرآن الكريم وهو صغير ودرس مرحلة اليسانس في اللغة العربية والعلوم الإسلامية وكذلك درس مرحلتي الماجستير والدكتوراه في العلوم الإسلامية. تحصل على العديد من الجوائز والشهادات التقديرية وتميز فكره بدفاع عن وحدة الأمة وتدعيم شريعته. ينتمي إلى المدارس الوسطية. ولقد بينا ميزاته الفكرية ومنهجيته في تناول القضايا العلمية المعاصرة.

٢. قام الدكتور محمد عمارة بجهود كثيرة وكبيرة في كل المجالات الفكرية والدعوية وقام بالرد على المناصرين والمحرفين من خلال مؤلفاته وصدى لبعض الشبهات والإفتراءات والحرف والبدع والمقولات الباطلة للمخالفين والمعاندين.

٣. ذكر الدكتور محمد عمارة في مؤلفاته بعض الألفاظ والمصطلحات التي تطرقت إلى شرحها ذات الدلالة اللغوية والإصطلاحية من الناحية الفكرية والعقدية نذكر منها: التنصير والتبشير والعلمانية، والماركسية، والحدثية والتنوير والعقلانية والتغريب والتعددية والتجديد وغيرها من المواضيع والموضوعات المهمة في ساحة الدعوة والثقافة الإسلامية وتذكر الفقيه محمد عمارة عدة فوارق جوهرية التي تخص الحضارتين الإسلامية والغربية التي تطرقنا لذكر أهمها مثل: الأصولية بين الغرب والإسلام، التأويل بين الغرب والإسلام، المرأة بين الغرب والإسلام وأن هوية الحضارات سوف تكون ذات أهمية بالغة في المستقبل.

٤. حاول الدكتور محمد عمارة أن يقدم للأمة مشروعاً حضارياً نهضوياً متكاملاً كحل للخروج من مرحلة التخلف والتبعية والدفاع عن الإسلام والمسلمين ضد هجمات الغرب والمستعمرين.

٥. جمع وحقق ودرس الأعمال الكاملة لأبرز أعلام اليقظة الإسلامية الحديثة أمثال السيد جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وغيرهما، وأحيا تراث علماء الأمة الإسلامية.

٦. إتجه محمد عمارة إلى إحياء تراث المعتزلة، وقد وجد في الفكر الاعتزالي ما يدعو إلى تأسيس فلسفة إسلامية وفكر عقلاني مؤمن جدير بالتدبر وذلك ضمن ما أحيا

تراث أبرز تيارات التجديد والإصلاح في حركة اليقظة الإسلامية في العصر الحديث، مثل مدرسة الأفغاني ومحمد عبده العصرية.

٧. تمحورت معظم كتب ودراسات الدكتور محمد عمارة حول الدفاع عن الإسلام ورد الشبهات المثارة حوله، حيث شن ثورة على الأفكار العلمانية والتغريبية، وعلى أفكار الغلو والجمود. وقد فرق عمارة بين العلمانية الغربية والعالمية الإسلامية، فللعلمانية في نظره نموذج مركزي حدودي يعتمد على العقل ويرفض السماء والتشريع الإلهي ويقصي الآخر، أما العالمية الإسلامية فهي ترفض الإنفراد بالعالم وتهتم بالتدافع والتسابق من أجل الرقي والتقدم الذي يحقق التعددية الحضارية رافضاً للفردية والمركزية والإنغلاق على الذات أو إلغاء الآخر حضارياً.

٨. ينتمي محمد عمارة إلى تيار التجديد في موقفه من الوافد، هذا التيار الذي يدعو إلى المحافظة على التراث والأخذ بما هو نافع ومفيد من الوافد، وبما يحفظ للأمة هويتها وإستقلالها الحضاري.

٩. ميز محمد عمارة برؤية نقدية بين التنوير الغربي الذي يحل العقل والعلم والفلسفة محل الله والوحي والدين، والتنوير الإسلامي الذي ينطلق باتجاه المطلق يؤمن بالدين والوحي، ويعتبر الوحي مصدراً من مصادر المعرفة، وهذا الأخير هو الذي يدعو إليه محمد عمارة ويتبناه، ويؤكد على أن التنوير الحقيقي بما يحافظ على الموروث الإسلامي ويحافظ على هوية الأمة.

١٠. تناول الدكتور محمد عمارة مشاكل الدعوة والأمة وتبني مشروعه النهضوي على ثلاث مرتكزات أساسية، أولها الوسطية الإسلامية التي ينتمي ويدعو إليها، فهي بمثابة المنظار الذي يمكن من خلاله رؤية الإسلام الحقيقي، ويسمّيها الوسطية الجامعة التي تجمع عناصر الحق والعدل من القطبين المتقابلين، وتكون موقفاً ثالثاً متميز عن الأول ومتميز عن الثاني، ولكنه ليس مغايراً تماماً لكلا القطبين. وثاني هذه الأصول هي العقلانية المؤمنة التي تألقت في المشروع النهضوي لليقظة الإسلامية، وهو يرى أن العقلانية المؤمنة نابعة من الدين ومهمتها الدفاع عن الإيمان الإسلامي بالمنطق العقلاني الداعم للوحي والنقل الإسلامي. أما ثالث هذه المرتكزات هو

الإيمان بالتعددية، حيث تناول محمد عمارة هذه القضية وفرق بينها وبين الوحدانية التي لا أجزاء لها، وأن التعدد تنوع بخصائص معينة ينبع من وحدة جامعة وبدون الوحدة الجامعة لا يتصور تنوع وخصوصية وتميز ومن ثم تعددية، فلاسلام ينظر إلى قضية التعددية فيراها قانون التنوع الإسلامي في إطار الوحدة الإسلامية. إذن فالتعددية الأصل والقاعدة والقانون، والعالم يجب أن يكون منتدى حضارات لا حضارة واحدة تصارع هي وتصارع غيرها.

وبهذا أكون قد جئت بنهاية البحث رغم أنني أعلم بأني قد قصرت أمام شخصية عظيمة كانت ولا زالت صدى مستمرا وقد حاولت إيصال المعلومات صغيرة أو كبيرة على هذه الشخصية وعلى جوانبها العلمية والدعوية الخاصة ولاسيما في تناوله مشاكل الدعوة وأشكر الله العلي القدير وأرجوه وقد وفقني ولو بالقليل في إعطاء الصورة الواضحة على هذه الداعية الكبير وفكره المنير والمشاركة في حل أزمة الأمة وإبراز جوانب هذه المهمة.

أهم التوصيات:

وبعد هذه الجولة العلمية السريعة حول واحد من أعلام أمتنا الدكتور محمد عمارة رحمه الله، أنهو إلى ضرورة الأخذ بهذه التوصيات وقد قسمتها إلى قسمين حسب تفكيري وترجيحي وهي أن الأربعة الأوائل تتركز وتتمحور حول شخصية الفقيه الدكتور محمد عمارة رحمه الله وفيما بعده توصيات عامة للمنشغلين في ساحة الدعوة والمهتمين بها:

١. ضرورة الاهتمام بكتابات الدكتور محمد عمارة على المستوى العلمي والأكاديمي تدريسا وتحقيقا.
٢. يعتبر الدكتور محمد عمارة نموذجا معاصرا يمكن الاستعانة بدراساته في مواجهة الحملات العلمانية والحدائية خصوصا كونه عارف بالعمق الفكري للحضارة ومتبني له في حلقات سابقة من حياته، ثم ناقد له.
٣. عقد مؤتمرات وندوات علمية متخصصة تهتم بنقد الدكتور محمد عمارة للحضارة الغربية في قضايا الخلاف الحضاري المهمة.
٤. يجب أن لا يبق فكر محمد عمارة حبيس المكتبات والدراسات الأكاديمية دون تفعيل هذه الاسهامات في الحركة الحضارية للمجتمعات الإسلامية.
٥. ضرورة تحديد الوسائل المشروعة والمجدية، واختيار الموقع الفاعل المؤثر وفق الإمكانيات المتاحة والظروف المحيطة، مع عدم الإخلال بالتوازن، وضبط النسب، والاحتفاظ بالرؤية الشمولية للإسلام.
٦. الانتقال بالعمل الدعوي من مرحلة المبادئ المبنية على المواعظ، والخطب، والدروس، إلى مرحلة البرامج الواضحة، والخطط المرحلية المدروسة، والحسابات الدقيقة للواقع المعاصر، والظروف المحيطة، والإمكانيات المتاحة.
٧. تصويب المسار، وتجديد عملية الانتماء لهذا الدين، ضمن تجديد وسائل العمل الإسلامي وطرائقه وأساليبه وهياكله وميادينه، التي تحولت عند البعض إلى دين يحرم تجاوزه، ذلك أن الاستمرار عليها إنما هو حرب بغير معركة، وانتصار بغير عدو.
٨. ضرورة المراجعة وإعادة النظر وفق المستجدات على الساحة المحلية والإسلامية والدولية، ومتابعة مجريات الأحداث العالمية، وتحليلها وفهم أبعادها؛ لتحسين التعامل معها.

٩. العمل على جمع الشمل ووحدة الصف بين الجهات المختلفة العاملة في مجال العمل الدعوي، وفتح باب الحوار والمفاهمة بينها، وتبادل الخبرات والاستفادة من الطاقات في عمل جماعي مشترك.
١٠. نبذ كل أشكال التحزب والتقوق والانغزال، والاعتقاد بأن العمل الإسلامي حكر على جماعة بعينها.
١١. الالتزام بالأدب الإسلامي في الحوار والخلاف في وجهات النظر، والجدال بالتي هي أحسن، والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.
١٢. العمل الجاد على تكوين جيل من الدعاة والإعلاميين الإسلاميين، المؤهلين شرعياً وتقنياً وتخصصياً، القادرين على التعامل مع أبعاد هذا الواقع الخطير، الذي يلعب فيه الإعلام الدور الأكبر والأخطر في التوجيه والتغيير وتحديد المسارات.
١٣. التحرك البصير بين جميع شرائح المجتمع، مع التركيز على الشرائح والنخب المثقفة المتميزة واستقطابها، ومحاولة تحطيم الحواجز القائمة والمفتعلة بين العمل الإسلامي وعامة أفراد المجتمع.
١٤. رصد كل الفرص المتاحة والمتوقعة للعمل الدعوي، والحلول الممكنة من خلال هذه الفرص.
١٥. تحديد كل التحديات والصعوبات الحاضرة والمتوقعة مستقبلاً، والحلول المقترحة لها وإعداد كوادر في جميع المجالات والتخصصات يمتلكون كفاءة عالية في تخصصهم، وهذا مهم جداً إذا أردنا الإعداد الجيد لمستقبل أكثر فاعلية.

فهرس الآيات القرآنية

الرقم	طرف الآية	الآية	الصفحة
سورة البقرة			
١		﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾	٣٣
٢		﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾	٦٧
٣		﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾	١٧٦
٤		﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾	٢١٣ -١٠٢ -١٠٦ -١١٤ ١١٥
٥		﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ﴾	١٠٢
٦		﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾	٢٥٢
٧		﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾	١٠٩

٨	﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرُّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾	١٤٣	١٢٢
٩	﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾	٢٥٧	١٧٦
١٠	﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾	١٧٦	١٨٥
١١	﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۖ وَاللَّهُ عَفْوٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٣﴾ لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِنْ فَأَوْ فَإِنَّ اللَّهَ عَفْوٌ رَّحِيمٌ﴾	٣٠	٢٢٣
١٢	﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾	٢٢٨	٢٣٤ - ٢٣٨
١٣	﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٢٥٠﴾ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُمْ مِّن دِيَارِهِمْ	٨٤-٨٥	٢٥٥

		تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴿٢٥٥﴾	
٢٥٥	٢٤٣- ٢٤٤	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾﴾	١٤
سورة آل عمران			
و	١٨	﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ﴿١٨﴾﴾	١
-١٠٠ -١٠٥ -١٠٧ -١١٠ ١١١	١٠٥	﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾	٢
١٠٤	١٠٤	﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾	٣

٥	﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾	١٠٣	١٠٦
٦	﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾	١٥٩	-١٦٥ ٢٢٧
٧	﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾	٤٥	٢٤٥

سورة النساء

١	﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾	٩٧	٦٢ - ٣١
٢	﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفَرِيقَانِ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنَيطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾	٨٢-٨ ٣	١١٧

١٤٠	٦٥	<p>﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾</p>	٣
-١٦٥ -١٩٤ ٢٢٧	٥٩	<p>﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾</p>	٤
١٦٥	٨٣	<p>﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَالْإِلَى أُولِيَ الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنِيطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾</p>	٥
١٩٤	٥٩	<p>﴿فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾</p>	٦
٢٣٣	١	<p>﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾</p>	٧

٢٣٦-	١١	﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾	٨
٢٣٧			
٢٤٦	١٧١	﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾	٩
٢٥٠	٩٧	﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾	١٠
٢٥٠	١٣٥	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوُّوا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانِ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾	١١
٢٥٥	٦٦	﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾	١٢

سورة المائدة

١	﴿...لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا...﴾	٤٨	١٨- ١٥٢- ٢١٦- ٢٤٩
٢	﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ۖ﴾	٦٧	٢٥
٣	﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا ۚ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾	٢	٢٥٠
٤	﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ...﴾	٦٧	١٥٧
٥	﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغُونَ وَالنَّصَارَىٰ مِنْ ءَٰمَنَ بِٱللَّهِ وَالْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿٦٩﴾	٦٩	٧٩
	﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱلْيَهُودَ﴾		٨٠

٦	<p>وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَمْ يَجِدْ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةَ الَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَرِيْ ذَٰلِكَ بَآءَ مِنْهُمْ قِيسِيْنَ وَرُحْبَانَا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾</p>	<p>٨٢- ٨٣</p>	
٧	<p>﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾</p>	<p>١٣٦</p>	<p>١٦٢</p>
٨	<p>﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴿١٤١﴾</p>	<p>٣</p>	<p>١٤١- ٢١٥</p>
٩	<p>﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٧٦﴾</p>	<p>١٥</p>	<p>١٧٦</p>
١٠	<p>﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١٩٣﴾</p>	<p>٥٠</p>	<p>١٩٣</p>

١١	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ ءَلَّا تَعْدِلُوا ءَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾	٨	١١٥- ٢٥٠
١٢	﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ ءَلَّا أَلْبَلُغُ ؕ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَبْذُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾	٩٩	٢٥٢
سورة الأنعام			
١	﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ؕ إِن تَتَّبِعُونَ ءَلَّا	١٤٨	٣٣
	الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ ءَلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾﴾		
٢	﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرْءِمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ	١٣٦	١٦٤
	فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ فَمَا يَحْكُمُونَ﴾		
٣	﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ؕ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾	١٦٢- ١٦٣	١٦ ٥

١٦			
٦			
١٨٨	١٦٥	﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾	٤
٢١٥	٣٨	﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾	٥
٢٢٨	٣٨	﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾	٦
٢٥٠	١٥٢	﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾	٧
٢٥٢	١٠٧	﴿وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾	٨
سورة الأعراف			
٢٢	٥٥	﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾	١
١٠٤	٤٥	﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾	٢

١١٩	١٤٢	﴿أَخْلَفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلَحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ...﴾	٣
١٦٥	٥٤	﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾	٤
سورة الأنفال			
٢١٣	١٧	﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾	١
سورة التوبة			
٢٣٤	١٧	﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾	١
سورة يونس			
٢٢	١٠	﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	١
١١٤	٢٥	﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾	٢

١٦٥	٥٣	﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾	٣
١٨٠	١١٨	﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَرَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾	١
٤٨	٦١	﴿هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾	٢

سورة النحل

١٤٣	٨٩	﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾	١
-----	----	---	---

سورة يوسف

و	١٠٨	﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾	١
---	-----	--	---

سورة الإسراء

			اسرا ة
٦٦	٢٦	﴿وَأَن ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنُ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾	١

٢	﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقَعَدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾	٢٩	٦٦
٣	﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾	١٠٧	١٨٥
سورة طه			
١	﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمُوسَىٰ ۖ﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ۖ ثُمَّ هَدَىٰ﴾	٤٩- ٥٠	١٦٥
٢	﴿وكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾	١١٣	٢١٨
سورة الأنبياء			
١	﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾	٧٨- ٧٩	١٠٨
سورة المومنون			
١	﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾	٥٣	١٠٠
سورة النور			

١	﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾	٦٣	١١١
---	---	----	-----

سورة الفرقان

١	﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾	٣٢	٢١٥
٢	﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾	٥٢	٢٥
٣	﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾	٦٧	٦٦

سورة الروم

١	﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾	٢١	٢٣٣
٢	﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ أَلْسِنَتِكُمْ﴾	٢٢	- ١١٢ ٢٤٩ - ٧٨

		وَالْوَيْكُمُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٣٤﴾	
سورة الأحزاب			
١	٣٥	﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَلَتَيْنِ وَالْقَلَتَيْنِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ﴾	٢٣٤
٢	٦٢	﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾	١٥٧
سورة الزمر			
١	٦	﴿خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَّةً أَرْوَجُ يُخَلِّقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآَنِي تُصَرِّفُونَ ﴿٦﴾﴾	٢٣٣
٢	٩	﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَٰؤُا الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾﴾	و
٣		﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُم مَّن خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ	١٦٤

		٣٨	<p>لَيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ</p> <p>إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ</p> <p>أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ</p> <p>حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٢٨﴾</p>	
--	--	----	--	--

سورة الشوري				
١	﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾	١٣	٨٠	
٢	﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾	٣٨	١٦٥	
سورة الجاثية				
١	﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا﴾	١٨	٢١٦	

سورة فاطر

١	﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾	٢٨	و	
---	--	----	---	--

٢	﴿فَلَنَجْدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنَنَجْدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾	٤٣	١٥٧
سورة ص			
١	﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾	٢٦	١٠٩
سورة فصلت			
١	﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾	٢٦	٣٣
٢	﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾	٣٣	١٠٣

سورة الاحقاف

٢٥	٣١	﴿يَقُومَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّن عَذَابِ أَلِيمٍ﴾	١
----	----	--	---

سورة محمد

١٠٤	٣٣	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِيطُ أَعْمَلُهُمْ﴾	١
-----	----	---	---

سورة ق

٧١	٣٧	﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾	١
----	----	--	---

سورة الحجرات

٢٢٣	٩	﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي	١
-----	---	---	---

			حَتَّى تَقِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَالَتَ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿١٣﴾	
٢		١٣	٢٤٩-٧٨	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٤﴾﴾
١	سورة المجادلة			
	١		٢١٣	﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴿١٥﴾﴾
			١٩٩٩	
		(و)		سورة الحشر
١		٥	١٠٨	﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٦﴾﴾
٢		٧	١٤١	﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٧﴾﴾
سورة المدثر				

٢٥	٢	﴿فُرُ فَأَنْذِرْ﴾	١
سورة الكافرون			
٢٥٢	٦	﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾	١

فهرس الأحاديث النبوية

الرقم	طرف الحديث أو الأثر	الصفحة
١	«إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالماً، اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضللوا وأضلوا»	٢١
٢	«ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين في	٣٣

	الإسلام إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً كان أبعد الناس منه»	
٥٤	«أكثرُوا من قول لا إله إلا الله»	٣
٥٥	«يبعث الله لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها»	٤
٦١	«ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب إفرقوا على ثنتين وسبعين وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة، وهي الجماعة»	٥
٦٧	«من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً»	٦
٨٥	«فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك»	٧
٩١	«ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين، ثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، وهي الجماعة»	٨
١٠٢	«خير الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ	٩

	وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة»	
١٠٤	«تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا فأى قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأى قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين، على أبيض مثل الصفا، فلا تضره فتنة مادامت السموات والأرض، والآخر أسود مرباد كالكوز مجخيا لا يعرف معروفة ولا ينكر منكرا، إلا ما أشربه من هواه»	١٠٤
١٧٣	«كلاكما محسن، ولا تختلفوا فإن كان قبلكم إختلفوا فهلكوا»	١٧٣
١٩١	«جعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري»	١٩١
٢٠٠	«خالفوا المشركين وفروا للحى وأحفوا الشوارب»	٢٠٠
٢٠٥	«من اجتهد برأيه فأصاب فله أجران، ومن أخطأ فله أجر واحد»	٢٠٥
٢١٣	« خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ »	٢١٣
٢٤١	« رب مُبَلِّغ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ »	٢٤١

٢٥٦	«من أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني»	١١
٢٧١	«من رأى من أميره شيئاً يكرهه، فليصبر، فإنه من فارق الجماعة شبرا، فماتته، فميتته جاهلية»	١٢
٢٨٥	«كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون»	١٣
٢٩٣	«لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها شبرا بشبر وذراعا بذراع ف قيل: يا رسول الله كفارس والروم؟ فقال: ومن الناس إلا أولئك؟»	٢٠

١١٧	أحمد بن فارس	١
٤٣	إبن قيم الجوزية	٢
٨٥	ابو الأعلى المودودي	٣
١٢٩	ابن الهمام الحنفي	٤
٢٠١	ابن حَجَر العَسْقَلَانِي	٥
١٨٤	حذيفة بن اليمان العيسي	٦
٩٣	أبو الحسن علي ابن بَطَّال	٧
١١٢	أحمد عبدالحليم ابن تَيْمِيَّة	٨
٢٠٨	جابر بن حَيَّان	٩
١٧	الشيخ حَسَن البَنَّا	١٠
٢٨	محمد الطاهر بن عاشور	١١
١١٧	الوليد بن المَغِيرَة	١٢
١٥٠	عبد الحميد ابن باديس	١٣
١٢٢	نصر حامد أبو زيد	١٤
٢٩	عبد الكريم سروش	١٥
٥٤	جمال الدين الأفغاني	١٦

١٧	محمد بن محمد الغزالي الطوسي	١٩٤
١٨	محمد بن أحمد بن رشد الأندلسي	١١٧
١٩	مالك بن نبي الجزائري	٢٧
٢٠	محمد عبده بن حسن خير الله،	١٤٢
٢١	كارل ماركس	١١٤
٢٢	الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي	٨٣
٢٣	تومسا هوبز	٩٧
٢٤	يوحنا لوك	٢٠٤
٢٥	جوتفريد وليام لايبنتس	٢١٧
٢٦	جان جاك روسو	٥٨
٢٧	أوجست كونت	٩٣
٢٨	سيد قطب بن إبراهيم	١٠٣
٢٩	محمد قطب بن إبراهيم	١١٢
٣٠	محمد سعيد العشماوي	٤٥
٣١	شارل فورييه	١٧٩
٣٢	سيمون-إرنستين	٨٣

١. فهرس المصادر والمراجع:

٢. ابن منظور احمد بن مكرم الأفريقي المصري، لسان العرب، ١٢ / ٣٤٥، ط١، دار صادر: بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٥هـ.
٣. ابن حميد صالح بن عبدالله، معالم في منهج الدعوة، ص ٩١، دار الأندلس الخضراء ١٩٩٩م.
٤. أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ج ٢، ص ٢٧٩، دارالحديث بالقاهرة، ٢٠٠٨ م.
٥. الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، ج ١، ص ١٧٦، دارالكتب العلمية، ١٤١٠م.
٦. أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي الرمخشري، أساس البلاغة، ١ / ١٨٩، دار الفكر، ط ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.
٧. أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد الحنبلي، الأحاديث المختارة، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، ٨ / ٩١، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ط ١، ١٤١٠هـ .
٨. الرازي محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، ١ / ٨٦، مكتبة لبنان، سنة النشر: ١٩٨٦ .
٩. ابن منظور احمد بن مكرم الأفريقي المصري، لسان العرب، ١٤ / ٢٥٨-٢٥٩، ط١، دار صادر: بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٥هـ.
١٠. الراوي محمد عبدالرحمن، الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، ص: ١١-١٢، الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٥م.
١١. أبو السعود عبد رب النبي علي، التخطيط للدعوة الإسلامية وأهميته، ص: ١٩، دار التوفيق النموذجية للطباعة، القاهرة، ط ١، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.
١٢. أبو العباس أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني، مجموع فتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ١٥ / ١٥٧-١٥٨، مكتبة ابن تيمية، ط ٤، ١٤٠٨هـ.
١٣. البيانوني أبوالفتح محمد، المدخل إلى علم الدعوة، ص ١٧، مؤسسة الرسالة العالمية، ٢٠١٠م.
١٤. الخطيب محمد نمر، مرشد الدعاة، ص: ٢٤، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ط ١، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.
١٥. الواعي توفيق، الدعوة الى الله " الرسالة - الوسيلة - الهدف "، ص: ١٩، مكتبة الفلاح، الكويت ط ١، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
١٦. الحبيب محمد بن سيدي، الدعوة إلى الله في سورة إبراهيم الخليل، ص: ٢٧، دار الوفاء، جدة، ط ١، ١٤٠٦هـ.
١٧. المرشد علي صالح، مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، ص: ٢١، مكتبة البينة، دمنهور، مصر ط ١، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.
١٨. الشاذلي عبد الله يوسف، الدعوة والإنسان، ص: ٣٩، المكتبة القومية الحديثة، طنطا ط ١، ١٤٢٧هـ.
١٩. الخضر حسين محمد، الدعوة إلى الإصلاح، ص: ١٧، المطبعة السلفية، القاهرة، ط ١، ١٣٤٦هـ.
٢٠. المغدوي عبدالرحيم، الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، ص: ٤٩، دار الحضارة ، الرياض ، ط ٢ ، ١٤٣١هـ.

٢١. العمار حمد ناصر عبد الرحمن، نصوص الدعوة في القرآن الكريم، ص: ١٨، دار إشبيلية، الرياض، ط٢، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.
٢٢. النويري، إبراهيم، أهم التحديات المعاصرة في طريق الدعوة الإسلامية، مجلة الجامعة الأسمرية، عدد ٢٠، سنة ١١.
٢٣. زكريا داود، الأمة الإسلامية والتحديات المعاصرة، مقال منشور على موقع www.awihdah.com / تاريخ ٢٦ أبريل ٢٠١٠.
٢٤. محمد علي أبو هندي، مشروع النهضة بين الإسلام والعلمانية، دراسة في فكر محمد عمارة ومحمد عابد الجابري (القاهرة، مصر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ١٤٣١) ص ٥٠-٥١.
٢٥. يحيى رضا جاد، المشروع الفكري للدكتور محمد عمارة (القاهرة، مصر: مفكرون الدولية للنشر والتوزيع، ٢٠١٨)، ص ٤٧٦-٤٧٨.
٢٦. محمد عمارة، نهضتنا الحديثة بين العلمانية والإسلام (الجيزة - مصر، ١٩٩٧) ص ٢١٩.
٢٧. يحيى، رضا جاد المشروع الفكري للدكتور محمد عمارة (القاهرة، مصر : مفكرون الدولية للنشر والتوزيع، ٢٠١٨)، ٤٧٤، ٤٩٤، ٤٩٣.
٢٨. محمد علي أبو هندي مشروع النهضة بين الإسلام والعلمانية، دراسة في فكر محمد عمارة ومحمد عابد الجابري (القاهرة، مصر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ١٤٣١) ص ٥٢-٥٣.
٢٩. عبد الرازق عيسى، محمد عمارة داعية الإحياء والتجديد (دمشق: دار القلم، د.ت)، ١٥.
٣٠. عبد الجبار الرفاعي، الاجتهاد الكلامي مناهج ورؤى متنوعة في الكلام الجديد (بيروت، لبنان: دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٢، ١٦٠.
٣١. محمد عمارة، الصحوة الإسلامية والتحديات الحضارية (القاهرة، مصر: دار الشروق (١٩٩٧) ١٥٦-١٦٢؛ محمد عمارة، مسيرة قلم (القاهرة، مصر: دار المقاصد للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٦، ٢٦-٢٧.
٣٢. محمد عمارة، الأصولية بين الغرب والإسلام القاهرة، مصر: دار الشروق د.ت ص ٥، ومحمد عمارة، قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية (القاهرة، مصر: دار الشروق (١٩٩٣) ص ٦.
٣٣. محمد عمارة، إزالة الشبهات عن معاني المصطلحات (القاهرة، مصر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ٢٠٠٩)، ص ٤٩، ومحمد عمارة، معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام القاهرة، مصر: نهضة مصر للطباعة والنشر، ٢٠٠٤، ص ٢٢، وعيسى، محمد عمارة داعية الإحياء والتجديد، ص ١٢١.
٣٤. عيسى عبدالرزاق، محمد عمارة داعية الإحياء والتجديد، ١٥٦-١٥٧.
٣٥. محمد عمارة، مسيرة قلم (القاهرة، مصر: دار المقاصد للطباعة والنشر والتوزيع (٢٠١٦)، ٣٠-٣١.
٣٦. محمد عمارة، مفهوم الحرية في مذاهب الإسلاميين (القاهرة، مصر: مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٩) ١٦-١٨.
٣٧. محمد عمارة، القدس بين اليهودية والإسلام القاهرة، مصر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٩، ٣، ٢٤.
٣٨. محمد عمارة، الوعي بالتاريخ وصناعة التاريخ (القاهرة، مصر: دار الرشاد (١٩٩٧)، ٣٩-٣٣.

٣٩. محمد عمارة، الإسلام في مواجهة التحديات، ١٦٦ معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام، ص: ١٦٢ - ١٦٦.
٤٠. سليمان بن صالح الخراشي، محمد عمارة في ميزان أهل السنة والجماعة، دراسة إسلامية سلفية لكتب ومقالات الدكتور محمد عمارة، دار الجواب، (١٤١٣) ٤٢٣.
٤١. محمد عمارة، الإسلام والعروبة (القاهرة، مصر: دار الشروق، ١٩٨٨)، ٨٣-٨٤.
٤٢. عبد الحميد عمر عبد الحميد عبد الواحد، "الحاكمية في ظلال القرآن" (جامعة النجاح الوطنية - كلية الدراسات العليا - فلسطين، (٢٠٠٤). عماد الدين شاهين، المعالم لمنهج الإسلامي للمؤلف محمد عمارة، الفكر الإسلامي المعاصر (إسلامية المعرفة سابقا) ١٧٤-١، ١٧١/١ (١٩٩٥).
٤٣. محمد بن محمود مصطفى تموس، محمد عمارة والرواد (دار) فراس للنشر والتوزيع، د.ت)، ٢٣٢.
٤٤. ابن القيم، زاد المعاد: ٩/٣، طبعة مؤسسة الرسالة.
٤٥. حلقة برنامج وحي القلم: محمد عمارة .. الاعتكاف في محراب الفكر. قناة الجزيرة. تاريخ البث ٢٠١٥/٧/١٣ م.
٤٦. أبو زيد وصفي عاشور، محمد عمارة، راهب الفكر وفارس الميدان، الجزء الثاني، موقع التبيان، سبتمبر ٢٠٢٠.
٤٧. الدكتور محمد عمارة، الحركات الإسلامية رؤية نقدية، ص ٦٥.
٤٨. القرضاوي يوسف عبدالله، كتابه: الدكتور محمد عمارة الحارس اليقظ المرابط على ثغور الإسلام، ص ١٤٣.
٤٩. محمد عمارة مقام العقل في الإسلام، ط ١، نهضة مصر، القاهرة، ٢٠٠٨، ص ٨.
٥٠. محمد عمارة التعددية الرؤية الإسلامية والتحديات الغربية د. (ط)، نهضة مصر، القاهرة، ١٩٩٩، ص ٣.
٥١. محمد عمارة: هذا هو الإسلام، الإسلام والتعددية، الاختلاف والتنوع في إطار الوحدة، ط ١، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة
٥٢. ٢٠٠٨، ص ٧-٨.
٥٣. محمد عمارة: هذا هو الإسلام، الإسلام والتعددية، الاختلاف والتنوع في إطار الوحدة، مصدر سابق، ص ٢٠-١٩.
٥٤. احمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ، المصباح المنير في غريب شرح الكبير، (لبنان: مكتبة لبنان، ١٩٨٧)، ص ٤٤.
٥٥. محمد رواس قلعة، معجم لغة الفقهاء، ط ٣، (بيروت: دار النفائس، ٢٠١٠)، ص ١٠٠.
٥٦. محمد بسطامي سعيد، مفهوم تجديد الدين، ط ١، (الكويت: دار الدعوة، ١٩٨٤)، ص ١٥.
٥٧. علي المؤمن: الاسلام والتجديد رؤى في الفكر الاسلامي المعاصر، ط ١، بيروت دار الروضة، ٢٠٠٠)، ص ١٨.
٥٨. حسن حنفي: التراث والتجديد موقفنا من التراث والقديم، ط ٤، (مصر لمؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٩٢)، ص ٥٦.
٥٩. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج ٢، دار الكتب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢ م، ص ٣١١.
٦٠. محمد عمارة، الخطاب الديني بين التجديد الاسلامي و التبديد الأمريكي، الطبعة الثانية، سنة ٢٠٠٧، ١٤٢٨، ص ٧.

٦١. محمد عمارة، الابداع الحضاري و الخصوصية الحضارية ، (القاهرة: شركة نهضة مصر، ٢٠٠٣)، ص ٥.
٦٢. محمد عمارة، الاسلام بين التنوير و التزوير، ط ٢، (القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٠)، ص ١٨٤.
٦٣. محمد عمارة، مستقبلنا بين التجديد والحداثة الغربية، ط ١، (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٣)، ص ٧.
٦٤. محمد عمارة، هل الاسلام هو الحل لماذا وكيف، ط ٢، (القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٨)، ص ١١.
٦٥. محمد عمارة، الخطاب الديني بين التجديد الديني و التبديد الأمريكي، (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٧)، ص ٧.
٦٦. محمد عمارة، من اعلام الاحياء الاسلامي، ط ١، (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٦)، ص ٣٩.
٦٧. الموسوعة الفقهية (٢٩١/٢) إصدار وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ .
٦٨. الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مادة (خلف)، مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ .
٦٩. الجرجاني علي بن محمد، التعريفات، ص (٥٦)، مكتبة لبنان ١٩٧٨ م.
٧٠. العلواني طه جابر فياض، أدب الاختلاف، ص (٢١)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ط (٣) ١٤٠٧ هـ.
٧١. ابن قيم الجوزية، إقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (١/١٢٩)، تحقيق د. علي بن محمد الدخي، دار العاصمة، ط (٢)، ٤٩٢ هـ.
٧٢. السعدي عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٤٧٠/٢)، دارالسلام، ١٤٢٢ هـ-٢٠٠٢ م.
٧٣. تفسير القرآن العظيم لابن كثير رحمه الله (٢١٢/٣)، الناشر: دار طيبة سنة النشر: ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
٧٤. ابن كثير إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، (٢٥٠/١)، طبع دار الكتب العلمية، ٢٠١٢ م.
٧٥. الشاطبي إبراهيم بن موسى بن محمد، الاعتصام، ص (٣٩٥)، دار ابن عفان السعودية، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.
٧٦. ابوالعباس أحمد عبدالحليم ابن تيمية الحراني مجموع فتاوى، ص (١١٨/١٩-١١٩)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الرابعة ١٤٠٨ هـ.
٧٧. عمارة، محمد، الاسلام والتعددية الاختلاف والتنوع في إطار الوحدة، ص ٢٨، الطبعة الأولى، مكتبة الشروق الدولية، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
٧٨. شرح فتح القدير لمحمد بن عبد الواحد المعروف بابن الهمام، (٣٩٦ / ٩) وحاشية ابن عابدين (٣٣١ /)، الطبعة (١) دار الكتب العلمية، بيروت.
٧٩. عطية محمد سالم، موقف الأمة من اختلاف الأئمة، ص (١٦)، مكتبة دار التراث، ط (١) ١٤١٠ هـ.
٨٠. ابن حميد صالح بن عبد الله، أدب الخلاف، ص (٩)، مكتبة الضياء ١٤١١ هـ.
٨١. فقه الخلاف مدخل الي وحدة العمل الاسلامي ص (١٤-١٥) للأستاذ جمال سلطان، الطبعة الأولى مركز الدراسات الاسلامية، بريطانيا ١٤١٣ هـ.
٨٢. الشاطبي أبو إسحاق ابراهيم بن موسى، الاعتصام، ص (٣٩٣)، الطبعة الثانية، دارالكتب العلمية ١٤١٢ هـ.
٨٣. العمل الجماعي محاسنه و جوانب النقص فيه، ص (١٥-١٦)، للشيخ عبد الوهاب الديلمي، الناشر للطباعة والنشر الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ.

٨٤. عمارة، محمد، الاسلام والتعددية الاختلاف والتنوع في إطار الوحدة، ص ٢٤، الطبعة الأولى، مكتبة الشروق الدولية، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
٨٥. الإمام محمد عبده (الأعمال الكاملة) ج ٤ ص ٢٥١، دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة. طبعة القاهرة، سنة ١٩٩٣ م.
٨٦. (الميزان في تفسير القرآن) ج ١١ ص ٦٠ طبعة بيروت سنة ١٣٩٣ هـ / سنة ١٩٧٢ م.
٨٧. عمارة، محمد، الاسلام التعددية الاختلاف، ص ٣١، الطبعة الأولى، مكتبة الشروق الدولية، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
٨٨. (القسطاس المستقيم) ص ٦١، ضمن مجموعة القصور العوالي من رسائل الإمام الغزالي"، طبعة القاهرة، مكتبة الجندي بدون تاريخ.
٨٩. أبو حيان التوحيدي (الإمتاع والمؤانسة) ج ٣ ص ٩٩، تحقيق: أحمد أمين أحمد الزين طبعة القاهرة سنة ١٩٤٤ م.
٩٠. السيوطي، الرد على من أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض، ص ٩٧-١١٦، طبعة بيروت، سنة ١٤٠٣ هـ / سنة ١٩٨٣ م.
٩١. عمارة، محمد، الاسلام والتعددية الاختلاف والتنوع في إطار الوحدة، ص ٣٥، الطبعة الأولى، مكتبة الشروق الدولية، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
٩٢. في فن الاختلاف، د. جمال الدين عطية (التنظير الفقهي)، ص ١٣٦ - ١٤١ - طبعة القاهرة سنة ١٤٠٧ هـ / سنة ١٩٨٧ م.
٩٣. عمارة، محمد، ... وآخرون، (مظاهر الخلل في الحركات الإسلامية المعاصر)، الحركة الإسلامية رؤية مستقبلية أوراق في النقد الذاتي، الكويت، مكتبة آفاق، ٢٠١٢ م، ص ٣٢٠.
٩٤. عمارة، محمد. الحركات الإسلامية رؤية نقدية، الطبعة الأولى، القاهرة، دار نهضة مصر، ١٩٩٨ م، ص ٧.
٩٥. الشيباني، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ٥٠ جزء، الطبعة الأولى، تحقيق: شعيب أرنؤوط، عادل مرشد وآخرون، بيروت، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١ م.
٩٦. عمارة، محمد. في التنوير الإسلامي، الطبعة الأولى، القاهرة، دار نهضة مصر، ١٩٩٧ م، ص ١١.
٩٧. عمارة، محمد، ... وآخرون، (مظاهر الخلل في الحركات الإسلامية المعاصر)، الحركة الإسلامية رؤية مستقبلية أوراق في النقد الذاتي،
٩٨. عمارة، محمد. الحركات الإسلامية رؤية نقدية، الطبعة الأولى، القاهرة، دار نهضة مصر، ١٩٩٨ م، ص ٧٤.
٩٩. ابن القيم، محمد بن أبي بكر الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، ٤ أجزاء، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩١ م، ج ٤، ص ٢٨٣.
- (١) الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي. معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ٧ أجزاء، الطبعة الأولى، المحقق: إحسان عباس، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣ م، ج ١، ص ٣٣٧.
- (٢) عمارة، محمد، الأصولية بين الغرب والاسلام، ط١، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م، بارالشروق، ص ١٢.
- (٣) واقعنا المعاصر، لمحمد قطب، ص (٣٤١-٣٤٢)، مكتبة دارالسلام، ط (٣) ١٤١٠ هـ.

- (٤) محمد عمارة، الأصولية بين الغرب والإسلام القاهرة، مصر : دار الشروق د.ت ٥ محمد عمارة، قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية (القاهرة، مصر : دار الشروق (١٩٩٣).
- (٥) سه نكاوي، فاتح محمد، معجم مصطلحات الفكر الإسلامي المعاصر: دلالاتها وتطورها، ص١٣.
- (٦) محمد عمارة، مفهوم الحرية في مذاهب الإسلاميين (القاهرة، مصر : مكتبة الشروق الدولية، (٢٠٠٩)، ص١٦-١٨.
- (٧) عيسى، الدكتور عبدالرزاق، محمد عمارة داعية الإحياء والتجديد، دارالقلم دمشق، ص١٢١.
- (٨) محمد عمارة، معالم المنهج الإسلامي (القاهرة، مصر: دار الشروق، (٢٠٠٩)، ص ٩٦-٩٨.
- (٩) محمد عمارة القدس بين اليهودية والإسلام القاهرة، مصر : دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٩، ص٣، ٢٤.
- (١٠) محمد عمارة، الوعي بالتاريخ وصناعة التاريخ (القاهرة، مصر: دار الرشاد، ١٩٩٧، ص٣٣-٣٩.
- (١١) عمارة، الإسلام في مواجهة التحديات، ص١٦٦، ومعركة المصطلحات بين الغرب والإسلام، ص: ١٦٢-١٦٦.
- (١٢) عمارة، محمد، معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام، الطبعة الأولى، القاهرة، دار نهضة مصر، ٢٠٠٤ م. ص ٣.
- (١٣) عمارة، محمد. قاموس المصطلحات في الحضارة الإسلامية. الطبعة الأولى، ١٩٩٣ م، دار الشروق، ص ٧.
- (١٤) عمارة، محمد، معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام، المرجع السابق. ص ١٦.
- (١٥) أبوزيد، نصر حامد. الخطاب والتأويل، الطبعة الأولى، القاهرة، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٠ م، ص ٢٠٥.
- (١٦) أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، ٧ أجزاء، الطبعة الأولى، المحقق: شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره بللي، بيروت، دار الرسالة العالمية، ٢٠٠٩ م.
- (١٧) البهي، محمد. العلمانية والإسلام بين الفكر والتطبيق، القاهرة، هدية مجلة الأزهر، ١٤٤٠ هـ، ص ١٦.
- (١٨) عمارة، محمد. علمانية المدفع والإنجيل التحالف غير المقدس بين المدفع العلماني وإنجيل المنصرين، الإسماعيلية، مكتبة الإمام البخاري، ٢٠٠٧ م، ص ٥٠.
- (١٩) عمارة، محمد. العلمانية بين الغرب والإسلام، الكويت، دار الدعوة للنشر والتوزيع، ١٩٩٦ م، ص ١٨.
- (٢٠) عمارة، محمد. علمانية المدفع والإنجيل التحالف غير المقدس بين المدفع العلماني وإنجيل المنصرين، الإسماعيلية، مكتبة الإمام البخاري، ٢٠٠٧ م، ص ٦٧.
- (٢١) علي، عبد الرزاق، الإسلام وأصول الحكم بحث في الخلافة والحكومة في الإسلام، الطبعة الثالثة، القاهرة، مطبعة مصر، ١٩٢٦ م، ص٦٩.
- (٢٢) طه، حسين. من الشاطئ الآخر، كتابات طه حسين الفرنسية التي جمعت وترجمت بعد وفاته، جمعها وترجمها: عبد الرشيد صادق، الطبعة الأولى، القاهرة، دار الهلال، ١٩٩٧ م، ص ٢٥٨.
- (٢٣) الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني، ص ١٩٦، ١٩٧. دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة، طبعة القاهرة، سنة ١٩٦٨ م.
- (٢٤) محمد منير حجاب الدعوة الإسلامية التحديات والمواجهة دار الفجر للنشر والتوزيع القاهرة ط١، ٢٠٠٤ م، ص٧٤.

- (٢٥) مصطفى خالدي وعمر فروخ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية، المكتبة العصرية، صيدا، ص (٦٢).
- (٢٦) محمد علي العويني، الإعلام الإسلامي بين النظرية والتطبيق، دار عالم الكتب القاهرة، ط ٢، ١٩٨٧م، ص ٤٧.
- (٢٧) هشام صالح . مجلة (الوحدة) - التي تصدر بالمغرب عدد : فبراير - مارس سنة ١٩٩٣ م ص ٢٠ ، ٢١ .
 . والنص لأميل بولا، في كتابه (الحرية العلمنة : حرب شطرى فرنسا ومبدأ الحداثة) - منشورات سيرف .
 باريس سنة ١٩٨٧م.
- (٢٨) عمارة، محمد. إسلامية المعرفة ماذا تعني؟، الطبعة الأولى، القاهرة، دار نهضة مصر، ٢٠٠٦م ص ١١٠.
- (٢٩) د . مراد وهبه (مدخل إلى التنوير) ص ٢٥ - ٧٠ . طبعة القاهرة والكويت سنة ١٩٩٤ م.
- (٣٠) د محمد عمارة، التفسير الماركسي للإسلام، ط ١٤٢٢٢ هـ ٢٠٠٢م ، دار الشروق القاهرة مصر، ص ٣٤.
- (٣١) الموسوعة الفلسفية، وضع مجموعة من العلماء السوفييت بإشراف م روزينثال : ب يودين ترجمة سمير كرم، طبعة بيروت سنة .
- (٣٢) الأستاذ الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي، (١٩٢٦-٢٠٢٢م) أحد أعلام الإسلام البارزين في العصر الحاضر في العلم والفكر والدعوة والجهاد، في العالم الإسلامي مشرقه ومغربيه وقد كتب له القبول في العالم الإسلامي.
- (٣٣) القرضاوي، يوسف، أعداء الحل الإسلامي، مكتبة وهبة، ط ١، (٢٠٠٠)، ص ١٠٣.
- (٣٤) دكتور يوسف القرضاوي، أعداء الحل الإسلامي، ط ١٤٢٥٢ هـ ٢٠٠٤م مكتبة وهبة القاهرة مصر ١٠٥ ص ١٠٦.
- (٣٥) دكتور عبد الرحمان عميرة، المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها، طه دت، دار الجيل بيروت ص ١١٥ ص ١١٦.
- (٣٦) د محمد عمارة العلمانية بين الغرب والإسلام - ط ١ سنة ١٤١٤ هـ ١٩٩٦م دار الدعوة للنشر والتوزيع الكويت ص ٣٩.
- (٣٧) د. السيد أحمد فرج، علمائي وعلمانية، التأصيل المعجمي مجلة الأحرار العدد ٠٢ ص ١٠١-١١٠ سنة ١٩٨٦م.
- (٣٨) المفكر مالك بن نبي -مشكلات الحضارة- وجهة العالم الإسلامي - إعادة طباعة سنة ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٢م - ط ١٩٨٦م دار الفكر دمشق سوريا.
- (٣٩) الدكتور محمد عمارة الإسلام والآخر، مكتبة الشروق الدولية سنة ٢٠٠١م مصر، ص ١٤٧
- (٤٠) حمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين الأنصاري، لسان العرب، ط ٣ سنة ١٤١٤ هـ دار بيروت لطباعة والنشر بيروت لبنان ج ٢ ص ١٣١ مادة حدث ١٤١٤ هـ بيروت لبنان .
- (٤١) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، ط ٨ سنة ٢٠٠٥م، مؤسسة الرسالة بيروت - لبنان ص ١٦٧.
- (٤٢) أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى، تهذيب اللغة، تح : عبد السلام العرابوي، ج ٤ القاهرة دت، الدار المصرية للتأليف والترجمة مادة حدث.
- (٤٣) صفدي مطاع : نقد العقل الغربي ، الحداثة وما بعد الحداثة مركز الإنماء القومي، بيروت لبنان، د ط ج ٢ ص ١٦٦٠.

- (٤٤) د محمد عمارة، مستقبلنا بين التجديد الإسلامي والحداثة الغربية مكتبة الشروق، ط ١ سنة ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م ص ٦.
- (٤٥) محمد بن أحمد عبد العزيز العلي رسالة دكتوراه بعنوان الحداثة في العالم العربي، دراسة عقدية جامعة محمد بن سعود الإسلامية كلية أصول الدين قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة الرياض المملكة العربية السعودية سنة ١٤١٤ هـ ١٩٩٤ م .
- (٤٦) أندريه لالند، موسوعة لالاند الفلسفية تعريب خليل أحمد خليل منشورات عويدات، -بيروت- ، باريس، ط ٢ سنة ٢٠٠١، مج ٢، ص ٨٢٢.
- (٤٧) عبد الغني بارة: إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي المعاصر مقارنة حوارية في الأصول المعرفية . الهيئة المصرية العامة، مصر، د طه سنة ٢٠٠٥ م.
- (٤٨) مطاع صفدي، العقل الغربي للحداثة وما بعد الحداثة مركز الانتماء القومي بيروت لبنان سنة ١٩٩٠ م ص ٢٠٣.
- (٤٩) د محمد الشبكر، هايدغر وسؤال الحداثة، المغرب سنة ٢٠٠٦ أفريقيا الشرق ص ١٢.
- (٥٠) عدنان رضا النحوي الحداثة في منظور إيماني ط ٣ سنة ١٩٨٩ م - ١٤١٠ هـ دار النحوي للنشر والتوزيع - الرياض المملكة العربية السعودية . ص ٢٥-٢٦.
- (٥١) دسعيد بن ناصر الغامدي الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها - ط ١ سنة ٢٠٠٣ م - دار الأندلس الخضراء - جدة المملكة العربية السعودية. ص ٧٦.
- (٥٢) هشام شرابي النظام الأبوي واشكالية تخلف المجتمع العربي من ترجمة ماهر شريح دارنلسن السويد ط ٤ سنة ٢٠٠٠ م ص ٨٩.
- (٥٣) محمد محفوظ، الإسلام والغرب وحوار المستقبل، ط ١ المركز الثقافي العربي، بيروت سنة ١٩٩٨ م ص ٣٣.
- (٥٤) عبد الكريم سروش، بسط التجربة النبوية ترجمة أحمد القبانجي، سنة الطبع ٢٠٠٦، دار الفكر الجديد، العراق، ص ١٩٧، ص ١٩٩.
- (٥٥) أبو الفضل جمال الدين محمد بن علي ابن منظور، لسان العرب (بيروت: دار صادر، ١٤١٤) ١٢/١٤١.
- (٥٦) أبو الحسين أحمد بن فارس البرازي، معجم مقاييس اللغة (القاهرة: دار الفكرة ١٩٧٩)، ١٩١/٢.
- (٥٧) إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (بيروت: دار العلم للملايين (١٩٨٧)، ١٩٠٣-١٩٠١.
- (٥٨) مرتضى شنتول ماهي، الفلسفة السياسية للحاكمية في الفكر السياسي الإسلامي المعاصر"، مجلة قضايا سياسية، كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين ٦٠ (٢٠٢٠)، ١٦٨.
- (٥٩) محمد سعيد رمضان البوطي فقه السيرة النبوية مع موجز التاريخ الخلافة الراشدة (دمشق: دار الفكر، ١٤٢٦)، ٤٨٤.
- (٦٠) أبو يوسف، مدحت بن الحسن آل فراج، العذر بالجهل تحت المجهر الشرعي (الرياض مكتبة دار الحميضي) ١٩٩٥، ١٣٧.
- (٦١) محمد عمارة، أبو الأعلى المودودي والصحة الإسلامية (القاهرة: دارالسلام، دون تاريخ ١١٧، محمد عمارة في النظام السياسي الإسلامي (القاهرة: مكتبة الإمام البخاري، ٢٠٠٩)، ٥٥-٥٧.

- ٦٢) محمد عمارة، "نقد الغزالي لسيد قطب، عربي ٢١، (١٩-٠٥-٢٠٢٢-٠٨، ٣٤-١٥) و عمارة، أبو الأعلى المودودي والصحة الإسلامية، ١٣٢.
- ٦٣) عبد الحميد عمر عبد الحميد عبد الواحد، الحاكمة في ظلال القرآن (فلسطين: جامعة النجاح الوطنية - كلية الدراسات العليا ٢٠٠٤)، ١٤٣.
- ٦٤) عماد الدين شاهين معالم المنهج الإسلامي للمؤلف محمد عمارة، (مجلة الفكر الإسلامي المعاصر الإسلامية المعرفة سابقا) (١٩٩٥)، ١٧٤-١٧١.
- ٦٥) الأستاذ عبد الحليم محمود أبوشقة تحرير المرأة في عصر الرسالة ج ٢ طبعة الكويت، تاريخ ١٤١٠هـ، ص ٤٢٩.
- ٦٦) د عادل بن حسن الحمد المرأة بين الإسلام والعصرية، مختصر كتاب تحرير المرأة عند العصريين ط ١ مؤسسة الدرر السنية للنشر الكويت سنة ١٤٣٣هـ ص ٢٠
- ٦٧) د محمد عمارة، حقائق وشبهات حول مكانة المرأة الإسلام، ط ١ سنة ١٤٣١هـ ٢٠١٠م، دار السلام الطباعة والنشر والتوزيع، ص ١١٨.
- ٦٨) د صلاح الدين سلطان، ميراث المرأة وقضية المساواة، تقديم الدكتور محمد عمارة، طبعة القاهرة دار نهضة مصر، سلسلة في التنوير الإسلامي سنة ١٩٩٩م، ص ٤٦.
- ٦٩) د محمد عمارة، شبهات واجابات حول مكانة المرأة في الإسلام، ط ١ مارس ٢٠٠٨ نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ص ٧٩.
- ٧٠) الدكتور محمد عمارة، سلسلة الأعمال الكاملة، الدراسة والتحقيق، الطبعة القاهرة ١٩٩٣، المجلد الرابع، الصفحة ٧٣٢.
- ٧١) د محمد عمارة، تحرير المرأة بين الغرب والإسلام، ط ١، دار مكتبة البخاري القاهرة، سنة ٢٠٠٩م، ص ٣٩ و ٤٠.
- ٧٢) فاطمة عبد الرؤوف كاتبة مصرية، المرأة وتناقضات الحداثة، الرائد ، سلسلة إلكترونية شهرية متخصصة بشؤون الفرق من منظور أهل السنة العدد، ١٦٩ شوال ١٤٣٣هـ الخميس ٢٢ يونيو ٢٠١٧م.
- ٧٣) عبدالله الأشعل، قضايا الفكر الإسلامي المعاصر، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ط ١، ٢٠١٠م، ص ١٤١.

الفهرس

هـ	المقدمة
١٧	التمهيد: وفيه التعريف بالموضوع
١٨	المبحث الأول: مفهوم المنهج والمنهجية
١٨	المطلب الأول: مفهوم المنهج
١٨	المطلب الثاني: مفهوم المنهجية
٢٠	المبحث الثاني: مفهوم الدعوة ومشاكلها
٢١	المطلب الأول: معنى الدعوة لغة
٢٢	المطلب الثاني: الدعوة إصطلاحاً
٢٦	المطلب الثالث: مفهوم المشاكل
٢٧	المبحث الثالث: ترجمة حياة الدكتور محمد عمارة
٢٧	المطلب الأول: الميلاد والنشأة
٢٨	المطلب الثاني: نشاطاته الجامعية
٢٩	المطلب الثالث: مشاريعه العلمية
٣١	المطلب الرابع: أثر البيئة في نشاطه
٣٣	المطلب الخامس: ملامح المشروع الفكري لدى الدكتور محمد عمارة
٣٥	المطلب السادس: ضبط المصطلحات في فكر الدكتور عمارة

Error! Bookmark not defined. المطلب السابع: منهج الدكتور في دراسة المصطلحات

المطلب الثامن: بعض الاتهامات الموجهة للدكتور والرد عليها ٤٣

الباب الأول ٤٧

في سمات الدكتور محمد عمارة رحمه الله وقواعد منهجيته في الدعوة ٤٧

الفصل الأول: سمات في طبيعة شخصية وموهبة د. محمد عمارة ٤٨

المبحث الأول: الجمع بين العلم والعمل والعقل والنقل ٤٩

المبحث الثاني: الجمع بين الفكر والأدب والتصوف ٥١

المبحث الثالث: الجمع بين التراث والتجديد ٥٤

المبحث الرابع: الجمع بين دراسة المذاهب الكلامية والتيارات الإسلامية وغير الإسلامية ٥٥

المبحث الخامس: الجمع بين الوطنية والعروبية والإسلامية والإنسانية ٦٠

المبحث السادس: الجمع بين الكتابة والخطابة والجهاد ٦١

الفصل الثاني: قواعد منهجيته في تناول مشاكل الدعوة ٦٧

المبحث الأول: الوسطية والاعتدال ٦٧

المطلب الأول: تعريف الوسطية ٦٨

المطلب الثاني: تطبيقات الوسطية الإسلامية ٧٠

الفرع الأول: الفكر والمادة ٧٠

الفرع الثاني: الجبر والإختيار ٧١

الفرع الثالث: الشورى البشرية والشريعة الإلهية ٧٢

المبحث الثاني: العقلانية الإيمانية ٧٣

المطلب الأول: مفهوم العقلانية الإيمانية ٧٣

المطلب الثاني: مكانة العقل في الفكر الإسلامي ٧٦

٨٠	المبحث الثالث: الإيمان بالتعددية
٨٠	المطلب الأول: مفهوم التعددية
٨٢	المطلب الثاني: ميادين التعددية ونماذجها
٨٨	المبحث الرابع: المواكبة والتجديد
٨٨	المطلب الأول: مفهوم التجديد لغة:
٨٩	المطلب الثاني: مفهوم التجديد إصطلاحاً:
٩٠	المطلب الثالث: مفاهيم مرتبطة بمقولة التجديد
٩٢	المطلب الرابع: ضرورة التجديد لمواكبة مستجدات الحياة
٩٣	المطلب الخامس: مفهوم التجديد في فكر الدكتور محمد عمارة
٩٥	المطلب السادس: أهمية التجديد الاسلامي
٩٧	المطلب السابع: مميزات المنهج التجديدي لدى الدكتور محمد عمارة
٩٨	المطلب الثامن: ملامح المشروع التجديد الحضاري في فكر محمد عمارة
١٠٢	الباب الثاني: منهجية الدكتور محمد عمارة في تناول مشاكل الدعوة
١٠٤	المبحث الأول: حقيقة الخلاف والإختلاف
١٠٤	المطلب الأول: تعريف الإختلاف
١٠٤	المطلب الثاني: أنواع الإختلاف
١١٠	المطلب الثالث: حكم الإختلاف
١١٥	المطلب الرابع: الفرق بين الخلاف والإختلاف
١١٨	المبحث الثاني: طبيعة التفاوت في ساحة الدعوة
١١٩	المبحث الثالث: التعددية والإختلاف من سنن الفطرة
١٢٢	المبحث الرابع: التعدد والإختلاف جعل إلهي وطبيعي في البشر
١٢٢	المبحث الخامس: دور الإجتهد في صياغة الإختلاف وصيانة الشريعة

١٢٥	الفصل الثاني: أهم المشاكل الداخلية في ساحة الدعوة
١٢٨	المبحث الأول: الخلل في فهم التعددية والإيمان بجدواها
١٣٠	المبحث الثاني: الخلل في علاقة الذات بالآخر
١٣٣	المبحث الثالث: الخلل في العلاقة بين المحلية القطرية والعالمية الإسلامية
١٣٤	المبحث الرابع: الخلل في علاقة التاريخ بالعصر وعلاقة الموروث بالإبداع
١٣٧	المبحث الخامس: الخلل في علاقة الحركة بالفكر
١٣٩	المبحث السادس: الخلل في علاقة التربية الروحية بالتربية السياسية
١٤١	المبحث السابع: الخلل في علاقة الطاعة بالحرية
١٤٥	الفصل الثالث: أهم المشاكل الخارجية في ساحة الدعوة
١٤٥	المبحث الأول: الغزو الفكري الحضاري
١٤٥	المطلب الأول: الغزو الفكري والإلحاق الثقافي
١٤٦	المطلب الثاني: أنواع الغلبة للأمم
١٥٠	المبحث الثاني: الإلتباس المفهومي للمصطلحات
١٥٣	المطلب الأول: مكانة المصطلحات في مؤلفات الدكتور محمد عمارة
١٥٤	المطلب الثاني: منهج الدكتور في دراسة المصطلحات
١٥٨	المطلب الثالث: الإلتباس المفهومي للمصطلحات
١٦١	المطلب الرابع: أمثلة لتحريف مضامين المصطلحات
١٦٩	المبحث الثالث: العلمانية الملحدة
١٦٩	المطلب الأول: المصطلح وملابسات النشأة
١٧٢	المطلب الثاني: الأصول الإسلامية لرفض العلمانية:
١٧٥	المطلب الثالث: إنبهار بعض المثقفين المسلمين بالعلمانية الغربية
١٧٧	المبحث الرابع: إستراتيجية التنصير

١٧٧	المطلب الأول: التعريف
١٧٨	المطلب الثاني: التطور التاريخي للتنصير
١٧٩	المطلب الثالث: ألوان التبشير في أقطار الاسلام
١٨١	المطلب الرابع: التخطيط وسرعة العمل
١٨٢	المطلب الخامس: الجهود والإمكانات
١٨٣	المبحث الخامس: التنوير والتزوير
١٨٣	المطلب الأول: شرح المصطلح وتطوره
١٨٥	المطلب الثاني: معني التنوير عندنا:
١٨٧	المطلب الثالث: إيجاز مقولات التنوير الغربي:
١٩٠	الباب الثالث: منهجية الدكتور محمد عمارة في مواجهة الشبهات والإفتراءات
١٩١	المبحث الأول: نقد الدكتور محمد عمارة للماركسية
١٩٢	المطلب الأول: النشأة والتطور التاريخي
١٩٢	المطلب الثاني: تعريف الدكتور عمارة للماركسية
١٩٤	المطلب الثالث: الرد علي الفكرة الماركسية
١٩٦	المطلب الرابع: الماركسية تعادي الأديان
١٩٨	المطلب الخامس: منطلقات الرفض الماركسية
١٩٩	المبحث الثاني: نقد الدكتور محمد عمارة للعلمانية
١٩٩	المطلب الأول: مصطلح العلمانية
٢٠٠	المطلب الثاني: المستندات وعوامل إنبثاق العلمانية
٢٠١	المطلب الثالث: الإستعمار ودخول العلمانية إلي أقطاب الدول العربية والاسلامية
٢٠٢	المطلب الرابع: عوامل التسري والنفوذ
٢٠٤	المطلب الخامس: منطلقات رفض العلمانية لدي الدكتور عمارة

٢٠٥	المبحث الثالث: في نقد الحضارة الغربية
٢٠٦	المطلب الأول: التعريف والمقارنة بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية
٢٠٩	المطلب الثاني: أهم ملامح الحضارة الغربية
٢١٥	المبحث الرابع: نقد الحداثة الغربية
٢١٦	المطلب الأول: المفهوم اللغوي للفظ الحداثة
٢١٧	المطلب الثاني: المفهوم الاصطلاحي للحداثة
٢١٨	المطلب الرابع: الحداثة بالمفهوم الغربي
٢٢٠	المطلب الخامس: الحداثة بالمفهوم العربي
٢٢٢	الفصل الثاني: في الرد والنقد علي الافتراءات
٢٢٢	المبحث الأول: إشكاليات في قراءة النص الديني وتفسيره
٢٢٣	المطلب الأول: الوحي بشرياً لا نبوياً محضاً، نقد نظرية الكاتب الإيراني عبدالكريم سروش
٢٢٨	المطلب الثاني: اللغة العربية لغة شعبية لا فصاحة قرآنية
٢٣٠	المبحث الثاني: إفتراءات حول الحاكمية والإسلام
٢٣١	المطلب الأول: مفهوم الحاكمية ونشأتها
٢٣٥	المطلب الثالث: مصطلح الحاكمية لدى الدكتور محمد عمارة رحمه الله
٢٣٧	المطلب الرابع: الفهم الخاطئ لمصطلح الحاكمية وتفنيد الدكتور عمارة له
٢٤٠	المطلب الخامس: رد الدعوى أن الدكتور محمد عمارة يدعو للعلمانية
٢٤٤	المبحث الثالث: إفتراءات حول الإسلام و حقوق المرأة
٢٤٥	المطلب أول: القرآن الكريم ساوى بين الجنسين
٢٤٨	المطلب الثاني: نقد شبهة ميراث المرأة نصف ميراث الرجل
٢٥٠	المطلب الثالث: الرد على شبهة القضاء و ولاية المرأة
٢٥٤	المطلب الرابع: كيف يريد الغرب والحداثيون تحرير المرأة؟

٢٥٧	المبحث الرابع: إفتراءات حول الإسلام والإرهاب
٢٥٩	المطلب الأول: السماح الإسلامية
٢٦٣	المطلب الثاني: حقيقة الجهاد والقتال والإرهاب
٢٦٤	المطلب الثالث: الحرب الديني المقدس وحقيقة الجهاد الإسلامي
٢٦٥	المطلب الرابع: حقيقة القتال في الإسلام
٢٦٩	المطلب الخامس: حقيقة الإرهاب